

الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء الخامس

تأليف

السيد جعفر مرتضى العاملي

هذا الكتاب

نشر إلكترونياً وأخرج فنّياً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

بانتظار أن يوفقنا الله تعالى لتصحيح نصه وتقديمه بصورة أفضل في فرصة أخرى قريبة إن شاء الله تعالى.

الصحيح من سيرة الإمام عليّ (عليه السلام)

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الجزء الخامس

الفصل الرابع:

قتل مرحب..

علوتم، والذي أنزل التوراة:

تقدم: أن اليهودي لما سمع باسم علي (عليه السلام) قال: علوتم، والذي أنزل التوراة على موسى.
ونقول:

ألف: إن أبا نعيم قال: (فيه دلالة على أن فتح علي لحصنهم مقدم في كتبهم، بتوجيه من الله وجهه إليهم، ويكون فتح الله تعالى على يديه).

وهي التفاتة جليلة من أبي نعيم، ويؤيدها:

أولاً: ما روي من أنه (صلى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام): خذ الراية، وامض بها فجزئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبعوث في قلوب القوم..

واعلم يا علي، أنهم يجدون في كتابهم: أن الذي يدمر عليهم اسمه (إيليا)، فإذا لقيتهم فقل: أنا علي.
فإنهم يُخذلون إن شاء الله تعالى الخ..^(١)

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٥ عن الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٦ وراجع: كتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٩٥ وكشف الغمة للإربلي ج ١ ص ٢١٣.

ثانياً: إن مرحباً نفسه قد هرب لما سمع باسم علي (عليه السلام)، وكانت ظئره قد أخبرتته: بأن اسم قاتله حيدرة، وذلك يدل على أنها قد أخذت ذلك من أحبارهم، الذين كانوا يخبرون عما يجدونه في كتبهم..
أما ما زعموه، من أنها قالت له ذلك: لأنها كانت تتعاطى الكهانة.
فهو مردود:

بأن تعاطيها الكهانة لا يعطيها القدرة على معرفة الغيب الإلهي، فإنه تعالى وحده (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ..)^(١).

ويشهد لما قلناه من أنهم يجدون ذكر ما يجري عليهم في كتبهم: أننا وجدنا في جملة الأقوال في تسمية علي (عليه السلام) بحيدرة: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، والأسد هو الحيدرة..
وتقدم وسيأتي أيضاً بعض الحديث عن ذلك، تحت عنوان: (من سمى علياً (عليه السلام) بحيدرة) إن شاء الله تعالى.
ب: لعل هناك من يريد اعتبار قول اليهودي: علوتم (أو غلبتم) والذي أنزل التوراة على موسى، قد جاء على سبيل التفلؤ بالاسم..

ونحن وإن كنا لا نصر على بطلان هذا الاحتمال، باعتبار أن الذين يشتد تعلقهم بالدنيا يتشبثون ولو بالطحلب، ويخافون حتى من هبوب الرياح، ويتشاءمون ويتفاءلون بالخيالات والأشباح..
غير أننا نقول:

١- الآيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الجن.

إنه مع وجود الشواهد والمؤيدات لما ذكره أبو نعيم، لا يبقى مجال لترجيح هذا الإحتمال..
ونزيد هنا: أن ما أكد لهم صحة ما ورد في كتبهم، هو ما تناهى إلى مسامعهم من مواقف علي (عليه السلام) التي
تظهر أنه أهل لما أهله الله تعالى له، كما دلت عليه معالي أموره في المواقع المختلفة في الحرب، وفي السلم على حد
سواء.

ومن ذلك مبيته (عليه السلام) على فراش النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة الهجرة، وجهاده في بدر، وأحد، والخندق، وقريظة،
والنضير، و.. و.. الخ..

قتل علي (عليه السلام) مرحباً والفرسان الثمانية:

قالوا: ثم خرج أهل الحصن إلى ساحة القتال..

أما رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإنه لما أصبح أرسل إلى علي (عليه السلام) وهو أرمد، فتفل في عينيه.

قال علي (عليه السلام): فما رمدت حتى الساعة. ودعا له، ومن معه من أصحابه بالنصر.

فكان أول من خرج إليهم الحارث أبو زينب، أخو مرحب في عادية (أي ممن يعدون للقتال على أرجلهم) -

قال الحلبي: وكان معروفاً بالشجاعة. فانكشف المسلمون، وثبت علي (عليه السلام)، فاضطربا ضربات، فقتله علي
(عليه السلام).

ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن، وأغلقوا عليهم، ورجع المسلمون

إلى موضعهم..

وخرج مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب الخ..

فحمل عليه علي (عليه السلام) فقطره (أي ألقاه على أحد قطريه، أي جانيبه) على الباب، وفتح الباب، وكان للحصن بابان^(١).

ورجع أصحاب الحارث إلى الحصن، وبرز عامر، وكان رجلاً جسيماً طويلاً، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين برز وطلع عامر: (أترونه خمسة أذرع)؟ وهو يدعو إلى البراز.

فخرج إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فضربه ضربات، كل ذلك لا يصنع شيئاً، حتى ضرب ساقيه فبرك، ثم ذفّف عليه، وأخذ سلاحه.

قال ابن إسحاق: ثم برز ياسر وهو يقول:

قد علمت خيبر أني ياسر

إذا الليوث أقبلت تبادر

إن حسامي فيه موت حاضر

قال محمد بن عمر: وكان من أشدائهم، وكان معه حربة يحوس الناس بها حوساً.

فبرز له علي بن أبي طالب، فقال له الزبير بن العوام: أقسمت إلا خلّيت

١ - المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٣ و ٦٥٤ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤.

بيني وبينه، ففعل.

فقال صفيية لما خرج إليه الزبير: يا رسول الله، يقتل ابني؟

فقال رسول الله (ﷺ): (بل ابنك يقتله، إن شاء الله)، فخرج إليه الزبير وهو يقول:

قد علمت خيبر أني زبار قرم لقرم غير نكس فرار

ابن حماة المجد، ابن الأخيار ياسر لا يغررك جمع الكفار

فجمعهم مثل السراب الختار

ثم التقيا فقتله الزبير.

قال ابن إسحاق: وذكر أن علياً هو الذي قتل ياسراً.

قال محمد بن عمر: وقال رسول الله (ﷺ) للزبير لما قتل ياسراً: فداك عم وخال.

ثم قال: (لكل نبي حوارى، وحواري الزبير وابن عمي)^(١).

وفي حديث سلمة بن الأكوع عند مسلم، والبيهقي: أن مرحباً خرج وهو يخطر بسيفه.

وفي حديث ابن بريدة، عن أبيه: خرج مرحب وعليه مغفر معصفر يمانى، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على

رأسه، وهو يرتجز ويقول:

١ - راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٥ و ١٢٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١.

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الليوث أقبلت تلهب

قال سلمة: فبرز له عامر (أي عامر بن الأكوع) وهو يقول:

قد علمت خيبر أني عامر شاكي السلاح بطل مغامر
قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر يسفل له، وكان سيفه فيه قصر، فرجع
سيفه على نفسه، فقطع أكحله.

وفي رواية: أصاب عين ركبته، وكانت فيها نفسه.

قال بريدة: فبرز مرحب وهو يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الليوث أقبلت تلهب وأحجمت عن صولة المغلب

فبرز له علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وعليه جبة أرجوان حمراء قد أخرج خملها، وهو يقول:

أنا الذي ستمني أمي حيدرَة كليث غابات كريمة المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب مرحباً ففلق رأسه، وكان الفتح^(١).

١ - صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٥ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٣٣ و ٣٥١ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٣٨ وتاريخ الأمم والملوک ج ٣ ص ٣٠
ومناقب الإمام علي لابن المغازلي (ط المكتبة الإسلامية بطهران) ص ١٧٦ ولباب التأويل ج ٤ ص ١٨٢ = ١٨٣ والرياض النضرة (ط
مجد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ و ١٨٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها ومعالم التنزيل (ط مصر) ج ٤ ص ١٥٦ وحياة الحيوان
ج ١ ص ٢٣٧ وطبقات ابن سعد (مطبعة الثقافة الإسلامية) ج ٣ ص ١٥٧ وينايع المودة (ط بمبي) ص ٤١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٧.

وفي نص آخر: أن علياً (عليه السلام) أجاب مرحباً بقوله:

أنا الذي ستمني أمي خيْدرة
كليث غابات كربه المنظرة
عبل الذراعين شديد القسورة
أضرب بالسيف وجوه الكفرة
ضرب غلام ماجد حزونة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة^(١)

وفي حديث بريدة، فاختلفا ضربتین، فبدره علي (عليه السلام) بضربة (بذي الفقار) فقدَّ الحجر، والمغفر، ورأسه، ووقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

وفي نص آخر: سمع أهل العسكر صوت ضربته. وقام الناس مع علي حتى أخذ المدينة^(٢).

١ - تذكرة الخواص ص ٢٦.

٢ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٦ و ١٢٥ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٢ و ٣٧ و ٣٨ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٠ والبدایة والنهایة ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها، ولباب التأویل ج ٤ ص ١٨٢ و ١٨٣ ومعارج النبوة ص ٢١٩ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ والکامل فی التاریخ ج ٢ ص ٢٢٠ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٤٣٧ ومعالم التنزیل ج ٤ ص ١٥٦ وتاریخ الخمیس ج ٢ ص ٥٠ وراجع بعض ما تقدم في: إمتاع الأسماع ص ٣١٥ و ٣١٦.

وفي نص آخر: ضربه على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه، وسمع أهل العسكر صوت ضربته.
قال: وما تتأَمَّ آخر الناس مع علي (عليه السلام) حتى فتح لأولهم^(١).
وفي نص آخر: (فخرج يهرول هرولة، فوالله ما بلغت أخراهم حتى دخل الحصن.
قال جابر: فأعجلنا أن نلبس أسلحتنا.
وصاح سعد: اربع، يلحق بك الناس.
فأقبل حتى ركزها قريباً من الحصن الخ..)^(٢).

١ - مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٠٠ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٤٣٧ وراجع: العمدة لابن البطريق ص ١٤١ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١٠ و ١٧٨ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٥٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٩٥ وعن الإصابة ج ٤ ص ٤٦٦ وفضائل الصحابة لابن حنبل ج ٢ ص ٦٠٤ وراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج ٢ ص ٥٠٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٢٢ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص ٥٩٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٤٢٢ وج ٢٢ ص ٦٥٠ وج ٢٣ ص ١١٦ و ١١٩ و ١٣١ وج ٣٠ ص ١٨٦ وج ٣٢ ص ٣٧٤.

٢ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٢ عن إعلام الوری ج ١ ص ٢٠٨ وفي هامشه قال: انظر الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٥ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٩ و ٢٤٩.

وفي بعض النصوص: (أن مرحباً لما رأى أن أخاه قد قتل خرج سريعاً من الحصن في سلاحه، أي وقد كان لبس درعين، وتقلد بسيفين، واعتم بعمامتين، ولبس فوقهما مغفراً، وحجراً قد ثقبه قدر البيضة، ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان، وذكر أن ياسراً خرج بعد مرحب)^(١).

ولم يكن بخير أشجع من مرحب ولم يقدر أحد من أهل الإسلام أن يقاومه في الحرب^(٢).

وزعموا: أن مُجَّد بن مسلمة قتل أسيراً أيضاً^(٣).

وعن علي (عليه السلام) قال: لما قتلت مرحباً، جئت برأسه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)^(٤).

قال الدياربركري: قيل هذا - أي قتل علي مرحباً - هو الصحيح، وما نظمه بعض الشعراء يؤيده، وهو:

علي حمى الإسلام من قتل مرحب غداة اعتلاه بالحسام المضحخ

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و ٣٨ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠.

٢ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠.

٣ - إمتاع الأسماع ص ٣١٥.

٤ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٧ ومسنند أحمد ج ١ ص ١١١ وتذكرة الخواص ص ٢٦ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ فما بعدها،

ومجمع الزوائد للهيتمي ج ٦ ص ١٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٧.

وفي رواية: قتله محمد بن مسلمة^(١).

وسياتي الكلام حول ذلك، وأنه مكذوب ومختلق.

ولنا مع هذه النصوص وقفات عديدة، نكتفي منها بما يلي:

ضربات علي (عليه السلام) لا تصنع شيئاً:

لا مجال لقبول ما ذكرته بعض الروايات المتقدمة من أن علياً (عليه السلام) ضرب عامر الخيبري ضربات، فلم تصنع

شيئاً.

فإن علياً (عليه السلام) كان إذا علا قد.. وإذا اعترض قط^(٢)..

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٥ عن جماعة من السفساف والمعاندين ادَّعوا: أن مرحباً قتله محمد بن مسلمة، وادَّعوا، وادَّعوا.

٢ - مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٥٥ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٧٩ وج ٤١ ص ٦٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٥٠ ومجمع البيان ج ١ ص ٢٥٢ و ٣٨٩ والهاشميات والعلويات (قصائد الكميث وابن أبي الحديد) ص ١٥٣ والصحاح ج ٢ ص ٥٩٧ وج ٣ ص ١١٥٣ والفروق اللغوية ص ٤٣٢ و ٤٣٣ ولسان العرب ج ٣ ص ٣٤٤ وج ٤ ص ٨٠.

وراجع: مختار الصحاح لمحمد بن عبد القادر ص ٣٩ ومجمع البحرين ج ١ ص ٢٣٢ وتاج العروس ج ٢ ص ٤٦٠ وج ٣ ص ٥٨ وج ٥ ص ٢٠٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٣٠ و ٣٤٠ و ٣٨٢ و ٣٩٧ وشرح إحقاق الحق ج ٨ ص ٣٢٨ و ٣٢٩ = وج ١٨ ص ٧٩ وج ٣١ ص ٥٦٩ وج ٣٢ ص ٣٠٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ وتفسير أبي السعود ج ٤ ص ٢٦٧ وتفسير الألوسي ج ١٢ ص ٢١٨ والنهية في غريب الحديث ج ١ ص ١٤٩.

وكانت ضرباته وتراً^(١) ..

قطع رأس مرحب:

ذكرت بعض الروايات المتقدمة: أن علياً (عليه السلام) كان قد قطع رأس عمرو بن عبد ود في حرب الخندق، وجاء به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) .. ولم يقل له النبي (صلى الله عليه وآله) شيئاً ..

وذكرت الروايات المتقدمة عن قريب: أنه (عليه السلام) قطع رأس مرحب، وجاء به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيضاً، ولم يعترض عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فعله هذا ..

ونحن لا نرى أن لهدين الخبرين أساساً من الصحة.

أولاً: إنه (عليه السلام) لم يقطع رأس الوليد في بدر، ولا رأس غيره ممن قتلهم في تلك الحرب، كما أنه لم يقطع رأس كبش الكتيبة ولا غيره من بني عبد الدار حملة اللواء في أحد، ولم يقطع أيضاً رؤوس العشرة الذين قتلهم في بني النضير، ولا رأس أي ممن قتلهم في الخندق غير ما زعموه عن عمرو بن عبد ود، ولا رأس أحدٍ من بني قريظة ..

١ - شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٢٠ والصراف المستقيم ج ١ ص ١٦١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٤١٥ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٣.

وأما قطعه لرأس الأسيرين في بدر، فلأن قتلها قد تم بهذه الصورة. ولعل ذلك كان أهون أنواع القتل.. لأن غير هذه الطريقة يطيل أمد موت القتيل، ويعرضه معها لآلام هائلة..

ثانياً: لم نجد مبرراً لقطع الرؤوس، والإتيان بها من ساحة المعركة إلى محضر رسول الله (ﷺ) للشفعي، ولا غيره.. وذلك بعيد عن منطق الرسول، وعن منهجه..

وقد كان هدف خوض هذه الحرب، هو دفع شر هؤلاء الطغاة عن أهل الإسلام، ولم يكن يراد للشفعي بهم، بقطع رؤوسهم بعد موتهم، ولا بتعذيبهم في حياتهم..

وقد علمنا: أن علياً (عليه السلام) لم يجهز على عمرو بن عبد ود حين أساء إليه وشتم أمه، إلا بعد أن زال غضبه، لأنه أراد أن يكون قتله خالصاً لله تعالى.. كما تقدم.

ولما ضربه ابن ملجم (لعنه الله)، قال: (ما فعل ضاربي؟! أطمعوه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن عشت فأنا أولى بحقي، وإن مت، فاضربوه ولا تزيدوه)^(١).

وفي نص آخر: (احبسوه، وأطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعش

١ - المناقب للخوارزمي ص ٢٨٠ و ٢٨١ وكشف الغمة ج ٢ ص ١١١ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٦٢٣ وأشار في الهامش إلى العديد من المصادر.

فعفو، أو فصاص^(١).

ثالثاً: إذا كانت ضربته (عليه السلام) قد شقت رأس مرحب وجسده نصفين، حتى بلغ السرج كما في بعض النصوص^(٢)، فإن قطع رأسه وحمله في هذه الحالة يصبح بمثابة جمع أشلاء، ولملمة قطع من جسد بشري، بصورة غير مستساغة، ولا يرضى الإنسان العادي بالإقدام عليها، فكيف بأنبئ الناس، وأكرمهم وأشرفهم؟! ولو أنه (عليه السلام) قطع رأس عمرو بن عبد ود أو غيره لرأيت قريشاً، وسائر من حاربهم من اليهود والمشركين يقطعون رؤوس قتلى المسلمين طيلة كل تلك الحروب التي دارت فيما بينهم.

أحداث خبير بصيغة أخرى:

تقدم: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال لعلي (عليه السلام): قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.. ولكن نصاً آخر ذكر تفصيلاً لهذه الوصية يحتاج إلى الكثير من التأمل، وهو أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) حين دفع إليه الراية قال له:

١ - الثقات ج ٢ ص ٣٠٣ والأخبار الطوال ص ٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد = ج ٣ ق ١ ص ٢٥ و ٢٦ وراجع: أنساب الأشراف (بتحقيق المحمدي) ج ٢ ص ٤٥٩ و ٥٠٢ و ٥٠٤.
٢ - معارج النبوة ص ٣٢٣ و ٢١٩.

(سر في المسلمين إلى باب الحصن، وادعهم إلى إحدى ثلاث خصال: إما أن يدخلوا في الإسلام، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وأموالهم لهم.. وإما أن يذعنوا للجزية والصلح، ولهم الذمة، وأموالهم لهم. وإما الحرب.

فإن اختاروا الحرب فحاربهم. فأخذها وسار بها والمسلمون خلفه، حتى واثى باب الحصن، فاستقبله حماة اليهود، وفي أولهم مرحب يهدر كما يهدر البعير.

فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، ثم دعاهم إلى الذمة فأبوا، فحمل عليهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، فانهزموا بين يديه، ودخلوا الحصن، وردوا بابه، وكان الباب حجراً منقوراً في صخر، والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقور كأنه حجر رحي، وفي وسطه ثقب لطيف.

فرمى أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوسه من يده اليسرى، وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر دون اليمنى، لأن السيف كان في يده اليمنى، ثم جذبته إليه، فانهزمت الصخر المنقور، وصار الباب في يده اليسرى. فحملت عليه اليهود، فجعل ذلك ترساً له، وحمل عليهم فضرب مرحباً فقتله، وانهزم اليهود من بين يديه؛ فرمى عند ذلك الحجر بيده اليسرى إلى خلفه، فمر الحجر الذي هو الباب على رؤوس الناس من المسلمين إلى أن وقع في آخر العسكر.

قال المسلمون: فذرنا المسافة التي مضى فيها الباب فكانت أربعين ذراعاً، ثم اجتمعنا على الباب لنرفعه من الأرض، وكنا أربعين رجلاً حتى

تحمياً لنا أن نرفعه قليلاً من الأرض)^(١).

ونقول:

يلاحظ هنا ما يلي:

١ - أن الناس يعاملون من ينقض العهود، ويخون الموائيق بحزم وصرامة، ويجرون عليه أحكامهم وقراراتهم، ولا يعطونه بعدها أي خيار، ولا يمنحونه أية فرصة للاختيار. ومع تكرار الخيانات، وظهور تصميم العدو على العدوان، فإنهم يبادرون إلى ضربه ضربة قاضية، وسحق كل مظاهر القدرة لديه، واقتلعه من جذوره. ولكن نبينا الأعظم (ﷺ) لم يعامل اليهود بهذه الروحية، بل بالعفو والتسامح، وفتح مجال الخيار والاختيار أمامهم، لمجرد إبطال كيدهم، ودفع شرهم، رغم تكرار خياناتهم، وتأمرهم المتواصل عليه، وإصرارهم على نقض العهود والموائيق.

وقد أظهر النص المتقدم هذه الحقيقة، فإنه عرض عليهم خيارات تمنحهم الحياة، وتعفيهم من العقوبة. وبعضها يجعل لهم حصانةً وحقوقاً تساويهم مع سائر المسلمين، فهو لم يضعهم أمام خيار الموت والفناء، والعقاب والجزاء، بل عرض عليهم أولاً أن يسلموا، فإن فعلوا ذلك حقنوا دماءهم، وأحرزوا أموالهم، ولهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم..

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٩ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦١ وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٣٦٨.

فإن أبوا ذلك، فإنه أيضاً لم يسد عليهم باب النجاة، بل فتحه لهم على مصراعيه أيضاً، ومنحهم فرصة أخرى للعيش بأمن وسلام، وتكون أموالهم لهم، ولهم ذمة المسلمين، وحظر عليهم الإحتفاظ بالسلاح، بل يتولى المسلمون حمايتهم، والدفع عنهم، مقابل بدل مالي يعطونه (يسمى جزية).

فإن أبوا ذلك.. وأصروا على العداوة والبغى، فإنهم يكونون هم الذين عرضوا أنفسهم لما لا يجب لهم أن يتعرضوا له.. ورضوا بأن يعاملهم معاملة الأعداء، وبأن يكسر شوكتهم، ويقوض هيمنتهم..

٢ . لقد كان اقتلاع باب خيبر بيد رجل واحد كافياً لإقناع اليهود بالكف عن عدوانهم، وإفهامهم أن هذا الدين مؤيد ومنصور من الله، وأن الإيمان بهذا النبي هو الخيار الصائب، وما عداه هلاك وبوار في الدنيا والآخرة. ولكن ذلك ليس فقط لم يحصل.. وإنما حصل عكسه، حيث ظهر حرصهم على البغى والعدوان، حين حملوا على علي (عليه السلام) مرة ثانية، فحمل عليهم وهزمهم، كما تقدم بيانه.

٣ . كما أن رميه (عليه السلام) باب الحصن إلى مسافات بعيدة، دليل آخر على ذلك التأييد الإلهي، وقد كان يفترض أن يكون كافياً لصحوة ضميرهم، واستجابة وجدانهم، وعطف قلوبهم إلى الحق، وإعلان إيمانهم.. لكن ذلك لم يحصل أيضاً..

٤ . قول الرواية: إنه (عليه السلام) رمى الباب، فوقع خلف

المسلمين.. وكانت المسافة بين موقع علي (عليه السلام)، وموضع سقوط الباب أربعين ذراعاً.. موضع ريب، فإن من غير المعقول أن يكون المسلمون محصورين في هذه المسافة الضيقة جداً، لأنهم كانوا يعدون بالألوف.. حتى لو فرضنا أن قسماً من الجيش كان يقوم بمهمات أخرى.

ولعله لم يكن خلفه سوى طائفة من المسلمين، ممن كان في ضمن الأربعين ذراعاً، أما الآخرون، فكانوا قد قصرُوا في اللحاق به..

ويؤيد ذلك: ما سيأتي من أن علياً (عليه السلام) قد فتح الحصن وحده.

٥ . والأهم من كل ذلك: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يغير طريقة تعامله مع اليهود، بل بقي يعتمد سياسة الصلح، والرفق، والتخفيف، فهو بعد كل هذا العناد والتحدي، والإصرار على مواصلة الحرب، لم ينتقم منهم، ولم يعاقبهم على ما فعلوه، بل قبل منهم أن يعملوا في الأرض، وأن يعطوه نصف حاصلها.. وكان يمكنه أن لا يعطيهم شيئاً سوى ما يقيم أودهم، ويحفظ حياتهم..

بل لو أراد أن يجازيهم بأعمالهم لما كانوا يستحقون البقاء على قيد الحياة.

من سمى علياً بحيدرة؟!:

تقدم: أن علياً (عليه السلام) قال في مواجهة مرحب:

أنا الذي سمّني أمي حيدرة كليث غابات كربه المنظرة

وقال ثابت بن قاسم: في تسمية علي (عليه السلام) بحيدرة، ثلاثة

أقوال:

أحدها: أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، والأسد هو الحيدرة.
الثاني: أن أمه فاطمة بنت أسد (رضي الله عنه) حين ولدته كان أبوه غائباً، فسمته باسم أبيها. فقدم أبوه فسماه علياً.

الثالث: أنه كان لقب في صغره بحيدرة، لأن (الحيدرة) الممتلئ لحماً مع عظم بطن. وكذلك كان علي (١).
وذكر ذلك الحلبي أيضاً، ولكنه لم يشير إلى أن اسمه في الكتب المتقدمة أسد، فراجع (٢).
ثم قال: (ويقال: إن ذلك كان كشفاً من علي كرم الله وجهه، بحيث إن الله أطلع علياً على رؤيا كان مرحب قد رآها في تلك الليلة في المنام: أن أسداً افترسه، فذكره علي كرم الله وجهه بذلك، ليخيفه، ويضعف نفسه) (٣).
ونقول:

-
- ١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٦٣ وقال: (وذكره الشيخ كمال الدين الدميري في شرح المنهاج) وراجع: حياة الحيوان (ط المكتبة الشرفية بالقاهرة) ج ١ ص ٢٣٧ ولسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ) ج ٣ ص ٨٤ و ٨٥ ومجمع البحرين ج ٣ ص ٢٦١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١٢.
 - ٢ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٩.
 - ٣ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٩.

أولاً: لو صح قولهم: إن لكلمة حيدرة عدة معان، فلماذا يختارون منها ما يوهم الناس بأمور غير محببة؟! كقولهم: الحيدرة: الممتلئ لحماً مع عظم بطن، وكذلك كان علي (عليه السلام). أي أنه لقب بـ (الحيدرة) لعظم بطنه.. مع أنهم يقولون: إن أمه هي التي سمته بذلك حين ولدته، فهل كان عظيم البطن من حين ولادته؟! وإذا كان قد صرح هو نفسه: بأن أمه قد سمته بحيدرة، وكان ذلك منذ ولادته، فما معنى قولهم: لُقِّب بذلك منذ صغره؟!

فإن اللقب غير الاسم.. والاسم يوضع للمولود من حين يولد، ولحوق اللقب في الصغر قد يتأخر لعدة سنوات.

ثانياً: ما معنى قولهم: كان لُقِّب في صغره بـ (الحيدرة)؟ ألا ينافي هذا قول علي (عليه السلام) نفسه: أنا الذي سمّني أمي حيدرة كليث غابات كريمة المنظرة ثالثاً: لماذا لا يذكرون ما قاله ابن الأعرابي: الحيدرة في الأسد مثل الملك في الناس، وما قاله أبو العباس: يعني لغلظ عنقه، وقوة ساعديه؟! رابعاً: ذكر ابن بري: أن أم علي لم تسم علياً (عليه السلام) حيدرة، بل سمته أسداً^(١).

١ - لسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ). ج ٣ ص ٨٤ و (نشر أدب الحوزة) ج ٤ ص ١٧٤ وخزانة الأدب للبغدادي ج ٦ ص ٦٤ والإمام علي بن أبي طالب = (عليه السلام) للهمداني ص ٦١٢. وراجع: شرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ١٨٥ والفايق في غريب الحديث ج ١ ص ٢٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ١٢٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٧ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٨ ونبأ المودة ج ٢ ص ١٤٤ وغريب الحديث ج ١ ص ٣٥٠ والصحاح للجوهري ج ٢ ص ٦٢٥ والنهاية في غريب الحديث ج ١ ص ٣٥٤.

لكنه (عليه السلام) لم يتمكن من ذكر الأسد لأجل القافية، فعبر بمعناه وهو: (حيدرة)، فرد عليه ابن منظور بقوله: (وهذا العذر من ابن بري لا يتم له، إلا إن كان الرجز أكثر من هذه الأبيات، ولم يكن أيضاً ابتداءً بقوله: (أنا الذي سمعتني أمي حيدرة)، وإلا فإذا كان هذا البيت ابتداءً الرجز، وكان كثيراً أو قليلاً، كان (عليه السلام) مخيراً في إطلاق القوافي على أي حرف شاء، مما يستقيم الوزن له به. كقوله: (أنا الذي سمعتني أمي الأسد)، أو (أسداً)، وله في هذه القافية مجال واسع، فنطقه بهذا الاسم على هذه القافية من غير قافية تقدمت، يجب اتباعها، ولا ضرورة صرفته إليها، مما يدل على أنه سمي حيدرة)^(١).

١ - لسان العرب (ط سنة ١٤١٦ هـ). ج ٣ ص ٨٤ و ٨٥ و (نشر أدب الحوزة سنة ١٤٠٥ هـ) ج ٤ ص ١٧٤ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٦١٢.

الصحيح في هذه القضية:

والصحيح هو: ما رواه المفيد، عن الحسين بن علي بن مُجَدِّ التمار، عن علي بن ماهان، عن عمه، عن مُجَدِّ بن عمر، عن ثور بن يزيد، عن مكحول، قال:

لما كان يوم خيبر خرج رجل يقال له: مرحب، وكان طويل القامة، عظيم الهامة، وكانت اليهود تقدمه لشجاعته ويساره.

قال: فخرج ذلك اليوم إلى أصحاب رسول الله (ﷺ)، فما وافقه قرن إلا قال: أنا مرحب، ثم حمل عليه، فلم يثبت له.

قال: وكانت له ظفر، وكانت كاهنة، تعجب بشبابه، وعظم خلقه.

وكانت تقول له: قاتل كل من قاتلك، وغالب كل من غالبك، إلا من تسمى عليك بـ (حيدرة)، فإنك إن وقفت له هلكت.

قال: فلما كثر مناوشته، وجزع الناس بمقاومته، شكوا ذلك إلى النبي (ﷺ)، وسألوه أن يخرج إليه علياً (عليه السلام)، فدعا النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام)، وقال له: (يا علي، اكفني مرحباً).

فخرج إليه أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما بصر به مرحب يسرع إليه، فلم يره يعبأ به، أنكر ذلك، وأحجم عنه، ثم أقدم وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي مرحباً.....

فأقبل علي (عليه السلام) وهو يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة كليث غابات كريه المنظره

فلما سمعها منه مرحب هرب ولم يقف، خوفاً مما حذرته منه ظنره، فتمثل له إبليس في صورة حبر من أحبار اليهود، فقال: إلى أين يا مرحب؟!

فقال: قد تسمى عليّ هذا القرن بحيدرة!!

فقال له إبليس: فما حيدرة؟!

فقال: إن فلانة ظفري كانت تحذرنى من مبارزة رجل اسمه حيدرة، وتقول: إنه قاتلك.

فقال له إبليس: شوهاً لك، لو لم يكن حيدرة إلا هذا وحده لما كان مثلك يرجع عن مثله، تأخذ بقول النساء، وهن يخطئن أكثر مما يصبن؟! وحيدرة في الدنيا كثير، فارجع فلعلك تقتله، فإن قتلته سُدت قومك، وأنا في ظهرك أستصرخ اليهود لك، فرده.

فوالله ما كان إلا كفواق ناقة حتى ضربه علي ضربة سقط منها لوجهه، وانحزم اليهود يقولون: قتل مرحب، قتل مرحب^(١).

وقالوا أيضاً: إن ضربته (عَلَيْهِ) على رأس مرحب قدته نصفين، حتى بلغت إلى السرج^(٢).

وقد تقدم: أن الكاهنة لا تعلم الغيب، فهي مع أنها كانت كاهنة لا بد أن تكون قد أخذت هذا الخبر عن أحبار اليهود الذين وجوده في كتبهم..

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٩ عن الأمامي للمفيد، والأمامي للطوسي ص ٤ ومدينة المعاجز ج ١ ص ١٧٨.

٢ - معارج النبوة ص ٣٢٣ و ٢١٩ .

إشارات ودلالات:

وقد تضمن هذا الحديث أموراً هامة تحسن الإشارة إليها، والدلالة عليها، وهي التالية:

ألف: سر زعامة مرحب:

ذكر الحديث: أن سبب تقديم اليهود لمرحب أمران:

أحدهما: شجاعته.

والثاني: يساره.

نعم.. وهذا هو المتوقع من اليهود الذين لا يفكرون إلا بالمال، وبالدينيا، والذين يسعون في الأرض فساداً، ويشيرون الفتن بين الناس، وكل همهم هو الهيمنة على الآخرين، وإذلالهم، وقهرهم، فإن ذلك هو ما ينسجم مع نظرهم الاستعلائية إلى كل من هو غير إسرائيلي، لأنهم - بزعمهم - شعب الله المختار، وقد خلق الله تعالى غيرهم من أجل خدمتهم، وقد تحدثنا عن بعض ذلك في كتابنا: سلمان الفارسي في مواجهة التحدي.

إن تقدم مرحب بينهم لم يكن لأجل عقله، ودينه، ومزايه الأخلاقية، والإنسانية، بل لأنهم يحتاجون إلى فروسيته وشجاعته، وقوته، وإلى ماله وديناه أيضاً.

ب: اكفني مرحباً:

وبعد، فما أروع كلمة رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يا علي، اكفني مرحباً)، فإنه تحدث بصيغة المتكلم

وحده (اكفني)، ربما لكي يشير: إلى أنه

(ﷺ) هو المقصود الحقيقي لمرحب، وأن همة اليهود منصرفة إلى النيل من شخص رسول الله (ﷺ)، وأن لا مشكلة لمرحب مع أحد من الناس إلا معه (ﷺ)..

أما سائر من حضر، فلا يقيم مرحب لهم وزناً، وهو قادر على استيعاب كل حركتهم ضده. وليشير (ﷺ) أيضاً: إلى أن الذي يكفيه إياه، ويدفعه عنه هو خصوص علي (عليه السلام) دون سواه، وإن كانت الدعاوى عريضة.

ج: الناس يريدون علياً (عليه السلام):

وصرحت الرواية المتقدمة أيضاً: بأن الناس حين جزعوا وعجزوا عن مقاومة مرحب التجأوا إلى النبي (ﷺ)، وسألوه أن يخرج إليه علياً (عليه السلام)، مع علمهم بشدة مرضه (عليه السلام)، فإن صحت هذه الرواية، فهي تدل على أنهم كانوا يعرفون طرفاً من جهاده (عليه السلام)، وإقدامه وتضحياته في سبيل الله تعالى. ويعرفون أنه لا يتعرض له أحد إلا هلك، ولعل طلبهم هذا يشير إلى أنهم كانوا لا يعرفون بأنه (عليه السلام) مصاب بالرمد..

وهذه الرواية لا تنافي روايات إرسال غير علي (عليه السلام) بالراية قبله، لجواز أن يكون الناس قد طلبوا من النبي (ﷺ) إرسال علي (عليه السلام) بعد فشل الذين كان قد أرسلهم قبل ذلك.. بل قد يكون طلبهم هذا قبل إرسال الآخرين أيضاً، لكن النبي

الأعظم (ﷺ) آثر أن لا يرسل علياً (عليه السلام) من أول يوم لمصالح رآها..

قاتل مرحب مُجَّد بن مسلمة:

تقدم: أن هناك من يزعم: أن قاتل مرحب هو مُجَّد بن مسلمة، وليس علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فقد روى البيهقي عن عروة، وعن موسى بن عقبة، وعن الزهري، وعن ابن إسحاق، وعن مُجَّد بن عمر عن شيوخه، قالوا: واللفظ لابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل، أخو بني حارثة، عن جابر بن عبد الله، قال:

خرج مرحب اليهودي من حصن خيبر، وقد جمع سلاحه يقول: من يبارز؟ ويرتجز:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا الليثوث أقبلت تجرب
إن حمائي للحمي لا يقرب
فأجابه كعب بن مالك:

قد علمت خيبر أني كعب مفرج الغمي جريء صلب
إن شبت الحرب تلتها الحرب معي حسام كالعقيق عضب
نظؤكم حتى يذل الصعب نعطي الجزاء أو يفني النهب

بكف ماضي ليس فيه عتب

قال ابن هشام: وأنشدني أبو زيد:

قد علمت خير أني كعب
ماض على الهول جريء صلب
بكف ماضٍ ليس فيه عتب
قال: ومرحب: ابن عميرة.

قال جابر: فقال رسول الله (ﷺ): (من لهذا)؟

قال مُجَّد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا والله الموتور الثائر، قتل أخي بالأمس.

فأمره بأن يقوم إليه، وقال: (اللهم أعنه عليه).

(وفي بعض المصادر: وأعطاه سيفه، فخرج إليه، ودعاه إلى البراز، فارتجز كل منهما).

قال: فلما دنا أحدهما من صاحبه، دخلت بينهما شجرة عُمرية (عمرته) من شجر العشر، فجعل أحدهما يلود بها من صاحبه، فكلما لاذ منه بما اقتطع صاحبه ما دونه منها، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه، وصارت بينهما كالرجل القائم، ما فيها فنن.

ثم حمل مرحب على مُجَّد بن مسلمة فضربه، فاتقاه بالدرقة، فوقع سيفه فيها، فعضت به فأمسكته، وضربه مُجَّد بن مسلمة فقطع فخذه حتى قتله^(١).

١- سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٧ و ١٢٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و ٣٨ = والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٥ و ٦٥٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٠ و ٥١ عن الإكتفاء وعن مسند أحمد ج ٣ ص ٣٨٥ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٠ وبغية الباحث ص ٢١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٥٥ ص ٢٦٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٩٩ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٧٩٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢١٥.

قالوا: ونقل رسول الله (ﷺ) محمد بن مسلمة يوم خيبر سلب مرحب: سيفه، ورمحه، ومغفره، وبيضته^(١).
قال الواقدي: (فكان عند آل محمد بن مسلمة سيفه، فيه كتاب لا يدري ما هو، حتى قرأه يهودي من يهود
تيماء، فإذا فيه:

هذا سيف مرحب من يذقه يعطب)^(٢).

ويقولون أيضاً: إنه بعد تعذيب كنانة بن أبي الحقيق دفعه (ﷺ) لمحمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه
محمود.

وذكروا في توجيه بشارة النبي (ﷺ) لمحمود بن مسلمة هذا بنزول فرائض البنات: أن محمود كان متمولاً، وكان
ماله أكثر من

-
- ١- مختصر المزني ص ٢٧٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٨ عنه، وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٦.
 - ٢- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٢١٥
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٦ ص ٣٠٩ وشرح السير الكبير ج ٢ ص ٦٠٦.

أموال أخيه مُجَّد. فلما سقطت عليه الرحى في حصن ناعم جعل يقول لأخيه: بنات أخيك لا يتبعن الأفياء، يسألن الناس.

فيقول له مُجَّد: لو لم تترك مالاً لكان لي مال. ولم تكن فرائض البنات قد نزلت. فلما كان يوم موته، وهو اليوم الذي قتل فيه مرحب، أرسل النبي (ﷺ) جعيل بن سراقة الغفاري، ليبشر محموداً بأن الله قد أنزل فرائض البنات، وأن مُجَّد بن مسلمة قد قتل قاتله. فسر بذلك، ومات في اليوم الذي قتل فيه مرحب، بعد ثلاث من سقوط الرحى عليه من حصن ناعم^(١). ونقول:

إن ذلك مكذوب جملة وتفصيلاً، وذلك لما يلي:
أولاً: هناك فاصل زمني كبير بين قتل محمود بن مسلمة وبين قتل مرحب، يصل إلى عشرات الأيام وقد قتل محمود في حصن ناعم لا في حصن القموص.

ثانياً: لا ربط بين البشارة بنزول فرائض البنات، وبين البشارة بقتل مرحب..
ثالثاً: إن الآيات المرتبطة بفرائض البنات كانت قد نزلت قبل ذلك، بسنوات، فراجع..

١ - إمتاع الأسماع ص ٣١٦ و(ط أخرى) ج ١ ص ٣١١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٨.

رابعاً: لم يثبت أن قاتل محمود بن مسلمة هو مرحب، إذ يقال: إن قاتله هو ذلك الذي أخذه علي حين فتح الحصن وسلّمه لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه، فقتله به..

ولعله هو كنانة بن أبي الحقيق الذي دفعه النبي (ﷺ) لمحمد بن مسلمة ليقتله بأخيه^(١)، فإن علياً (عليه السلام) هو الذي أخذ كنانة أيضاً وهو فاتح الحصن، فيصح نسبة تسليمه لابن مسلمة إلى النبي (ﷺ) تارة، وإلى علي (عليه السلام) أخرى.

خامساً: دعوى تعذيب كنانة على يد هذا تارة، وذاك أخرى، دليل آخر على وهن هذه الرواية، فإن التعذيب لا يمكن أن يقبله النبي، ولا الوصي، ولا أي من الذين يأتمرون بأمرهما، وقد قدمنا عن قريب وصايا علي (عليه السلام) بقاتله، وعلي هو تلميذ النبي (ﷺ).

سادساً: قال الحاكم النيسابوري والذهبي: الأخبار متواترة بأسناد كثيرة أن قاتل مرحب هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٢).

وقال الصالحى الشامى:

قلت: جزم جماعة من أصحاب المغازي: بأن مُجّد بن مسلمة هو الذي

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٤ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٤٠ وشرح السير الكبير للسرخسي ج ١ ص ٢٨١ وراجع: السير الكبير للشيباني

ج ١ ص ٢١٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢١.

٢ - المستدرک للحاکم ج ٣ ص ٤٣٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٢ و ٤٠٤.

قتل مرحباً.

ولكن ثبت في صحيح مسلم . كما تقدم . عن سلمة بن الأكوع: أن علياً (عليه السلام) هو الذي قتل مرحباً .
وورد ذلك: في حديث بريدة بن الحصيب، وأبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وعلى تقدير صحة ما ذكره جابر، وجزم به جماعة، فما في صحيح مسلم مقدم عليه من وجهين:
أحدهما: أنه أصح إسناداً.

الثاني: أن جابراً لم يشهد خيبر، كما ذكره ابن إسحاق، ومُجَّد بن عمر، وغيرهما، وقد شهدها سلمة، وبريدة،
وأبو رافع. وهم أعلم ممن لم يشهدوها.

وما قيل: من أن مُجَّد بن مسلمة ضرب ساقى مرحب فقطعهما، ولم يجهز عليه، ومرَّ به علي (عليه السلام) فأجهز
عليه، يأباه حديث سلمة، وأبي رافع، والله أعلم.
وصحح أبو عمر: أن علياً (عليه السلام) هو الذي قتل مرحباً.
وقال ابن الأثير: إنه الصحيح^(١).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٧ و ١٢٨ وأسد الغابة ج ٤ ص ٣٣١ وراجع: نيل الأوطار ج ٨ ص ٨٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٢١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٧.

وقال أيضاً: (وقيل: إن الذي قتل مرحباً، وأخذ الحصن علي بن أبي طالب، وهو الأشهر والأصح)^(١).
وقال: (الصحيح الذي عليه أهل السير والحديث: أن علياً كرم الله وجهه قاتله)^(٢).
وقال الحلبي: (وقيل: القاتل له علي (عليه السلام))، وبه جزم مسلم في صحيحه.
وقال بعضهم: والأخبار متواترة به)^(٣).

وقال أيضاً: (وقد يجمع بين القولين: بأن محمد بن مسلمة أثبتته، أي بعد أن شق علي كرم الله وجهه هامته،
لجواز أن يكون قد شق هامته، ولم يثبتته، فأثبتته محمد بن مسلمة. ثم إن علياً كرم الله وجهه وقف عليه)^(٤).
ثم استدل الحلبي على ذلك بما في بعض السير عن الواقدي، قال: (لما قطع محمد بن مسلمة ساق مرحب، قال
له مرحب: أجهز عليّ).

فقال: لا، ذق الموت كما ذاقه أخي.

ومرّ به علي فضرب عنقه، وأخذ سلبه، فاختصما إلى رسول الله (ﷺ)

١ - الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢١٩.

٢ - أسد الغابة ج ٤ ص ٣٣١ وشرح مسلم للنووي ج ١٢ ص ١٨٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٨.

٣ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٨.

٤ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٩.

في سلبه.

فقال مُجَّد: يا رسول الله، ما قطعت رجله وتركته إلا ليدوق الموت، وكنت قادراً أن أجهز عليه.
فقال علي (عليه السلام): صدق.

فأعطى سلبه لمحمد بن مسلمة^(١).

وقالوا: لعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الأكوع لمرحب، فلا ينافي ما مر عن فتح الباري^(٢).

وفي الإستيعاب: (والصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث أن علياً قاتله)^(٣).

الإختصام في سلب مرحب:

ثم إن الحديث عن اختصام علي (عليه السلام) ومُجَّد بن مسلمة إلى

-
- ١- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٩. وأشار إلى ذلك في الإمتناع ص ٣١٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٦ وراجع: السير الكبير ج ٢ ص ٦٠٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٢١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٨.
 - ٢- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٩.
 - ٣- الإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٣٧٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٨.

رسول الله (ﷺ) في سلب مرحب، مكذوب أيضاً، بدليل:

أنهم رووا: أن علياً (عليه السلام) لم يقدم على سلب عمرو بن عبد ود، وهو أنفَس سلب! وحين طالبه عمر بن الخطاب بذلك قال: (كرهت أن أبز السيِّ ثيابه)^(١).

قال المعتزلي: فكأن حبيباً (يعني أبا تمام الطائي) عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب^(٢)

كما أنه (عليه السلام) قال لعمرو بن عبد ود حين طلب منه أن لا يسلبه حلتته: هي أهون علي من ذلك^(٣).

فمن كان كذلك: فهو لا يجاحش على السلب، ولا ينازع فيه أحداً، فضلاً عن أن يرفع الأمر إلى رسول الله (ﷺ) ليفصل فيه.

١ - شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٥٥.

٢ - شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٥٥.

٣ - كنز الفوائد للكراچكي ص ١٣٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٦ و ٢٦٣ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٩٩ والإرشاد (ط دار المفيد) ج ١ ص ١١٢ والدر النظيم ص ١٦٩ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٨.

الفصل الخامس:

قلع باب خير في الحديث والتاريخ..

علي (عليه السلام) قالع باب خيبر:

ومن الأمور التي لا يرتاب منها أحد، وقد شاعت وذاعت بين الناس: قلع علي باب حصن خيبر. فقد قالوا: (وقتل علي يومئذ ثمانية من رؤسائهم، وفر الباقون إلى الحصن، فتبعهم المسلمون. فبينما علي يشتد في أثرهم، إذ ضربه يهودي على يده ضربة سقط منها الترس، فبادر يهودي آخر، فأخذ الترس، فغضب علي، فتناول باب الحصن، وكان من حديد، فقلعه، وترس به عن نفسه)^(١).

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١ وراجع: ذخائر العقبى ص ٧٣ ومسند أحمد ج ٦ ص ٨ والدرر لابن عبد البر ص ١٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٢١٦ والسيرة النبوية لابن هشام (ط محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٩٨ والمناقب للخوارزمي ص ١٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٨ وينابيع المودة ج ٢ ص ١٦٤ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٤ و مجمع البيان ج ٩ ص ٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٠.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن حسن، عن بعض أهله، عن أبي رافع مولى رسول الله (ﷺ) قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) حين بعثه رسول الله (ﷺ) برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من يهود . وقد صرحوا بأنه مرحب^(١) . فطرح ترسه من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده، وهو يقاتل، حتى فتح الله تعالى عليه الحصن. ثم ألقاه من يده حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم، نجهد على أن نقلب ذلك الباب، فما نقله^(٢).

-
- ١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٧ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣١٠ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٤١٩ وح ٨ ص ٣٨٩.
- ٢ - السيرة النبوية لابن هشام (ط المكتبة الخيرية بمصر) ج ٣ ص ١٧٥ و (ط محمد علي صبيح) ج ٣ ص ٧٩٨ والمناقب للخوارزمي ص ١٧٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٢ ص ٣٠١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٨ ومطالب السؤول ص ٢١٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١١٠ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص ٧٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١١ و ٦٢٦ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٣٧ وج ١٢ ص ٤٩٨ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٤ ومناقب أهل البيت = = للشيرازي ص ١٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ١١ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٢ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٦٧ والدرر لابن عبد البر ص ١٩٨ ومجمع البيان ج ٩ ص ٢٠٢ وتفسير التعلبي ج ٩ ص ٥١ والدر النظيم ص ١٧٥ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٩ وراجع: الإصابة ج ٢ ص ٥٠٢. وراجع: تذكرة الخواص ص ٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٥ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٢١٦ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص ٧٤ و ٧٥ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٨ ومعارج النبوة ص ٢١٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٧ ومسنند أحمد ج ٦ ص ٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٥١ عن المنتقى، والتوضيح، عن الطبراني، وأحمد.

وعن زرارة، عن الإمام الباقر (عليه السلام): انتهى إلى باب الحصن، وقد أغلق الباب في وجهه، فاجتذبه اجتذاباً، وتترس به، ثم حمله على ظهره، واقتحم الحصن اقتحاماً، واقتحم المسلمون، والباب على ظهره.. إلى أن قال (عليه السلام): ثم رمى بالباب رمياً الخ..^(١).

قال الدياربيكري: ثم لما وضعت الحرب أوزارها ألقى علي ذلك الباب الحديد وراء ظهره ثمانين شبراً.. وفي هذا قال الشاعر:

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٢ وج ٤١ ص ٢٨٠ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٠٨ ومدينة المعاجز ج ١ ص ١٧٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٢٥ ونهج الإيمان ص ٣٢٤.

علي رمى باب المدينة خيبر ثمانين شبراً وافيلاً لم يثلم^(١)
غير أن الحلبي قال: (قال بعضهم: في هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر.
قال: وقيل: ولم يقدر على حمله أربعون رجلاً. وقيل: سبعون.
وفي رواية: أن علياً كرم الله وجهه لما انتهى إلى باب الحصن اجتذب أحد أبوابه، فألقاه بالأرض، فاجتمع عليه
بعده سبعون رجلاً، فكان جهداً أن أعادوه إلى مكانه)^(٢).
وقال القسطلاني وغيره: (قلع علي باب خيبر، ولم يحركه سبعون رجلاً إلا بعد جهد)^(٣).
وروى البيهقي من طريقين: عن المطلب بن زياد، عن ليث بن أبي سليم، عن أبي جعفر محمد بن علي (عاشق)
عن آبائه، قال: حدثني جابر بن عبد الله: أن علياً (عاشق) حمل الباب يوم خيبر، حتى صعد عليه المسلمون
فافتتحوها. وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً.

-
- ١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٧.
 - ٢- السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٨ والإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٨٤ وعن البيهقي، والحاكم.
 - ٣- شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٨٣ عن الأنوار المحمدية (ط بيروت) ص ٩٨.

رجاله ثقات إلا ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف^(١).
وفي شواهد النبوة: روي أن علياً (عليه السلام) بعد ذلك حمله على ظهره، وجعله قنطرة حتى دخل المسلمون
الحصن^(٢).

وهذا إشارة إلى وجود خندق كان هناك.
فلما أغلقوا باب الحصن صار أمير المؤمنين (عليه السلام) إليه، فعالجه حتى فتحه، وأكثر الناس من جانب الخندق لم
يعبروا معه، فأخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم، حتى عبروا، فظفروا بالحصن،
ونالوا الغنائم.
فلما انصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين (عليه السلام) بيمناه، فدحا به أذرعاً من الأرض. وكان الباب يغلقه
عشرون رجلاً^(٣).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٨ و ١٢٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٢١٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٩٠ والبدية
والنهاية ج ٤ ص ١٨٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ وراجع: تذكرة الخواص ص ٢٧ والرياض النضرة (ط محمد أمين بمصر) ج ١ ص ١٨٥ . ١٨٨
ومعارج النبوة ص ٢١٩ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١ عن الحاكم، والبيهقي، وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٩ وفي هامشه عن المجالس والأخبار
ص ٦.

٢ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١ وراجع: تحف العقول ص ٣٤٦.

٣ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٦ و ج ٤١ ص ٢٨١ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٨ وعن مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٢٦ ومدينة المعاجز
ج ١ ص ١٧٥.

وَحُزِرَ النَّبِيُّ (ﷺ) عَنْ رَمِيهِ (عَائِشَةَ) بَابَ خَيْرِ أَرْبَعِينَ شَبْرًا، فَقَالَ (ﷺ): وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ أَعَانَهُ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ مَلَكًا^(١).

قال الشيخ المفيد (رحمته الله): روى أصحاب الآثار عن الحسن بن صالح، عن الأعمش، عن أبي عبد الله الجدلي قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: لما عالجت باب خير، جعلته مجنأ لي، فقاتلتهم به، فلما أخزاهم الله، وضعت الباب على حصنهم طريقاً، ثم رميت به في خندقهم.

فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً.

فقال: ما كان إلا مثل جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام^(٢).

ولا عجب في ذلك، فإنه هو الذي يقول: إنه ما قلع باب خير بقوة جسمانية، ولكن بقوة إلهية^(٣).

وقال بعض الصحابة: ما عجبنا - يا رسول الله - من قوته في حمله ورميه وإتراسه، وإنما عجبنا من إجساره، وإحدى طرفيه على يده!

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٩ وفي هامشه عن مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٧٨.

٢ - الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٢٨ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٣٣٩ والثاقب في المناقب ص ٢٥٨ وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم البحراي ص ٢٥٧ ومدينة المعاجز ج ١ ص ١٧١ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٦ و ١٧ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٥ ونهج الإيمان ص ٣٢٣.

٣ - ستأتي مصادر ذلك إن شاء الله.

فقال النبي (ﷺ) كلاما معناه: يا هذا، نظرت إلى يده، فانظر إلى رجله.
قال: فنظرت إلى رجله، فوجدتهما معلقين، فقلت: هذا أعجب، رجلاه على الهواء؟!
فقال (ﷺ): ليستا على الهواء، وإنما هما على جناحي جبرئيل^(١).
ونقول:

لا مجال لاعتبار هذا من الخرافة، فإن الله تبارك وتعالى يفعل أعظم من ذلك لمن يشاء من عباده المخلصين
والمجاهدين. وقد قال تعالى في كتابه: (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)^(٢).
وأن يضع جبرئيل جناحه تحت قدمي علي (عليه السلام) هو أحد مفردات تثبيت الأقدام، ومن أجلى مظاهر النصر
الإلهي.

التشكيك غير المنطقي:

قال القسطلاني: قال شيخنا: (قال بعضهم: وطرق حديث الباب كلها واهية، ولذا أنكره بعض العلماء)^(٣).

١ - بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٨١ عن روض الجنان.

٢ - الآية ٧ من سورة محمد.

٣ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١ عن المواهب اللدنية وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٧.

وفي بعضها قال الذهبي: إنه منكر.
وفي الإمتاع: وزعم بعضهم: أن حمل علي كرم الله وجهه الباب لا أصل له، وإنما يروونه عن رعاي الناس، وليس كذلك.

ثم ذكر جملة ممن خرجوه من الحفاظ^(١).

ونقول:

إن لنا هنا العديد من الوقفات، نجملها فيما يلي:

خير قلع الباب صحيح:

وتقدم أنهم زعموا: أن خير قلع باب خير بعضه فيه جهالة، وبعضه فيه انقطاع، وبعضه ضعيف أو منكر.. بل فيهم من يقول: طرق حديث الباب كلها واهية، أو يقول: حديث الباب لا أصل له، أو أنه يروي عن رعاي الناس..

ونقول:

أولاً: إذا ثبت حديث قلع الباب أو غيره من طريق أهل البيت (عليهم السلام) فذلك يكفينا عن كل حديث، لأن أهل البيت هم سفينة نوح، وهم أحد الثقلين الذين لن يضل من تمسك بهما. ثانياً: لقد روى حديث قلع باب خير محدثوا أهل السنة، وأثبتته علماء

١ - إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣١٠ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٧. وراجع: كشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص ٢٣٢

المسلمين في كتبهم، وذكروا أن أربعين أو سبعين رجلاً عَجَزُوا عن حمله.. فإذا كان هذا الحديث مكذوباً أو محتلقاً، فمعنى ذلك اتهام محدثي أهل السنة وعلمائهم بالكذب والإختلاق، لأنهم قد رووه وتناقلوه بأسانيدهم وفي مصادرهم.. لأن رواية هذا الحديث لا تنحصر بشيعة أهل البيت (عليه السلام).

ثالثاً: ضعف سند الحديث لا يبرر الحكم عليه بأنه مكذوب أو موضوع، لأن الكذاب والوضاع لا يكون جميع ما يروييه مكذوباً، بل يكون الكثير أو ربما أكثر ما يروييه صحيحاً، ولكنه يدخل فيه بعض الموضوعات أو التحريفات التي توافق أغراضه.

إذ لو كان جميع ما يقوله الوضاع والكذاب موضوعاً لم يجد من يروي عنه، فلا معنى للحكم الجازم بكذب حديث قلع الباب حتى لو فرضنا أن راويه يتهم بالكذب أو بالوضع..

رابعاً: لقد حكموا على بعض طرق الحديث: بأن فيه انقطاعاً.

وقالوا عن خبر آخر: إن رجاله ثقات، باستثناء شخص واحد هو ليث بن أبي سليم، مع أنه وإن ضَعَفَ الكثيرون منهم ليثاً هذا، ولكن آخرين منهم قد أثنوا عليه، ووصفوه بالصلاح والعبادة، وبغير ذلك، ولم يصفه أحد بالكذب، ولا بالوضاع على الإطلاق..

بل غاية ما قالوه عنه: إنه ضعيف في الحديث، أو مضطرب الحديث، أو ليّن الحديث، أو نحو ذلك.. وذكروا هم أنفسهم أن سبب قولهم هذا: هو أنه اختلط في آخر عمره.

فذلك يدل على: أنه في نفسه ليس من رعاى الناس، وإليك طائفة من كلماتهم فيه، نأخذها من كتاب تهذيب التهذيب متنأ وهامشأ.

قال الذهبي: أأء العلماء، كوفي.

وقال ابن حجر في تقريب التهذيب: صدوق، اختلط أأيراً، ولم يتميز حديثه، فترك.

وقال العجلي: جائر الحديث.

وقال عبد الوارث: من أوعية العلم.

وقال ابن معين: منكر الحديث، صاحب سنة.

وقال عثمان ابن أبي شبيبة: صدوق ضعيف الحديث.

وقال ابن شاهين: في الثقات.

وقال الساجي: صدوق فيه ضعف، كان سبيى الحفظ، كثير الغلط.

وقال البزار: كان أأء العباد، إلا أنه أصابه اختلاط، فاضطرب حديثه، وإنما تكلم فيه أهل العلم بهذا، وإلا

فلا نعلم أأءاً ترك حديثه..

وقال ابن سعيد: كان رجلاً صالحاً عابداً.. وكان ضعيفاً في الحديث..

ثم ذكر: أنه كان يسأل عطاء، وطاووساً، ومجاهداً، فيختلفون فيه، فيروي أنهم اتفقوا من غير تعمد.

وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره، فكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل الخ..

وقال الدارقطني: صاحب سنة، يكتب حديثه، إنما أنكر عليه الجمع

بين عطاء، وطاووس، ومجاهد حسب ..
وسئل عنه يحيى، فقال: لا بأس به.
وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة، وقد روى عنه شعبة والثوري، ومع الضعف الذي فيه يكتب حديثه.
وقال مُجَدُّ: ليث صدوق، يهَمُّ.
وقال فضيل بن عياض: كان ليث أعلم أهل الكوفة بالمناسك.
وسأل ابن أبي حاتم أباه عنه، فقال: ليث عن طاووس أحب إلي من سلمة بن وهرام عن طاووس.
قلت: أليس تكلموا في ليث؟!
قال: ليث أشهر من سلمة. ولا نعلم روى عن سلمة إلا ابن عيينة، وربيعة.
فهذه العبارات وأمثالها أفادت: أن اختلاطه في آخر عمره هو السبب في تكلمهم في حديثه، أما هو نفسه فقد وصفوه بأجل الأوصاف كما رأينا..
فإذا حصل الإطمئنان: بأن ما رواه إنما رواه قبل الإختلاط، خصوصاً إذا تأيدت صحته من طرق أخرى، كما في رواية عبد الله بن حسن، عن بعض أهله، عن أبي رافع، وكذلك غيرها من الطرق التي ذكرها البيهقي في دلائل النبوة، وما أورده في الإمتاع، فإن الرواية تصبح صحيحة، ولا يكون رواها من الرعاع، وليس فيها انقطاع ولا جهالة، ولا غير ذلك.
رابعاً: ذكر العلماء: أن تعدد طرق الحديث يعد من الشواهد التي

توصله إلى درجة الحسن^(١).

وقال الزرقاني: (..ومن القواعد: أن تعدد الطرق يفيد: أن للحديث أصلاً)^(٢).

خامساً: ما معنى وصف رواة هذا الحديث بأنهم من رعا ع الناس.. وفيهم جعفر بن محمد، عن آباءه (عليهم السلام)، وفيهم أبو رافع، وعبد الله بن حسن، وسواهم ممن يعتمد عليهم نفس هؤلاء الجارحين ويصفونهم بالأوصاف الحميدة، ويثنون عليهم الثناء الجميل، ويعظمونهم؟! اختلافات لا أثر لها:

إن الروايات المتعارضة هي تلك التي يكون موضوعها ومحمولها واحداً ذاتاً، وزماناً ومكاناً، وجهةً، وشرطاً وإضافة، وقوة، وفعلاً، وفي الكل والجزء وغير ذلك.. ولكن إحداها تثبت هذا المحمول لذلك الموضوع، والأخرى تنفيه..

وفي مثل هذه الحال لا بد من طرح الروايتين، إن لم يمكن ترجيح إحداها بمرجح مقبول ومعقول، وطرح الأخرى، أو إذا لم يمكن الأخذ بهما معاً بإسقاط التناقض، باكتشاف الخلل في أحد العناصر التي يتحقق بها التناهي، بشرط أن لا يكون جمعاً تبرعياً اقتراحياً، ليس له شاهد يؤيده.

١ - راجع: نسيم الرياض ج ٣ ص ١٠ و ١١ وتحفة الأحوذى ج ٢ ص ٣٧٢.

٢ - شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج ٦ ص ٤٩٠.

وقد نجد في أحاديث ما جرى في خير بعض الروايات التي يظن لأول وهلة أنها متناقضة، فإذا تأمل فيها الباحث اكتشف أنها ليست كذلك، ونذكر منها ما يلي:

١. أربعون أم سبعون:

تقدم: أن الذين حاولوا حمل الباب الذي أخذه علي (عليه السلام) بيده هم ثمانية رجال، وفي أخرى أنهم أربعون، وفي الثالثة: سبعون رجلاً.. فقد يتخيل أن ثمة تناقضاً.. ويمكن الجواب بأن من الممكن أن تكون هناك أكثر من محاولة لحمل ذلك الباب، أو لتحريكه، فحاول ثمانية رجال، ثم أربعون، وفي مرة ثالثة حاول سبعون، فعبجوا جميعاً عن حمله.. فلا يمكن إحراز توفر عناصر التناقض في هذا المورد، ليكون ذلك من موجبات ضعف أو سقوط الرواية عن الإعتبار..

٢. باب واحد أو بابان..

وفي بعض الروايات: أن علياً (عليه السلام) اقتلع باب الحصن، وبعضها الآخر يقول: إن ترسه طرح من يده، فوجد عند الحصن باباً، فأخذه فترس به عن نفسه. ويجب: بأن الروايتين صريحتان بالإختلاف الموجب لدفع الشبهة، فإحداهما: تصرح بأنه قد اقتلع باب الحصن حين كان يهاجمه.. والأخرى: تصرح بأنه وجد باباً عند الحصن فترس به عن نفسه، أي قبل اقتلاع باب

والمسلمون قد اصدقوا حـول النبي المرسل
ولا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار^(١)
قال سبط ابن الجوزي: (فإن قيل: قد ضعّفوا لفظه: لا سيف إلا ذو الفقار.
قلنا: الذي ذكروه: أن الواقعة كانت في يوم أحد.
ونحن نقول: إنها كانت في يوم خيبر). وكذا ذكر أحمد بن حنبل في الفضائل.
وفي يوم أحد، فإن ابن عباس قال: لما قتل علي (عليه السلام) طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين صاح صائح
من السماء:

ولا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار
قالوا: في أسناد هذه الرواية عيسى بن مهران، تكلم فيه، وقالوا: كان شيعياً.
أما يوم خيبر فلم يطعن فيه أحد من العلماء^(٢).
وقيل: إن ذلك كان يوم بدر. والأول أصح.

١ - راجع: الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٦٧ ونهج الإيمان لابن جرير ص ١٧٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ١٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٥٢ والغدير ج ٢ ص ٥٩ وج ٧ ص ٢٠٥ وتذكرة الخواص ص ١٦.
٢ - الغدير للأميني ج ٢ ص ٦٠ عن تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٦.

مضمون النداء دلالة ومعنى:

قد تحدثنا في واقعة أحد عن بعض ما نستفيدة من هذا النداء، ونزيد هنا الأمور التالية:
الأول: إن هذا التكبير وذلك النداء حجة قاطعة على الأعداء، وعلى الأولياء، يفرض عليهم اليقين بحقانية هذا الدين، وبأنه مرعي من الله، وأنه ظاهر ومنصور لا محالة.
فلا معنى لاستمرار المكابرة، ولا مبرر للقتال، إلا إذا اعتقد هؤلاء الناس أنهم أقوى من الله، وأن بإمكانهم أن يغلّبوا ربهم، ويفرضوا عليه إراداتهم.
لا بد أن تزيل عنهم هذه الكرامة (المعجزة) كل شبهة، وتغنيهم عن الأدلة والبراهين.. وتفهمهم أن حربهم على الإسلام والمسلمين، حرب باغية وظالمة وبلا مبرر، وأنهم إنما ينفقون فيها لشهواتهم، وعصبياتهم وأهوائهم..
كما أنه لا بد لأهل هذا الدين من أن يتعمق ويترسخ إيمانهم به، ويزول كل ترديد أو شبهة لهم فيه، ولا بد أيضاً من أن يزول الخوف عنهم، وأن تزيد صلابتهم في الدفاع عنه..
فما معنى فرارهم من الزحف هنا.. وما المبرر لفرارهم في حنين وأحد، وذات السلاسل، وقريظة وغيرها من المواطن؟!
ثم إن ذلك لا بد أن يسقط هيمنة القوة من نفوسهم، فلا مجال بعد للإنبهار بكثرة الأعداء، أو بحسن عدتهم وظهور قوتهم..

حتى سقطت صفة عن سريرها، فشجها جانب السرير^(١). وهي كرامة صنعها الله تعالى لعلي (عليه السلام)، كان لا بد أن يعرف بها يهود خبير كلهم، لتقوم بذلك الحجة عليهم.. وليتناقل الناس هذا الحدث الكبير، ويعرف النساء والرجال، والصغار والكبار.. ليحيي من حيي عن بينة، وبهلك من هلك عن بينة. وذلك منه تعالى لطف بالأحياء منهم، لأنه يتضمن فتح باب الهداية لهم.. وكان اهتزاز الحصن كله هو الوسيلة الفضلى التي لا مجال للريب فيها والأداة الأصلح لهذا التعريف.. كما هو ظاهر لا يخفى..

ما قلعته بقوة جسمانية:

وروا أيضاً: أن علياً (عليه السلام) قال: ما قلعت باب خبير بقوة جسمانية، ولكن بقوة إلهية^(٢).

١ - معارج النبوة ص ٣٢٣ و ٢١٩ ومشارك أنوار اليقين ص ١٧٠ وحلية الأبرار ج ٢ ص ١٦١ ومدينة المعاجز ج ١ ص ٤٢٥ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٤٠ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٣ ومستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٥٧٦ .
٢ - المواقف للإيجي ج ٣ ص ٦٢٨ و ٦٣٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥١ عن شرح المواقف، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢٠ ص ٣١٦ والطرائف لابن طاووس ص ٥١٩ وشرح مئة كلمة لأمر المؤمنين لابن ميثم ص ٢٥٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٤٣٠ وبحار الأنوار ج ٥٥ ص ٤٧ وج ٧٠ ص ٧٦ وج ٨٤ = ص ٣٢ وج ٩٩ ص ١٣٨ ومناقب أهل البيت (عليه السلام) للشيرازي ص ٢٢٢ والدر النظيم ص ٢٧١ وكشف اليقين ص ١٤١.

وفي نص آخر: أن عمر سأل علياً (عليه السلام) قال: يا أبا الحسن، لقد اقتلعت منيعاً، وأنت ثلاثة أيام خميصاً، فهل قلعتها بقوة بشرية؟!^(١)

فقال (عليه السلام): ما قلعتها بقوة بشرية، ولكن قلعتها بقوة إلهية، ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية^(٢).
وجاء في رسالته (عليه السلام) لسهل بن حنيف قوله: (والله، ما قلعت باب خير، ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية، ولا حركة غذائية، لكنني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضيئة، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء الخ...)^(٣).
ونقول:

١ - إن أمير المؤمنين (عليه السلام) عرف نفسه فعرف ربه، عرف في نفسه الضعف، فعرف أن القوة من الله، وعرف في نفسه الحاجة، فعرف الله تعالى بالغي، وعرف نفسه بأنها مخلوقة، فعرف ربه بالخالقية، وهكذا... فاستمد كل كمالاته منه تعالى.

ولأجل ذلك نلاحظ: أنه حين قلع باب خير، وجعله ترساً، أو جعله

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٤٠ عن مشارق أنوار اليقين.

٢ - الأمالي للصدوق ص ٣٠٧ و (ط مؤسسة البعثة) ص ٦٠٤ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٦ ونهج السعادة ج ٥ ص ٢١.

جسراً، يعبر عليه الناس.. كان أشد تذكراً لله تعالى، ورؤية لنعمه، وإحساساً بكرمه، وألطفه، وأعمق شعوراً بفضله عليه، فجاء اعترافه بهذه الحقيقة التي يراها رأي العين بمثابة الشكر والتعظيم له تعالى، ولعلمنا أن على الإنسان أن لا يغتر بنفسه، وأن يستكين ويخضع أمام عظمة ربه تبارك وتعالى..

٢. إن قوله هذا (عليه السلام) يهدف إلى إبعاد شبح الغلو فيه، بتقويض مبررات هذا الغلو، لأن مبرر الغلو هو توهم أن يكون (عليه السلام) قد قلع الباب بقوة الجسدية.. وهذا درس آخر للناس، يتضمن أن عليهم أن لا يأخذوا الأمور على ظواهرها، بل لا بد من التدبر والتفكير، ووضع كل شيء في موضعه. ولا غرو فإنه (عليه السلام) كان يهتم بالحفاظ على صفاء الإيمان، ونقاء العقيدة من أية شائبة أو عائبة..

٣. إنه (عليه السلام) أوضح: أن الإطمئنان بقاء الله تعالى، يهون على النفس الإنسانية الإقدام على كل أمر تعرف أن فيه رضا الله تعالى.. أما من أخلد إلى الأرض، فإنه لن يحقق شيئاً، ولن يقدم على شيء ذي بال. بل هو سوف يعيش الضعف والهروب، والفشل الذريع، والحياة القاتلة، والخزي في الدنيا، والخسران في الآخرة.. القموص ليس آخر ما فتح:

وقد صرحت بعض الروايات: بأن حصن القموص ليس هو آخر الحصون التي فتحها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلي (عليه السلام). بل هناك قلعة أخرى فتحت بعده، يقول النص:

(ولما فتح علي حصن خيبر الأعلى بقيت لهم قلعة فيها جميع أموالهم،

وما كولهـم . ولم يكن عليها حرب بوجه من الوجوه .

فنزى رسول الله (ﷺ) محاصراً لمن فيها، فصار إليه يهودي منهم، فقال: يا مُجَدِّ، تؤمّني على نفسي، وأهلي، ومالي، وولدي، حتى أدلك على فتح القلعة؟! فقال له النبي (ﷺ): أنت آمن، فما دلتك؟! قال: تأمر أن يحفر هذا الموضع؛ فإنهم يصيرون إلى ماء أهل القلعة، فيخرج ويقيمون بلا ماء، ويسلمون إليك القلعة طوعاً.

فقال رسول الله (ﷺ): أو يحدث الله غير هذا وقد أمناك.. فلما كان من الغد ركب رسول الله (ﷺ) بغلته، وقال للمسلمين: اتبعوني. وسار نحو القلعة، فأقبلت السهام والحجارة نحوه، وهي تمر عن يمنته ويسرته، فلا تصيبه ولا أحداً من المسلمين شيء منها حتى وصل رسول الله (ﷺ) إلى باب القلعة. فأشار بيده إلى حائطها، فانخفض الحائط حتى صار مع الأرض، وقال للناس: ادخلوا القلعة من رأس الحائط بغير كلفة^(١). ونقول: تستوقفنا هنا أمور عديدة، نكتفي منها بما يلي:

١- الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٣٠ و ٣١ عنه.

- ١ - إن هذه الرواية إذا صحت، فإنها تكون حجة على اليهود، تفرض عليهم التخلي عن اللجاج والعناد، وتوجب عليهم قبول الحق.. وتكون أيضاً آية للمسلمين، تقوي من ثباتهم، وتربط على قلوبهم. وتعرفهم بأن الله سبحانه يرضى نبيه (ﷺ)، ويحفظه، ويسهل له العسير، وأن انتصاره ليس متوقفاً على أحد منهم، ولا منوطاً بهم. فإذا فروا، فإن فرارهم يجرمهم من الخيرات والبركات، ويوجب لهم المذلة في الدنيا، والخسران في الآخرة..
- ٢ - إنه (ﷺ) لم يعمل بمشورة اليهودي، واستعاض عنها بإظهار هذا الأمر الخارق للعادة، ليسهل على الناس تحصيل القناعة بهذا الدين، والدخول في زمرة أهل الإيمان، والتخلي عن الإستكبار والجحود..
- ٣ - إنه (ﷺ) رغم عدم عمله بمشورة ذلك اليهودي، لكنه لم يبلغ الأمان الذي أعطاه إياه، بل هو قد صرح بأنه ملتزم به، وحافظ له..

٤ - نحتمل جداً أن تكون هذه القضية هي الرواية الصحيحة التي أوردناها في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ)، أبواب غزوة خيبر، وفيها: أن بعض اليهود دل النبي (ﷺ) على دبول (أي جدول، أو نفق) لليهود تحت الأرض، وأنهم سوف يخرجون منه..

وربما تكون أيضاً هي الأصل للرواية الأخرى التي تزعم: أن النبي

(ﷺ) قد سم لهم المياه التي يشربون منها. وقد عبرنا عن شكنا بصحة هذه الرواية أيضاً.
وللرواية الثالثة التي تقول: إنه (ﷺ) رمى حصن النزار بكف من تراب فساخ، ولم يبق له أي أثر. وذلك بعد قتال وحصار..

تواتر حديث جهاد علي (ﷺ) في خيبر:

لقد روى حديث جهاد علي (ﷺ) في خيبر جم غفير، وجماعة كثيرة، منهم:

١. علي أمير المؤمنين (ﷺ).

٢. الحسن المجتبي (ﷺ).

٣. سهل بن سعد.

٤. حسان بن ثابت.

٥. بريدة الأسلمي.

٦. سويد بن غفلة.

٧. أبو ليلي الأنصاري.

٨. عبد الرحمن بن أبي ليلي.

٩. ابن عباس.

١٠. عمر بن الخطاب.

١١. أنس بن مالك.

١٢. أبو هريرة.

- ١٣ . سلمة بن الأكوع.
- ١٤ . سعد بن مالك.
- ١٥ . عمران بن حصين.
- ١٦ . الضحاک الأنصاري.
- ١٧ . أبو سعيد الخدري.
- ١٨ . أبو رافع.
- ١٩ . ابن عمر.
- ٢٠ . جابر بن عبد الله الأنصاري.
- ٢١ . عامر بن سعد.
- ٢٢ . سعد بن أبي وقاص.
- ٢٣ . حذيفة.

ومعنى ذلك: أن هذا الحديث متواتر، والحديث المتواتر قطعي الصدور، ولا ينظر في رجال أسناده.

علي (عليه السلام) يفتح خيبر وحده:

تؤكد النصوص المتقدمة على أن علياً (عليه السلام) هو الذي فتح خيبر دون سواه، فقد ذكرت: أنه لما خرج أهل الحصن، بقيادة الحارث أخي مرحب، هاجموا أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (فانكشف

المسلمون، وثبت علي^(١).

ويقول علي (عليه السلام) مخاطباً يهودياً سأله عن علامات الأوصياء:

(إننا وردنا مع رسول الله (ﷺ) مدينة أصحابك خيبر، على رجال من اليهود وفرسانها، من قريش وغيرها، فتلقونا بأمثال الجبال، من الخيل، والرجال، والسلاح، وهم في أمنع دار، وأكثر عدد، كل ينادي، ويدعو، ويبادر إلى القتال، فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلا قتلوه.

حتى إذا احمرت الحدق، ودعيت إلى النزال، وأهمت كل امرئ نفسه، والتفت بعض أصحابي إلى بعض، وكل يقول: يا أبا الحسن، انهض.

فأنهضني رسول الله (ﷺ) إلى دارهم، فلم يبرز إلي منهم أحد إلا قتلته، ولا يثبت لي فارس إلا طحنته، ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم، مسدداً عليهم، فاقتلعت باب حصنهم بيدي، حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي، أقتل من يظهر فيها من رجالها، وأسبي من أجد من نسائها، حتى افتتحتها وحدي، ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده^(٢).

١ - راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣١٠ و ٣٣٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٣٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٦٥٣ و ٦٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٣٨٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٧١ و ٤٠٣.

٢ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٧ و ج ٣٨ ص ١٧١ والخصال ج ٢ ص ١٦ و (ط مركز = النشر الإسلامي) ص ٣٦٩ ومصباح البلاغة (مستدرک نخب البلاغة) ج ٣ ص ١٢٧ والإختصاص للمفيد ص ١٦٨ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٣٦٤.

وهذا صريح في: أن الذين كانوا مع علي (عليه السلام) قد هربوا عنه، وبقي (عليه السلام) وحده، وبالتالي يكون (عليه السلام) قد أخذ المدينة وحده.

ثم إن في هذا النص الذي ذكرناه إشارات عديدة، منها:

١ - قد يقال: إنه (عليه السلام) ذكر: أن اليهود لم يكونوا وحدهم في خيبر، بل كان معهم فرسان، من قريش، ومن غيرها. وقد بقوا يجاربون معهم إلى النهاية.. مع أن اليهود لم يكن معهم أحد من قريش..
ويجاب:

أولاً: لعل بعض فرسان قريش التحقوا بهم لمساعدتهم..

ثانياً: لعل كلمة: من قريش ومن غيرها، أريد بها توضيح المراد من الذين وردوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد كان فيهم من قريش وغيرها، وكلهم سمع عن فرسان اليهود، وأخذتهم الرهبة منهم.

٢ - أن أعداد مقاتلي خيبر كانت كبيرة جداً، حتى إنه (عليه السلام) يصفهم بأمثال الجبال من الرجال، والخييل، والسلاح، وبأنهم قد قاتلوا المسلمين بأكثر عدد، وأمنع دار..

٣ - أن رغبة اليهود ومن معهم في الحرب كانت جامحة وقوية بصورة غير عادية..

٤ . يظهر من كلامه (عليه السلام): أن عدد القتلى من المسلمين لم يكن قليلاً، حيث قال: فلم يبرز من أصحابي أحد إلا قتلوه.

٥ . أن المسلمين تضايقوا إلى حدّ أن كلاً منهم قد أهمته نفسه.

٦ . أنهم كانوا يرون: أن أحداً سواه (عليه السلام) لا يستطيع كشف هذه الغمة عنهم، فكانوا يحثونه على مباشرة الحرب، رغم ما هو فيه من رمد في العين، وصداع في الرأس.

٧ . أنه (عليه السلام) قد طحن ذلك العدو طحناً، حتى أدخلهم إلى جوف حصنهم.

٨ - أنه (عليه السلام) قد اقتلع باب حصنهم، ودخل وحده، ولم يشاركه المسلمون في ذلك، فإن كانوا قد شاركوه فإنما كان ذلك بعد سكون رياح الحرب.. وانحسار كل خطر.

٩ . والأهم من ذلك: تأكيد (عليه السلام) على أنه هو الذي فتح خير، وأن أحداً غير الله تعالى لم يعنه على ذلك.

فلا يصح قولهم: (وقام الناس مع علي حتى أخذ المدينة).

لأن الناس بعد أن قاموا معه انهزموا أمام اليهود من أهل الحصن.

ولكن حين هاجمهم علي (عليه السلام)، وأخذ باباً كان عند الحصن، ثم قتل (عليه السلام) مرحباً وسائر الفرسان، انهزم اليهود إلى داخل حصنهم، فاقتلع (عليه السلام) بابه، وهاجمهم، فتاب إليه المسلمون، وحمل (عليه السلام) باب الحصن بيده، وصار المسلمون يصعدون عليه، ويمرون إلى الحصن، فلما حصل له ما أراد ألقاه خلف ظهره ثمانين شبراً..

فلم يساعده المسلمون في الفتح، كما تحاول بعض الروايات أن تدّعيه، بل الحقيقة، كل الحقيقة هي: أن علياً (عليه السلام) قد فتح الحصن وحده، ومن دون مساعدة أحد.

ولأجل ذلك: نسب النبي (صلى الله عليه وآله) الفتح إلى علي (عليه السلام) كما تقدم. فقال: لا يرجع حتى يفتح الله علي يديه.

كما أن نفس روايات الفتح فيها تصريحات عديدة بأنه (عليه السلام) هو الذي أخذ المدينة، ولا تشير طائفة منها إلى مشاركة أحد له في ذلك، فراجع النصوص في مصادرها تجد صحة ذلك.

بل هو (عليه السلام) قد فتح الحصن قبل أن يلحق آخر الناس بأولهم، كما صرحت به بعض الروايات^(١).

وفي نص آخر: عن عبد الله بن عمر، قال: (فلا والله ما تتامت الخيل

١ - الإصابة ج ٢ ص ٥٠٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٤٦٦ والمصنف لابن أبي شيبه ج ٨ ص ٥٢١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٤٦٣ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٢ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٠٧ ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٨ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٠ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٣٠٠ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٤٣٧ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٥٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤١١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٤٢٢ ومناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفي ج ٢ ص ٥٠٩.

حتى فتحها الله عليه^(١).

وتقدم: أنهم قالوا في الحديث الوارد في تفسير قوله تعالى: **(..وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا)**^(٢): (أجمعوا على أنه فتح خيبر، وكان ذلك بيد علي بن أبي طالب بإجماع منهم).

وهذا، وسواه يجعلنا نعتقد: أن ذلك من الواضحات، فلا حاجة إلى تكثير النصوص والمصادر.

جراح علي (عليه السلام) في خيبر:

عن علي (عليه السلام) قال: جرحت في وقعة خيبر خمساً وعشرين جراحة، فجئت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما رأى ما بي بكى. وأخذ من دموع عينيه، فجعلها على الجراحات، فاسترحت من ساعتى^(٣).
ونقول:

دل هذا الخبر على ما يلي:

أولاً: إن هذه الرواية لم تتضمن أمراً غير مألوف، فإن ما ذكرته من كثرة جراح علي (عليه السلام) في خيبر لا توجب الريب فيها، فقد كان

١ - مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٤٠٦.

٢ - الآية ١٨ من سورة الفتح.

٣ - كمال الدين وقام النعمة ص ٥٤٢ وبحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٢٨ ومستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ٤٨ وإلزام الناصب ج ١ ص ٢٧٠.

(عليه السلام) وكأنه يقاتلهم وحده، حيث سبق الجميع إليهم. ولم يكن أحد أقرب إليهم منه، وقد لحقوا به، وقد فتحها.. ولا بد أن تناله سهامهم ورماحهم، وحتى سيوفهم. فلماذا لا تصيبه الجراحات الكثيرة، وهو يواجه عشرات، بل مئات الرجال؟!

ثانياً: إن للأنبياء، والأوصياء، والأولياء، وأدعيتهم، ولمساتهم، ولريقهم وعرقهم، وكل ما هو منهم آثاراً لا يمكن إنكارها في الشفاء، وفي سائر الأحوال، وفوائد جليلة وكبيرة، في الكثير الكثير من الموارد والحالات.. فما ورد في هذه الرواية من تغير حال علي (عليه السلام) بمجرد جعل النبي (صلى الله عليه وآله) من دموع عينيه على الجراحات، ليس بالأمر المستغرب، فكم لهذا الأمر من نظير في حياته (صلى الله عليه وآله).

ثالثاً: إن ذلك يسقط مقولات من ينكر التبرك والإستشفاء، بالأنبياء وبآثارهم، وريقهم، ودموعهم، وعرقهم. رابعاً: يلاحظ: أن علياً (عليه السلام) لم يقل: فشفيت من ساعتى. بل قال: فاسترحت من ساعتى، فالله تعالى يريد الكرامة الإلهية، والبركات النبوية من جهة، ثم هو نيله ثواب الجهاد، ومعانات آلام الجراح من جهة أخرى.

اللمسات الأخيرة:

قال العليمي المقدسي: كان فتح خيبر في صفر على يد علي (عليه السلام)^(١).

١ - الأئمة الجليل (ط الوهبة) ص ١٧٩.

وعن آية: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ..) (١) قال جابر: (أولى الناس بهذه الآية علي بن أبي طالب (عليه السلام)، لأنه تعالى قال: (وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) (٢) أجمعوا على أنه فتح خيبر. وكان ذلك بيد علي بإجماع منهم) (٣).

وفي هذه المناسبة يقول حسان بن ثابت:

دواءً فلما لم يحس مداويا	وكان علي أرمـد العين يتغـي
فبورك مرقياً وبورك راقيا	شفاه رسول الله منه بتفلة
مكيناً شجاعاً في الحروب مجاريا	وقال سأعطي راية القوم فارساً
به يفتح الله الحصون الأواييا	يحب إلهي والإله يحبه
علياً وسماه الولي المؤاخيا (٤)	فخص لها دون البرية كلها

والبيت الأوسط حسب رواية المفيد كما يلي:

١- الآية ١٨ من سورة الفتح.

٢- الآية ١٨ من سورة الفتح.

٣- كفاية الطالب (ط الغري) ص ١٢٠ عن الخوارزمي، وراجع: بحار الأنوار ج ٣٦ ص ١٢١ والمناقب للخوارزمي ص ٢٧٦ وكشف الغمة ج ١ ص ٣١١ وغاية المرام ج ٤ ص ٢٨٨.

٤- الفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٩ و (ط دار الحديث) ج ١ ص ٢١٧ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٦٤ و ١٢٨ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٦ ورسائل المرتضى ج ٤ ص ١٠٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٠ ومصادر كثيرة أخرى.

وقال سأعطي الراية اليوم صارماً كميماً محبباً للرسول موالياً^(١)
وجاء في خطبة الإمام الحسن (عليه السلام) بعد شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام)، قوله: منها قوله (صلى الله عليه وآله):
لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. ويقا تل جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثم
لا ترد رأيته حتى يفتح الله عليه^(٢).

١ - الإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ج ١ ص ١٢٨ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ٣٢٠ ومناقب الإمام أمير المؤمنين
(عليه السلام) للكوفي ج ٢ ص ٤٩٩ وروضة الواعظين ص ١٣١ ورسائل المرتضى ج ٤ ص ١٠٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٦ وج ٣٩ ص ١٦ وج ٤١
ص ٨٧ وإعلام الوري ج ١ ص ٣٦٥ والدر النظيم ص ١٧٦ و ٣٩٨.

٢ - راجع: خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام) للنسائي ص ٦١ وينابيع المودة (ط إسلامبول) ص ٢٠٨ و (ط دار الأسوة) ج ٢ ص ٢١٢
والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٣٠٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١١٢ والذرية الطاهرة النبوية للدولابي ص ١١٤ وشرح إحقاق الحق
(الملحقات) ج ٤ ص ٤١٢ وج ١٥ ص ٦٣٢ وج ١٦ ص ٢٥٠ وج ٢١ ص ٤٨٠ وج ٢٣ ص ١٢٣ وج ٢٦ ص ٤٨٧ وج ٣٠ ص ١٨١ وج ٣١
ص ٢٨٤ وج ٣٢ ص ٢٦٦.

الفصل السادس:

فدك.. وحديث رد الشمس..

حدود فذك:

فذك: قرية بالحجاز . بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة . أفاءها الله على رسوله (ﷺ) في سنة سبع للهجرة صلحاً، فكانت خالصة له (ﷺ). وفيها عين فوارة، ونخل كثير .

روى عبد الله بن حماد الأنصاري: أن دخلها كان أربعة وعشرين ألف دينار في كل سنة^(١).
وفي رواية غيره: سبعين ألف دينار^(٢).

حديث فذك:

زعموا: أن أهل فذك لما سمعوا ما جرى في فتح حصن الناعم في خيبر

-
- ١- بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٧٩ وج ٢٩ ص ١١٦ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ١٥٢ و ج ٩ ص ٤٧٨ ومجمع النورين ص ١١٧ و ١١٨ واللمعة البيضاء ص ٣٠٠ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١١٣ .
 - ٢- كشف المحجة ص ١٢٤ وسفينة البحار ج ٧ ص ٤٥ وبحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٢٣ ومستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ١٥٢ و ج ٩ ص ٤٧٨ ومجمع النورين ص ١١٨ واللمعة البيضاء ص ٣٠٠ .

انصاعوا للصلح، رغم أنهم كانوا قد ترددوا في بادئ الأمر، فإرسلوا إلى النبي جماعة منهم، فبعد القيل والقال صالحوه على أن لهم نصف أرضها، وللنبي النصف الآخر، فلما أجلاهم عمر، هم وأهل خيبر إلى الشام اشترى منهم حصتهم بمال من بيت المال^(١).

وفي نص آخر: لما سمعوا ما فعل المسلمون بأهل خيبر، بعثوا إلى رسول الله يسألونه أن يسيرهم أيضاً، ويتركوا الأموال، ففعل^(٢).

وهذا هو قول ابن اسحاق.

ونقول:

أولاً: لا صحة لما زعموه، من أن النبي (ﷺ) صالحهم على نصف أرضهم، ثم اشترى عمر منهم النصف الآخر..

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٦٠ واللمعة البيضاء ص ٢٩٧ و ٣٠٠ وراجع: السقيفة وفدك للجوهري ص ٩٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٢١٠ و ٢١١ وتاريخ المدينة لابن شبة ج ١ ص ١٩٤ وفتوح البلدان ج ١ ص ٣٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٥.

٢ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٢١ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٦ والدرر لابن عبد البر ص ٢٠١ ومجمع البيان ج ٩ ص ٢٠٣ وتفسير البغوي ج ٤ ص ١٩٧ وتاريخ خليفة بن خياط ص ٥٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٠٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٨٠٠ واللمعة البيضاء ص ٢٩٧ ومعجم ما استعجم ج ٢ ص ٥٢٣.

وقد تحدثنا عن ذلك في الجزء الثامن عشر من كتابنا الصحيح من سيرة النبي (ﷺ) .. ونكتفي هنا بالإشارة إلى التناقض الذي وقع فيه هؤلاء.

فقد ذكر النص الذي أشار إلى ذلك: أنهم عرضوا أن يجلبهم، فإذا كان أوان جذاها، جاؤا فجدوها، فأبى رسول الله (ﷺ) أن يقبل ذلك ..

وقال لهم محيصة بن مسعود: ما لكم منعة ولا حصون، ولا رجال، ولو بعث إليكم رسول الله (ﷺ) مائة رجل لساقوكم إليه، فوقع الصلح بينهم بأن لهم نصف الأرض بتربتها^(١).

فما معنى أن يصلحهم على نصف الأرض بتربتها بعد أن رضوا بالجللاء؟! فمن يرضى بالجللاء، هل يعطى نصف الأرض؟! ألا يعد ذلك سفهاً وتضييعاً؟!

كما أنه لا معنى لأن يطلبوا الجللاء، ثم أن يأتوا أوان الجذاذ، فيجدوا النخل، فإن من يجلو عن الأرض لا يبقى له علاقة بها، ولا يسمح له بالإحتفاظ بغلتها ومحاصيلها وشجرها.

فظهر: أن هذا النص ظاهر التناقض، بديهي السقوط ..

يضاف إلى ذلك: ما سيأتي من التصريح: بأن الصلح وقع على حقن

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٣٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٠ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٠٧.

دمائهم وحسب^(١).

ونحن هنا لا نريد التحقيق الشامل في موضوع فدك، ولكننا نود أن نشير إلى بعض ما يرتبط منها بسيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) فنقول:

الراية لعلي (عليه السلام) في فدك:

قالوا: لما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خيبر عقد لواء ثم قال: من يقوم إليه، فيأخذه بحقه، وهو يريد أن يبعث به إلى حوائط فدك.

فقام الزبير إليه، فقال: أنا.

فقال: أمط عنه.

ثم قام إليه سعد، فقال: أمط عنه.

ثم قال: يا علي، قم إليه فخذ.

فأخذه فبعث به إلى فدك فصالحهم على أن يحقن دماءهم، فكانت حوائط فدك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصاً خالصاً.

فنزّل جبرئيل فقال: إن الله عز وجل يأمرك أن تؤتي ذا القربى حقه.

قال: يا جبرئيل، ومن قرباي؟! وما حقها؟!

قال: فاطمة، فأعطها حوائط فدك، وما لله ولرسوله فيها.

فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة، وكتب لها كتاباً، جاءت

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٢ و ٢٣ و ٣٢ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٠٩ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٩١ والطبقات الكبرى لا بن سعد ج ٢ ص ١١٠.

به بعد موت أبيها إلى أبي بكر، وقالت: هذا كتاب رسول الله لي ولابني^(١).
وعن أبي سعيد الخدري: أن النبي (ﷺ) أخذ الراية فهزها ثم قال: من يأخذها بحقها؟!
فجاء فلان، فقال: أنا.
فقال: أمط.
ثم جاء آخر فقال: أنا.
فقال (ﷺ): أمط.
فعل ذلك مراراً بجماعة..
ثم قال النبي (ﷺ): والذي كرم وجهه محمد، لأعطينها رجالاً لا يفر.
هاك يا علي.
فانطلق، وفتح الله خيبر على يديه.
وفي مسند أحمد: حتى فتح الله عليه خيبر وفدك، وجاء بعجوتها وقديدها^(٢).

١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٢٢ و ٢٣ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٠٩ ومكاتيب الرسول ج ١ ص ٢٩١.
٢- راجع: تذكرة الخواص ص ٢٥ عن أحمد في الفضائل، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤ ومسند أحمد (ط دار صادر) ج ٣ ص ١٦ والبداية
والنهاية ج ٤ = ص ١٨٤ و ١٨٥ و (ط أخرى) ص ٢١١ و ٢١٢ وذخائر العقبى ص ٧٣ . ٧٥ والرياض النضرة ج ١ ص ١٨٥ . ١٨٧
وشرح الأخبار ج ١ ص ٣٢١ والعمدة لابن البطريق ص ١٣٩ و ١٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٠٤ و ١٠٥ ومسند أبي يعلى ج ٢
ص ٥٠٠ ونهج الإيمان ص ٣١٧ و ٣١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٥٢.

وفي مجمع الزوائد: ذكر أن الزبير طلبها أيضاً^(١).

ونقول:

لنا هنا وقفات هي التالية:

في خير؟! أو في فدك!:

صرحت الرواية المتقدمة: بأن عرض اللواء علي من يأخذه كان بعد الفراغ من خير، وإرادة البعث إلى حوائط فدك، ثم صرحت ببعث علي (عليه السلام) إلى فدك، وبوقوع الصلح بينه وبينهم على حقن دمائهم.. وزادت في صراحتها بالتصريح بنزول جبرئيل بأمر الله تعالى للنبي (صلى الله عليه وآله) بإعطاء فدك للزهاء (عليه السلام).

وهذا يعطي: أن رواية أبي سعيد الخدري، إما رواية أخرى لخصوص ما جرى في خير.. ولم يتعرض فيها لفدك من قريب ولا من بعيد، أو أنهم ربما حاولوا أخذ الراية لها مرة أخرى بعد فشلهم السابق. لأنهم احتملوا أن

١ - مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤ والعمدة لابن البطريق ص ١٤٢ ومسند أبي يعلى ج ٢ ص ٥٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ١٠٤ و

يكون ثمة تدخل إلهي يحقق لهم النصر السهل.. فمنعهم إياه، لأن التدخل الإلهي لن يكون لتأييد ومساعدة
الخاملين والفاشلين، لأنه يضر بحال الأمة، حين يراد الاستفادة منه بطرق ملتوية..

نعم.. إما إن الأمر كذلك، أو أن ثمة تبديلاً حصل فيها، بتوهم أن عرض الراية إنما كان في خيبر فقط، أما
فدك، ففتحت صلحاً، فلم تكن هناك حاجة للرايات فيها..

وهو توهم باطل، فإن إرسال علي (عليه السلام) إليهم، أمر مطلوب لبث المزيد من الرعب في قلوبهم، لكي يبادروا
إلى نبذ العناد، والتسليم لحكم رب العباد..

المزيد من التوضيح والبيان:

ونزيد في توضيح ما تقدم، فنقول:

١ . قد يقال: إنه (صلى الله عليه وآله) إذا كان قد عرض اللواء على من يأخذه بحقه، فالمفروض: أن يعطيه لأول طالب
له.. فلماذا قال للزبير: أمط، وكذلك قال لغيره؟! أليس ذلك يشير إلى عدم صحة هذه الرواية؟!

ونجيب بما يلي:

إن نفس قوله (صلى الله عليه وآله): من يأخذه بحقه يدل على أن هؤلاء لم يكن يحق لهم أن يطلبوه، لأنهم هربوا في خيبر
مرات عديدة، حتى حين أرسلهم مع علي (عليه السلام).. ومن يفعل ذلك، فإنه يكون قد بين أنه ليس أهلاً لأخذ
اللواء، وليس هو من الذين يفون بحقه..

٢ . إن هذا العرض الذي تعقبه هذا الرفض القوي يزيد في توضيح

الأمر للناس وللأجيال، ويعرفهم بأن هؤلاء رغم فشلهم، ورغم فرارهم بالراية من دون حق، لا يزالون يطمحون إلى ما ليسوا أهلاً له.. وهذا يعطي أنه لا بد من الحذر منهم، حين يذّر قرن الطمع، أو الجشع فيهم..

٣ . إن مبادرة هؤلاء لطلب اللواء، بعد أن فروا به وعنه بالأمس، معناها: أنهم يريدون استغفال رسول الله (ﷺ).. والتعمية على الناس، مع أنه (ﷺ) هو القائل منذ حرب بدر: لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين.

٤ . يلاحظ هنا هذا التعبير القوي الذي صدر عنه (ﷺ): حيث قال للطالب في كل مرة: امط.. وهو رد أو فقل: طرد ينضح بالحسم والحزم، ولنا أن نتخيل ما كانت تحملها النبرات التي رافقت هذا الرد، أو الطرد، وما لها من دلالات وإيحاءات.

وقد يقال: لعل هؤلاء ظنوا أن بإمكانهم تحقيق النصر في فذك، لأن ما جرى في خير قد أربع أهل فذك، حتى أصبحوا لقمة سائغة لهم.

ويجاب:

بأنه إذا عرف أهل فذك أن حملة الراية هم الذين فروا بها في خير، فسيكونون أكثر جرأة على مقاومتهم ومنازلتهم.. وإحاق هزيمة أخرى بالمسلمين، لن تكون مقبولة، ولن تكون محتملة، وربما يكون ضررها على روحيات الناس كبيراً جداً.

٦ . ولعلك تقول: إن فذك كانت أضعف من أن يُحتاج لفتحها إلى جيش عظيم، وإلى قدرات متميزة، لا

سيما وأن محيصة بن مسعود قال لهم:

لو بعث إليكم مائة رجل لسافكم إليه .. فما معنى عرض الراية من جديد؟!

ويجاب:

بأن الذي يخاف من الموت، ويسعى للبقاء على قيد الحياة يحاول أن يتجنب حتى المواجهة لأضعف الإحتمالات، وقد بين عرض النبي (ﷺ) الراية مرة ثانية: أن أحداً لم يطلبها سوى هؤلاء الذين هربوا بها في خيبر مع الجيش، الذي كان حوالي عشرة آلاف. وكان لا بد من رد هؤلاء الهاربين. لأنهم أثبتوا عملياً: أنهم غير مأمونين، ولا مؤهلين لهذه المهمة. فكان المقصود هو قيام غيرهم.. مع أنه لم يقم أحد.

فلان.. وآخر، وهاك يا علي:

١. وقد لاحظنا: أن رواية أبي سعيد الخدري فشلت بالتصريح بأي اسم من أسماء هؤلاء المردودين، بل عبرت بكلمة: فلان. وبكلمة: آخر، وبكلمة جماعة، فلماذا يتعمدون إبهام أسماء هؤلاء يا ترى؟! ..

٢. ودلت أيضاً على أن الذين طلبوا الراية ورد رسول الله (ﷺ) طلبهم، قد كثروا حتى صاروا جماعة.

٣. ثم هي قد دلت: على أنه (ﷺ) قد عرض الراية مراراً..

٤. وفي مقابل ذلك نجده (ﷺ) يعطيها لعلي (عليه السلام) دون أن يطلبها منه.. ولا يحتاج فهم أسباب هذا

وذاك إلى التعليق والبيان..

قطع الشك باليقين:

قد يتخيل أحد من أولئك الناس: أن الذين هزموا بالراية أو اللواء بالأمس، إن كانوا لا يستحقون أخذ هذا اللواء وليسوا أهلاً له، ففعل غيرهم كان يستحق، فذلك جاء هذا التأكيد والتكرار منه (ﷺ) مرة بعد أخرى، فإنه يريد أن يقطع الشك باليقين بأن أحداً غير علي (عليه السلام) لا يستحق أخذ هذا اللواء، لأنه هو الوحيد الذي يأخذه بحقه، وقد اثبت ذلك عملاً في خيبر وغيرها.

وثبت أيضاً عملاً ومن خلال فرار الجمع كله أكثر من مرة حتى عن علي (عليه السلام) في خيبر نفسها، فضلاً عما سواها: أن غيره (عليه السلام) يدعي ما ليس فيه، وبديهي أن:

كل من يدعي بما ليس فيه كذبتـه شـواهد الإمتحان

يضاف إلى ذلك: أنه كان من المصلحة سد أبواب انتحال الأعذار، التي قد يصل بعضها في وقاحته إلى حد اتهام النبي الأكرم (ﷺ) بمحاباة أحبائه، وأصفيائه، وذوي قرابته.

فضيحة لا بد منها:

ولعل ما ذكرناه وسواه يدل على أن الذين يفرون مرة بعد أخرى، ثم لا يزال حبهـم للدنـيا يدعـوهم للتـنطـح لما ليسوا أهلاً له، وقد أثبتوا فشلهم فيه. إن هؤلاء. يستحقون هذه الفضيحة، لكي يكون الناس منهم على حذر، ولا تغرهم الإدعاءات الفارغة، والإنتفاخات المصطنعة.

هذا.. وقد تحدثنا عن موضوع فدك وإعطائها لفاطمة (عليها السلام) في الجزء الثامن عشر من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وسيأتي شطر من الكلام عن ذلك في الجزء الذي نتحدث فيه عن سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) في عهد أبي بكر..

ما جرى في وادي القرى:

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خيبر إلى وادي القرى، وتحمياً يهودها ومن انضوى إليهم من العرب للقتال، قالوا: وعبأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحابه للقتال، وصفهم، ودفع لواءه إلى سعد بن عباد، وراية إلى الحباب بن المنذر، وراية إلى سهل بن حنيف، وراية إلى عباد بن بشر، ثم دعاهم إلى الإسلام وأخبرهم: إن أسلموا أحرزوا أموالهم، وحقنوا دماءهم، وحسابهم على الله.

فبرز رجل منهم، فبرز له الزبير فقتله، ثم برز آخر فقتله الزبير، ثم برز آخر، فبرز إليه علي (عليه السلام) فقتله، وبرز آخر، فقتله أبو دجانة، ثم قتل أبو دجانة مبارزاً آخر، حتى قتل منهم (صلى الله عليه وآله) أحد عشر رجلاً^(١).

ونقول:

إننا نكتفي هنا بالإلماح إلى ما يلي:

١- سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٤٨ و ١٤٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٥٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٤٤٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٢٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤١٢.

١ . إن اعطاء اللواء لسعد، واعطاء الرايات لمن ذكروا آنفاً لا يصح، فإن علياً (عليه السلام) كان هو صاحب الراية واللواء معاً في كل مشهد..

والظاهر: أن اللواء الذي أعطاه لعلي (عليه السلام) هو اللواء الأعظم، وهو لواء الجيش كله.. ثم أعطى رايات كل فريق لرجل فيهم.. فراية الخزرج لسعد، وراية الأوس لفلان.. وهكذا..

٢ . إننا لا نكاد نطمئن إلى ما زعمته الرواية المتقدمة من وقوع القتال في وادي القرى، فإن ما جرى في خيبر، وفتح حصونها، وقلع بابها، وقتل مرحب، واستسلام أهل فدك، يجعل أهل وادي القرى يجبنون عن القتال.. بل هو يميتهم رعباً.. ولا سيما مع عدم التكافؤ بينهم وبين المسلمين في العدة وفي العدد..

٣ . الالاف هنا: التواضع الذي أظهرته الرواية في نصيب علي (عليه السلام) من القتلى، مقابل نصيب أبي دجانة والزبير، فإنهما قتلا ضعف ما قتل علي (عليه السلام)!

وفي جميع الأحوال نقول:

إننا نلمح درجة من التزوير المتعمد في هذا الموضوع.. كما في غيره.. والله هو العالم بالحقائق..

رد الشمس لعلي (عليه السلام):

وذكروا: أن الشمس قد ردت . بعدما غربت . لعلي (عليه السلام) في

منطقة الصهباء، قرب خيبر^(١).

وفي بعض الروايات: أنه (ﷺ) كان مشغولاً بقسم الغنائم في خيبر.

وفي نص آخر: كان النبي (ﷺ) قد أرسله في حاجة فعاد، فنام (ﷺ) على ركبته، وصار يوحى إليه..

فغابت الشمس، أو كادت.

وفي بعض الروايات: أنها ردت إليه مرات عديدة، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتابنا: (رد الشمس لعلي

(عليه السلام)، فراجع.

١ - مصادر ذلك كثيرة، فراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفي ج ٢ ص ٥١٧ ومشكل الآثار ج ٢ ص ٩ وج ٤ ص ٣٨٩ وكفاية الطالب ص ٣٨٥ والشفاء ج ١ ص ٢٨٤ والمعجم الكبير ج ٢٤ ص ١٤٥ وكنز العمال ج ١٢ ص ٣٤٩ وعمدة القاري ج ١٥ ص ٤٣ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٨٠ والسالبي المصنوعة ج ١ ص ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ ومنهاج السنة ج ٤ ص ١٩١ و ١٨٨ و ١٨٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٠١ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨٦ و ٣٨٥ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ١٦٧ و ١٧٤ و ١٧٩ وج ٢١ ص ٤٢ و ٤٣ عن علل الشرائع ص ١٢٤ وعن المناقب ج ١ ص ٣٥٩ و ٣٦١ وعن الخرائج والجرائح، ونسيم الرياض ج ٣ ص ١٠ و ١١ و ١٢ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٠٩ و ٢١٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٨ وعن المنتقى في مولد المصطفى للكازروني.

غير أننا سوف نكتفي هنا بالإلماح إلى نقاط يسيرة، حول ما كان من ذلك في غزوة خيبر، فنقول:
رواة حديث رد الشمس:

إن حديث رد الشمس لعلي (عليه السلام) في المواضع المختلفة قد روي عن ثلاثة عشر صحابياً، وقد وردت رواية اثني عشر منهم في مصادر أهل السنة أيضاً. وهم:

- ١ - علي أمير المؤمنين (عليه السلام).
- ٢ - والإمام الحسين (عليه السلام).
- ٣ - وأسماء بنت عميس.
- ٤ - وأبو هريرة.
- ٥ - وأبو ذر.
- ٦ - وأم هانئ.
- ٧ - وعبد خير.
- ٨ - وأم سلمة.
- ٩ - وجابر بن عبد الله الأنصاري.
- ١٠ - وأبو سعيد الخدري.
- ١١ - وسلمان.
- ١٢ - وأنس.

١ - تجد هذه الروايات في: كتاب مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) لابن المغازلي ص ٩٦ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٧٠ ومشكل الآثار ج ٢ ص ٨ و ج ٤ ص ٣٨٨ - ٣٩٠ وكفاية الطالب ص ٣٨١ - ٣٨٨ وفتح الملك العلي ص ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢١ و ١٤١ و ١٤٤ وعن الرياض النضرة ص ١٧٩ و ١٨٠ وراجع: البداية والنهاية ج ٦ ص ٧٧ - ٨٧ والمناقب للخوارزمي ص ٣٠٦ و ٣٠٧ ولسان الميزان ج ٥ ص ٧٦ و ١٤٠ و ٣٠١ وكنز العمال ج ١٢ ص ٣٤٩ و ج ١١ ص ٥٢٤ و ج ١٣ ص ١٥٢ والشفاء لعياض ج ١ ص ٢٨٤ وترجمة الإمام علي (عليه السلام) من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٢٨٣ - ٣٠٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٨ وصفين لنصر بن مزاحم ص ١٣٥ ونيابيع المودة للقدوزي ص ١٣٨ وتذكرة الخواص ص ٤٩ - ٥٣ ونزل الأبرار ص ٧٦ - ٧٩ والضعفاء الكبير للعقيلي ج ٣ ص ٣٢٧ و ٣٢٨ والمعجم الكبير ج ٢٤ ص ١٤٥ - ١٥٨ ومنهاج السنة ج ٢ ص ١٨٦ - ١٩٥ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٥٠ و ج ٨ ص ٢٩٧ وكشف الخفاء للعجلوني ج ١ ص ٢٢٠ و ٤٢٨ والمقاصد الحسنة للسخاوي ص ٢٢٦ والخصائص الكبرى للسيوطي ج ٢ ص ٣٢٤ وعمدة القاري للعبيني ج ١٥ ص ٤٣ والذلي المصنوعة للسيوطي ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٤١ والفصل لابن حزم ج ٢ ص ٨٧ و ج ٥ ص ٣ و ٤ عن كتاب رد الشمس للفضلي العراقي وفتح الباري ج ٦ ص ١٥٥ عن الطبراني في الكبير، والحاكم، والبيهقي في الدلائل، والطحاوي، وفراديس السمطين ج ١ ص ١٨٣ ونهج السعادة ج ١ = ص ١١٧ و ج ٧ ص ٤٤٨ و ٤٤٩ والإمام علي (عليه السلام) لأحمد الهمداني ص ١٧٧ - ١٧٩ وإفحام الأعداء والخصوم ص ٢٦ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ٤٥ - ٤٧ وتذكرة الموضوعات للفتني ص ٩٦ وحقائق التأويل ص ٧٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٩ و ١٠ - ١٦ ورجال النجاشي ص ٨٥ و ٤٢٨ والفهرست ص ٧٩ ونور الثقلين ج ٥ ص ٢٢٥ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي ج ١ ص ١١١ - ١١٤ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ والإحتجاج (ط النجف) ج ١ ص ١٦٦ ومائة منقبة ص ٨ والمستجدات من كتاب الإرشاد ص ١٣٥ والصراف المستقيم ج ١ ص ١٦ و ٩٩ و ١٠٤ و ١٥٣ و ٢٠١ و حلية الأبرار ج ٢ ص ٣٢٧ وكشف الظنون ج ٢ ص ١٤٩٤ وبشارة المصطفى، ومراة الجنان ج ٤ ص ١٧٨ والجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ٩٧ وعلل الشرائع ج ٢ ص ٤٨ - ٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٠١ و ٢٠٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨٣ - ٣٨٧ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ١٦٦ - ١٩١ و ج ٤٣ ص ٩٧ و ج ٢١٧ و ج ٩٩ ص ٣٠ و ج ١٧ ص ٣٥٧ و ٣٥٨ و ج ٥٥ ص ١٦٦ و ج ٨٠ ص ٣١٧ و ٣١٨ و ٣٢٤ و ٣٢٥ وقرب الإسناد ص ٨٢ والخرائج والجرائح ج ٢ ص ٥٠٠ و ٥٠٢ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج ٣ ص ٥١ وعن أمالي المفيد ص ٩٤ وعن الكافي ج ٤ ص ٥٦١ و ٥٦٢ وأمالي ابن الشيخ ص ٦٤ وعن السرائر وعدة الداعي ص ٨٨ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ٣٤٦ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٧٠ وتفسير البرهان ج ٢ ص ٩٨ و ج ٤ ص ٣٨٧ ونسيم الرياض ج ٣ ص ١٠ - ١٤ وشرح الشفاء للملا علي القاري (بهامش نسيم الرياض) ج ٣ = ص ١٠ - ١٣ وإحقاق الحق (قسم الملحقات) ج ١٦ ص ٣١٦ - ٣٣١ و ج ٥ ص ٥٢١ - ٥٣٩ و ج ٢١ ص ٢٧١ - ٢٧١ وفيض القدير ج ٥ ص ٤٤٠ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١١ وشرح المواهب للزرقاني ج ٦ ص ٢٨٤ - ٢٩٤. وراجع أيضاً: عيون المعجزات ص ٧ و ٤ و ١٣٦ وبصائر الدرجات ص ٢١٧ و ٢٣٩ و ٢٣٧ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ١٣٥ - ١٣٨ وكتاب المزار الكبير لابن المشهدي ص ٢٥٨ و ٢٥٥ وإقبال الأعمال ج ٣ ص ١٣٠ والمزار للشهيد الأول ص ٩١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٥ ص ٨١ و ج ١٤ ص ٢٥٥ و ج ٣ ص ٤٦٩ و ج ١٠ ص ٢٧٧ و ج ٣٠ ص ٣٠ و ج ٣٨ و ج ١٩ ص ٣٢٨ و ٣٤٠ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٣٠ و ٦١١ والهداية الكبرى ص ١٢٣ - ١٣٠ والمسترشد ص ٢٦٥ ومناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٥١٦ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ وخاتمة المستدرک ج ٤ ص ٩٤ و ٢٢٤ و ٢٢٦ وروضة الواعظين ص ١٢٩ و ١٣٠ وخصائص الأئمة ص ٥٢ و ٥٦ و ٥٧ والخصال ص ٥٥٠ ومعالم العلماء ص ٥٦ و ٧٨ و ١١٣ و ١٥٢ وإيضاح الإشتباه ص ١٠٢ ورجال ابن داود ص ٣٩ ونقد الرجال ج ١ ص ١٢٩ و ج ٥ ص ٣٥٣ و ٣٥١ وجامع الرواة ج ١ ص ٥٣ و ج ٢ ص ٥٣١ والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج ٢ ص ٧٧ وتغذيب المقال ج ٢ ص ٢٢ و ج ٣ ص ٣٥٣ و ٣٥٦ و ج ٤ ص ٤٥٣ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٢٠ وسير أعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٤٤ والكشف الحثيث ص ٤٤ وإعلام الوری ج ١ ص ٣٥٠ و ٣٥١ وقصص الأنبياء للراوندي، ونهج الإيمان لابن جبر ص ٧٠ وكشف اليقين ص ١١٢ ودفع الشبهة عن الرسول للحصني الدمشقي ص ٢٠٦ = ومدينة المعاجز ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٠٢ و ٢٠٥ و ٢٠٧ و ٢١٠ و ٢١٧ و ج ٤ ص ٢٥٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٢ و ٤١٧ و ٤١٩ و خلاصة عقبات الأنوار ج ١ ص ١٤٧.

وهذا الحديث متواتر، فلا حاجة إلى التكلم حول أسانيده وقد صححه، أو حسنه عدد من الحفاظ، من علماء أهل السنة أنفسهم، مثل الطحاوي، وعياض، وأبي زرعة، والطبراني، وأبي الحسن الفضلي، والقسطلاني، ودحلان، وغيرهم^(١).

وقال الدياربيكري: وهذا حديث ثابت الرواية عن ثقات^(٢).

وقال بعضهم: يتعذر الحكم على هذا الحديث بالضعف^(٣).

لماذا لم تنقل الأمم ذلك؟!:

وقد حاولوا التشكيك بهذه الحادثة، بأن الشمس لو ردت بعدما غربت لراها المؤمن والكافر، وهو أمر غريب تتوفر الدواعي على نقله،

١ - راجع كتابنا: رد الشمس لعلي (عليه السلام)، فصل: الأسانيد والرواة.

٢ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٥٨ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٤٣ عن المنتقى في مولد المصطفى.

٣ - راجع: بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٧٥ عن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٥٩ . ٣٦٥ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٧٩ و ٨٠ و ٨٧ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢١١ ومنهاج السنة ج ٤ ص ١٨٧ و ١٨٩ والغدير ج ٣ ص ١٣٨ ورسائل في حديث رد الشمس للمحمودي ص ٦٩ و ١٨٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٤٣٨.

فالمفروض أن ينقله جماعة كثيرة من الأمم المختلفة^(١).

والجواب:

أولاً: إن الدواعي لدى كثير من أهل الإسلام كانت متوافرة على كتمان هذا الحديث والتكتم على هذا الحدث، لأنه مرتبط بعلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي سبوه حوالي ألف شهر على منابرهم، ولم يدخروا وسعاً في تصغير قدره، وإبطال أمره، والتشكيك بفضائله، وإنكار مقاماته إن أمكنهم ذلك.

ورغم ذلك، فإن هذه الحادثة قد نقلت عن ثلاثة عشر صحابياً.

ثانياً: إن الشمس قد حبست ليوشع بالإتفاق، وهو حدث كوني أيضاً، وإنما وصل إلينا خبر ذلك بواسطة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم^(٢). ولم تنقله الأمم في كتاباتها، ولا أهل الأخبار في مروياتهم.

ثالثاً: وقد عبرت بعض الروايات: بحبس الشمس لعلي (عليه السلام).. والحبس يقتضي أن تكون قد شارفت على المغيب، فتحبس حتى يقضي علي (عليه السلام) صلواته، ثم تغيب. وقد لا يلتفت إلى هذا الأمر إلا الذي هو معني به.

١- راجع: بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٧٥ عن مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٥٩ - ٣٦٥ وراجع: البداية والنهاية ج ٦ ص ٧٩ و ٨٠ وراجع ص ٨٧ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢١١ ومنهاج السنة ج ٤ ص ١٨٧ و ١٨٩ وغير ذلك.

٢- منهاج السنة ج ٤ ص ١٨٤.

كما أن بعضها قال: إن الشمس حين رُدَّت، كانت قد غابت، أو كادت تغيب^(١).
فردّها مع وجود النور القوي قد لا يتنبه له الكثيرون، وليس لمراد بردها جعلها في وسط قبة الفلك، بل المراد
ردها بمقدار يتمكن فيه المصلي من أداء صلاته..
فلماذا لا يقال: إن الشمس حبست في بعض المرات، ورُدَّت في بعضها الآخر، في وقت كان نورها لا يزال
غامراً للأفق، فلم يلتفت الناس إلى ما جرى، إلا الذين كانوا يراقبونها، كأولئك الذين جرت القضية أمامهم، ويريد
الله ورسوله أن يريهم هذه الكرامة لعلي (عليه السلام)..
رابعاً: سيأتي إن شاء الله تعالى: أن حصول هذا الأمر كان على سبيل الكرامة والإعجاز الإلهي، وإنما يجب أن
يري الله تعالى معجزته لمن أراد سبحانه إقامة الحجة عليه، وإظهار الكرامة له، كما سيتضح.

١ - راجع: بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٥٩ وج ٨٠ ص ٣٢٤ عن صفين للمنقري، وعن الخرائج والجرائح، وفضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن
عقدة ص ٧٥ ورسائل في حديث رد الشمس للمحمودي ص ٢١٣ و ٢١٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٦ ص ٧٧ و (ط دار إحياء التراث
العربي) ص ٨٦ وتاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ترجمة الإمام علي ج ٢ ص ٢٩٢ و (ط دار الفكر) ج ٤٢ ص ٣١٤ وراجع ج ٧٠
ص ٣٦ والموضوعات لابن الجوزي (ط المكتبة السلفية) ج ١ ص ١٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٢٦.

لم تحبس الشمس إلا ليوشع:

وزعم أبو هريرة: أن النبي (ﷺ) قال: لم تحبس الشمس على أحد إلا ليوشع، أو نحو ذلك. وقد تمسك البعض بهذا الحديث لإنكار حديث رد الشمس^(١).

ويرد عليه:

أولاً: إن أبا هريرة لا يؤتمن فيما يرويه على علي (عليه السلام)، كيف وقد ضرب على صلته في باب مسجد الكوفة، ثم روى لهم حديث: من أحدث في المدينة أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله. ثم شهد بالله أن علياً (عليه السلام)

١ - السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥ وراجع الحديث في: مشكل الآثار ج ٢ ص ١٠ و ج ٤ ص ٣٨٩ وعن المعتصر من المختصر، وتذكرة الخواص ص ٥١ ونزل الأبرار ص ٧٨ وميزان الإعتدال ج ٣ ص ١٧٠ والضعفاء الكبير للعقيلي ج ٣ ص ٣٢٨ وكنز العمال ج ١١ ص ٥٢٤ وفتح الباري ج ٦ ص ١٥٤ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٧٩ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ١ ص ٣٧٦ و ج ٦ ص ٨٧ و ٣١٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٠٢ ونسيم الرياض ج ٣ ص ١٠ و ١١ وبهامشه شرح الشفاء للقاري ج ٣ ص ١١ و ١٣ والجامع الصغير حديث رقم (٧٨٨٩) ومسنده أحمد (ط دار الحديث في القاهرة) ج ٨ ص ٢٧٥ و (ط دار صادر) ج ٢ ص ٣٢٥ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢١٠ وفيض القدير ج ٥ ص ٥٦٢ وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٣٧ وقصص الأنبياء لابن كثير ج ٢ ص ٢٠٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ٤٣٩.

قد أحدث في المدينة^(١).

مكذباً بذلك آية التطهير، وجميع أقوال النبي (ﷺ) في حق علي (عليه السلام)، مثل أن علياً مع الحق والحق مع علي، ونحو ذلك..

ومن جهة أخرى، فقد روي عن علي (عليه السلام) قوله: ألا إن أكذب الناس، أو أكذب الأحياء على رسول الله (ﷺ)، أبو هريرة^(٢).

١ - راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٧ وأضواء على السنة المحمدية لمحمود أبي رية ص ٢١٨ وشيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبي رية ص ٢٣٧ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٦٥٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٥٥ والنص والإجتهد ص ٥١٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٩٥ ونهاية الدراية للسيد حسن الصدر ص ٢٢ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٢٩ ونهج السعادة ج ٨ ص ٤٨٦ والكنى والألقاب ج ١ ص ١٧٩ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ٤٣.

٢ - الإيضاح لابن شاذان ص ٤٩٦ والغارات للثقفى ج ٢ ص ٦٦٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٩٦ وجمار الأنوار ج ٣٣ ص ٢١٥ وج ٣٤ ص ٢٨٧ ومستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٢٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج ٣ ص ٢٤٧ وشجرة طوبى ج ١ ص ٩٧ وأضواء على السنة المحمدية ص ٢٠٤ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص ١٦٠ و ١٨٦ و ١٨٨ وشيخ المضيرة أبو هريرة ص ١٣٥ عن سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٣٥ وراجع: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦.

وقد وضع معاوية قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السلام)، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يرغب فيه، فاختلفوا ما أرضاه. منهم أبو هريرة^(١).
ثانياً: لو صح هذا الحديث، فلعل أبا هريرة قد دلس فيه، ورواه عن شخص آخر. ويكون قول النبي (صلى الله عليه وآله):
لم تحبس الشمس إلا ليوشع، قد صدر عنه قبل رد الشمس لعلي (عليه السلام) في خيبر وفي بدر..
ثالثاً: إن هذا الحديث لو صح: فإنما ينفي حبس الشمس لغير يوشع، ولا ينفي ردها..
رابعاً: حديث أبي هريرة مردود عليه، فقد روي حبس الشمس لرسول الله (صلى الله عليه وآله) صبيحة الإسراء، وفي الخندق^(٢).

١- شرح نوح البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٦٣ و ٦٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص ٢٩٤ وبحار الأنوار ج ٣٠ ص ٤٠١ وج ٣٣ ص ٢١٥ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٢٨ وقاموس الرجال للتستري ج ١١ ص ٥٥٤ وشيخ المضيرة أبو هريرة ص ١٩٩ و ٢٣٦ وصلح الحسن للسيد شرف الدين ص ٣٢٦.

٢- راجع: عمدة القاري ج ١٥ ص ٤٢ و ٤٣ وراجع: فتح الباري ج ٦ ص ١٥٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٢٠٢ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨٣ ونسيم الرياض ج ٣ ص ١١ و ١٢ و ١٣ وبهامشه شرح الشفاء للقاري ج ٣ ص ١٣ وفيض القدير ج ٥ ص ٤٤٠ وبحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٥٩ والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٢١٠ و ٢١١.

خامساً: قد حبست الشمس، وردّت لغير رسول الله (ﷺ) أيضاً، فقد روي: أنها حبست لداود (عليه السلام).

وردت لسليمان (عليه السلام).

وحبست لموسى (عليه السلام).

وحبست في أيام حزقييل.

وزعموا: أنها حبست لأبي بكر.

وزعموا: أنها حبست للحضرمي^(١).

سادساً: ورد عن الشافعي وغيره: ما أوتي نبي معجزة إلا أوتي نبينا (ﷺ) نظيرها أو أبلغ منها^(٢).

سابعاً: قال الشافعي: إن الشمس إذا كانت قد حبست ليوشع ليالي قتال الجبارين، فلا بد أن يقع نظير ذلك

في هذه الأمة أيضاً^(٣). فيدل ذلك على أن ما ثبت ليوشع، وهو وصي موسى، ولحزقييل، وداود، وسليمان،

١ - راجع كتابنا: رد الشمس لعلي (عليه السلام) ص ٦٣ - ٦٥ للإطلاع على بعض تفاصيل ذلك، وعلى بعض مصادره.

٢ - عمدة القاري ج ١٥ ص ١٤٤ راجع: رسائل في حديث رد الشمس للشيخ المحمودي ص ١٠٨ وتفسير البغوي ج ١ ص ٢٣٦ وتفسير البحر المحيط ج ٢ ص ٢٨٣.

٣ - نسيم الرياض ج ٣ ص ١٢ والالآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٤١ ورسائل في حديث رد الشمس للمحمودي ص ١٠٨ وعن الصواعق المحرقة ص ١٩٧.

وموسى (عليه السلام) لا بد أن يثبت لوصى محمد في هذه الأمة، ولنينا محمد نفسه (صلى الله عليه وسلم) .. وذلك للأخبار الواردة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في أنه سيجري في أمته ما جرى في الأمم السابقة^(١).
ثامناً: إن كلام أبي هريرة ليس صريحاً في نفي ردها لعلي (عليه السلام). إذ لعل المراد: أن الله تعالى لم يردها قبل علي (عليه السلام) لغير يوشع.. ويقصد بالغير: من عدا الأنبياء طبعاً. أو يكون المقصود لم يجسها لأحد من الأوصياء لغير يوشع وصي موسى (عليه السلام)، وعلي (عليه السلام) وصي محمد (صلى الله عليه وسلم) ..
الذين يرون المعجزة:

وبعد.. فإن الذين يجب أو يمكن أن يروا المعجزة كمعجزة شق القمر، أو رد الشمس هم:

إما الصفوة الأخيار، الذين تزيدهم يقيناً وإيماناً.

وإما الذين يراد إقامة الحجة عليهم، أو ردّ التحدي الوارد من قبلهم، وتحطيم كبريائهم، وبغيهم.

ويراها أيضاً أولئك الذين خدعوا بالباطل، من أجل تعريفهم بزيغ الذين خدعواهم، وبباطلهم، وجحودهم..

١- راجع: المستدرک للحاکم ج ١ ص ١٢٩ ومجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٦٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٦٣٦ والمعجم الكبير ج ١٧ ص ١٣ ومسنند الشاميين ج ٢ ص ١٠٠ وكنز العمال ج ١١ ص ١٧٠ و ٢٣٠.

وأما الآخرون الغافلون فقد يجب أن لا يراها الكثيرون منهم، وهم الذين يصابون بالخوف، والهلع، الذي يُفقدُ إيمانهم قدرته على التأثير في جلب المثوبة لهم، لأن المناطق في جلب المثوبة هو الإختيار، البعيد عن أجواء الإلحاء، والاضطرار، ليكون إيماناً مستنداً إلى الوعي والالتفات، وإلى القناعة الناتجة عن روية وتبصر، وعن تأمل وتفكر، ووعي وتدبر.

إختلال النظام الكوني:

وقد زعموا أيضاً: أن رد الشمس لعلّي (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غير ممكن، لأنها لو تخلفت أو ردت لاختلت الأفلاك، وفسد النظام^(١).

ونقول:

أولاً: إن أمر الكون بيد الله تعالى، فهو يخضعه للمعجزة، دون أن يوجب حدوثها أي اختلال في نظامه.. لأن صانع المعجزة هو إله قادر عالم حكيم.. وليس عاجزاً ولا جاهلاً. ثانياً: هذا الكلام لو صح للزم تكذيب جميع المعجزات التي لها ارتباط بالنظام الكوني، ومن ذلك معجزة انشقاق القمر. ومعجزة حبس الشمس ليوشع. وغير ذلك..

١ - راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٥ و (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٠١ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ١٧٥ وتذكرة الخواص ص ٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٥٩. ٣٦٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ٢ ص ١٤٦.

لو ردت لعلي (عليه السلام) لردت للنبي (صلى الله عليه وآله):

وقالوا: لو ردت الشمس لعلي (عليه السلام) لردت للنبي (صلى الله عليه وآله)، حينما نام هو وأصحابه عن صلاة الصبح في الصهباء، وهو راجع من غزوة خيبر نفسها^(١).

ونقول:

أولاً: حديث نوم النبي (صلى الله عليه وآله) عن صلاة الصبح لا يمكن قبوله.

ثانياً: إن الشمس ردت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في غزوة الخندق وغيرها، وحبست له (صلى الله عليه وآله) حين الإسراء.

وتقدم أيضاً: أنها ردت وحبست لغيره من الأنبياء والأوصياء السابقين..

بل زعموا: أنها حبست للحضرمي، ولأبي بكر أيضاً. كما أن من يصدق بهذا وذاك، فعليه أن يعتقد أن ذلك

لا يوجب اختلال النظام الكوني أيضاً.

ثالثاً: قال الخفاجي: (إنما ردت إلى علي (عليه السلام) ببركة دعائه (صلى الله عليه وآله)). مع أن كرامات الأولياء في معنى

معجزات الأنبياء).

١ - البداية والنهاية ج ٦ ص ٧٩ و ٨٠ و ٨٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٦ ص ٨٨ وراجع: منهاج السنة ج ٤ ص ١٨٧ و ١٨٩.

إلى أن قال: (مع أن المفضل قد يوجد فيه ما لا يوجد في الفاضل. كما يلزم منه القول بعدم حبسها ليوشع^(١)).

ولعله يقصد بقوله: قد يوجد في المفضل ما لا يوجد في الفاضل: أن بعض المصالح قد توجب حدوث أمر للمفضل، ولا يكون هناك ما يوجب حدوثه للفاضل..

فإذا كان هناك من سوف يعاند علياً (عليه السلام) في إمامته، وفي خصوصيته، وفي أفضليته على البشر جميعاً، باستثناء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإن الله يختصه (عليه السلام) بكرامات تثبت له ذلك كله، وتقيم عليهم الحجة فيه، فيولد علي (عليه السلام) في الكعبة، ولا يولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها، ويقلع علي (عليه السلام) باب حصن خيبر، وترد له الشمس و.. و.. الخ.. ولا يكون هناك ما يقتضي حدوث ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله)..

علي (عليه السلام) لا يترك الصلاة:

وقالوا: إن علياً (عليه السلام) أجلُّ من أن يترك الصلاة^(٢). فإذا ورد ما ينسب ذلك إليه، فلا بد من رده.

ونقول:

أولاً: صرح النص الذي ذكر رد الشمس لعلي (عليه السلام) في منزل

١ - شرح الشفاء للقاري (مطبوع مع نسيم الرياض) ج ٣ ص ١٣.

٢ - منهاج السنة ج ٤ ص ١٨٦ و ١٩٥.

رسول الله (ﷺ) في المدينة، بأن علياً (عليه السلام) قد صلى إيماءً، وأراد الله أن يظهر كرامته، فردها عليه ليصلي صلاة المختار.

ثانياً: إذا كان الغروب يتحقق بذهاب الحمرة المشرقية، فإذا أردت فور غيابها عن النظر، فإن الصلاة لا تكون قضاء في هذه الحالة، لأن المفروض أن الغروب لم يتحقق بعد.. فلا يصح القول: إن الصلاة قد فاتته، وقد روي في صحيح مسلم وغيره: أنه (ﷺ) قال: إذا غابت الشمس من ها هنا وأشار إلى المغرب، وأقبل الليل من ها هنا، وأشار إلى المشرق، فقد أفطر الصائم^(١).

ثالثاً: ذكرت بعض النصوص: أن الله تعالى رد الشمس عليه، أو حبسها له بعدما كادت تغرب.

وهذا معناه: أن صلاة العصر لم تكن قد فاتته، لأن وقتها يمتد إلى وقت غروب الشمس.

وقال ابن إدريس في السرائر: (ولا يحل أن يعتقد أن الشمس غابت، ودخل الليل، وخرج وقت العصر بالكلية،

وما صلى الفريضة (عليه السلام)، لأن هذا من مُعْتَقِدِهِ جهل بعصمته (عليه السلام)، لأنه يكون محلاً بالواجب

١ - صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣٢ والمجموع للنووي ج ٦ ص ٣٠٣ وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٣٢٨ و ٣٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٥٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٤ ص ٢١٦ ومسنند الحميدي ج ١ ص ١٢ والسنن الكبرى للنسائي ج ٢ ص ٢٥٢ والإستدكار لابن عبد البر ج ٣ ص ٢٨٨ .

المضيق عليه. وهذا لا يقوله من عرف إمامته، واعتقد بعصمته^(١).

وعلى كل حال: فإن مناوئي علي (عليه السلام) قد سعوا بكل ما لديهم من طاقة وحول إلى إبطال هذه الكرامة الكبرى له (عليه السلام)، أو إثارة الشبهات والتشكيكات حولها، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره الشائنون، والحاقدون، والحاسدون لعلي (عليه السلام)، وللأئمة الطاهرين من ولده (عليهم السلام)..

فمن أراد الاطلاع على المزيد مما يرتبط بهذا الموضوع، فليرجع إلى كتابنا الموسوم بـ: (رد الشمس لعلي عليه السلام)، والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

١ - راجع: السرائر ج ١ ص ٢٦٥ وبحار الأنوار ج ٨٠ ص ٣١٨.

الباب السابع:

إلى فتح مكة..

الفصل الأول:
ذات السلاسل..

سرية ذات السلاسل:

١ - ورد في بعض الروايات عن الإمام الصادق (عليه السلام): أن النبي (صلى الله عليه وآله) وجّه عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً، يجيئ أصحابه ويجبنونه، فأرسل علياً (عليه السلام) وأمره أن لا يفارقه العين، فأغار عليهم، فنزلت: (وَالْعَادِيَاتِ صَبْحاً..) إلى آخر السورة^(١).

٢ - وروي: أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما بعث سرية ذات السلاسل، عقد الراية وسار بها أبو بكر، حتى إذا صار بها بقرب المشركين اتصل بهم خبرهم، فتحرزوا ولم يصل المسلمون إليهم.

فأخذ الراية عمر وخرج مع السرية، فاتصل بهم خبرهم، فتحرزوا، ولم يصل المسلمون إليهم.

فأخذ الراية عمرو بن العاص، فخرج في السرية فأنهزموا.

فأخذ الراية علي، وضم إليه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن العاص، ومن

١ - أمالي ابن الشيخ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٥ و ٧٦ عنه، والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٢ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦١.

كان معه في تلك السرية.

وكان المشركون قد أقاموا رقباء على جبالهم، ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم واستعدادهم.

فلما خرج علي (عليه السلام) ترك الجادة، وأخذ بالسرية في الأودية بين الجبال.

فلما رأى عمرو بن العاص وقد فعل علي ذلك، علم أنه سيظفر بهم، فحسده، فقال لأبي بكر، وعمر، ووجوه السرية: إن علياً رجل غر، لا خبرة له بهذه المسالك، و نحن أعرف بها منه، وهذا الطريق الذي توجه فيه كثير السباع، وسيلقى الناس من معرفتها أشد ما يحاذرونه من العدو، فاسألوه أن يرجع عنه إلى الجادة.

فعرّفوا أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك، فقال: من كان طائعاً لله ولرسوله منكم فليتبني، ومن أراد الخلاف على الله ورسوله فلينصرف عني.

وفي نص آخر: فقال لهم أمير المؤمنين (عليه السلام): الزموا رحالكم، وكفوا عما لا يعينكم، واسمعوا وأطيعوا، فإني أعلم بما أصنع^(١).

فسكتوا، وساروا معه، فكان يسير بهم بين الجبال في الليل، ويكمن في الأودية بالنهار، وصارت السباع التي فيها كالسنانير، إلى أن كبس المشركين

١ - راجع هذه الفقرة في: بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٤ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٩ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٧.

وهم غارون آمنون وقت الصبح، فظفر بالرجال، والذراري، والأموال، فحاز ذلك كله، وشد الرجال في الحبال كالسلاسل، فلذلك سميت غزاة ذات السلاسل.

فلما كانت الصبيحة التي أغار فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) على العدو . ومن المدينة إلى هناك خمس مراحل .
خرج النبي (صلى الله عليه وآله) فصلى بالناس الفجر، وقرأ: (والعاديات) في الركعة الأولى، وقال: (هذه سورة أنزلها الله عليّ في هذا الوقت، يخبرني فيها بإغارة علي على العدو . وجعل حسده (أي حسد الإنسان) لعلي حسداً له، فقال: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)^(١) . والكنود: الحسود^(٢) .

٣ . وذكر نص آخر: أن أعرابياً أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) باجتماع قوم من العرب في وادي الرمل لبيئته في المدينة .. فأخبر النبي (صلى الله عليه وآله) المسلمين ..

فانتدب إليهم جماعة من أهل الصفة، فأقرع بينهم، فخرجت القرعة على ثمانين رجلاً، فاستدعى أبا بكر، فقال له: خذ اللواء، وامض إلى بني سليم، فإنهم قريب من الحرة ..

فمضى إليهم . وهم ببطن الوادي، والمنحدر إليهم صعب . فخرجوا

١ - الآية ٦ من سورة العاديات .

٢ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٦ و ٧٧ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٧ و ١٦٨ وراجع: إثبات الهداة ج ٢ ص ١١٨ .

إليه . حين أرادوا الإنحدار . فهزموه، وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً .
فَعَقَدَ (ﷺ) لعمر بن الخطاب، وبعثه إليهم .. فهزموه أيضاً .
فأرسل إليهم عمرو بن العاص بطلب من عمرو نفسه، فخرجوا إليه، فهزموه، وقتلوا جماعة من أصحابه ..
فدعا علياً (عليه السلام)، فعقد له، ثم قال: (أرسلته كراراً غير فرار) .
وشيعه إلى مسجد الأحزاب، وأنفذ معه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن العاص .
فسار بهم (عليه السلام) نحو العراق متنكباً للطريق، حتى ظنوا أنه يريد بهم غير ذلك الوجه، ثم انحدر بهم على محجة
غامضة، حتى استقبل الوادي من فمه ..
وكان يسير بالليل، ويكمن بالنهار .
فلما قرب من الوادي أمرهم أن يعكمو الخيل ..
فعرف عمرو بن العاص أنه الفتح .
ثم ذكرت الرواية نحو ما تقدم في الرواية السابقة .
ثم قالت: قالوا: وقتل منهم مئة وعشرين رجلاً . وكان رئيس القوم الحارث بن بشر، وسبى منهم مئة وعشرين .
فلما رجع واستقبله النبي (ﷺ) والمسلمون .. قال له: (لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما
قالت النصارى في

المسيح عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بمأى من الناس إلا وأخذوا التراب من تحت قدميك^(١).

٤ - وجاء في نص آخر: أن النبي (ﷺ) أخبر الناس بما أنذر به الإعرابي، وقال لهم: (فمن للوادي)؟! فقام رجل من المهاجرين، فقال: أنا له يا رسول الله، فناوله اللواء، وضم إليه سبع مائة رجل، فسار إليهم، فسأله عن شأنه، فأخبرهم، فقالوا: (ارجع إلى صاحبك، فإننا في جمع لا تقوم له)، فرجع. فأرسل مهاجراً آخر، فمضى، ثم عاد بمثل ما عاد به صاحبه. فأرسل علياً (عليه السلام) فمضى إلى وادي الرمل، فوائى القوم بسحر، فأقام حتى أصبح، ثم عرض على القوم أن يسلموا أو يضربهم بالسيف، فطلبوا منه أن يرجع كما رجع أصحابه، فأبى، وأخبرهم أنه علي، فاضطربوا لما عرفوه، ثم اجتروا على مواعته، فقتل منهم ستة أو سبعة، وانهمزوا، وظفر المسلمون بالغنائم، ورجعوا. فاستقبله المسلمون والنبي، فلما بصر بالنبي (ﷺ) ترجل عن فرسه، وأهوى إلى قدميه يقبلهما. فقال له (ﷺ): (اركب، فإن الله تعالى ورسوله عنك

١ - الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٤ و ١٦٥ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٧ - ٧٩ وراجع ص ٨٣ و ٨٤ وتفسير فرات، والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٤٩٨ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ١٠٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٣ و ٢٣١.

راضيان).

فبكى علي (عليه السلام) فرحاً، ونزلت سورة العاديات في هذه المناسبة^(١).

٥ - وفي حديث ابن عباس: أنه (عليه السلام) دعا أبا بكر إلى غزوة ذات السلاسل، فأعطاه الراية فردها..

ثم دعا عمر، فأعطاه الراية فردها.

ثم دعا خالد بن الوليد فأعطاه الراية، فرجع.

فأعطاهها علياً (عليه السلام) فانطلق بالعسكر، فنزل في أسفل جبل كان بينه وبين القوم، وقال: اركبوا (لعل

الصحيح: اكموا) دوابكم.

فشكا خالد لأبي بكر وعمر: أنه أنزلهم في واد كثير الحيات، كثير الهام، كثير السباع، فإما يأكلهم مع دوابهم

سبع، أو تعقرهم ودوابهم حيات، أو يعلم بهم العدو فيقتلهم..

فراجعوا علياً (عليه السلام) بالأمر، فلم يقبل منهم.

١ - راجع: الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٤ - ١١٧ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٠ - ٨٢ عنه وج ٣٦ ص ١٧٨ و ١٧٩ وج ٤١ ص ٩٢ و ٩٣ وعن إعلام الوري ص ١١٦ و ١١٧ ومناقب آل أبي طالب ص ٣٢٨ - ٣٣٠ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ١٠٠ - ١٠٣ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٤ - ٥٧٦ وعن كشف الغمة ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣٢ وكشف اليقين ص ١٥١ و ١٥٢ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٠ و ٨٤١.

ثم راجعوه مرة أخرى فلم يقبل.

فلما كان السحر أمرهم فطلعوا الجبل، وانحدروا على القوم، فأشرف عليهم، وقال لأصحابه: انزعوا عكمة دوابكم، فشمت الخيل ربح الإناث، فصهلت، فسمع القوم صهيل الخيل فهربوا.

فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم. فنزلت سورة (والعاديات) على النبي (ﷺ)، ثم جاءت به البشارة^(١).
إختلافات لها حل:

وقد ظهرت في النصوص المتقدمة بعض الإختلافات التي تحتاج إلى معالجة معقولة ومقبولة.
وهذه المعالجة ليست بعيدة المنال في هنا.

ونحن نذكر نماذج من تلك الإختلافات، ثم نعقب ذلك بما نراه معالجة مناسبة، فنقول:
من إختلافات الروايات:

ظهرت إختلافات كثيرة في الروايات التي ذكرناها، وفي سواها مما لم نذكر، مما تعرض لهذه الحادثة.. فلاحظ ما يلي:

١. هل بعث النبي (ﷺ) هذه السرية إلى قضاة،

٢ - ١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٢ و ٨٣ وج ٤١ ص ٩٢ و ٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٨ و ٣٢٩ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٥ وتفسير فرات ص ٥٩١.

وعاملة، ولحم، وجذام، وكانوا مجتمعين؟!^(١).

أو إلى قضاة فقط^(٢).

أو إلى بني سليم^(٣).

أو بعث عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الشام؟!^(٤).

٢. هل المقتولون من الأعداء حين هاجمهم علي (عليه السلام) مئة

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٨ عن البلاذري.

٢ - سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣١ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٩ وعمدة القاري ج ١٨ ص ١٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١٩٩.

٣ - بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٠٨ و ج ٢١ ص ٧٧ و ٨٠ و ج ٣٦ ص ١٧٨ وتفسير فرات ص ٥٩٢ وكشف اليقين ص ١٥١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٠ و ٨٤١ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٤ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٢ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٠.

٤ - سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢ ص ٢٣ وأسد الغابة ج ٤ ص ١١٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣١١ و ٣١٢ و ج ٥ ص ٢٣٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ١٠٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥١٦ و ج ٤ ص ٤٣٥ وفتح الباري ج ٨ ص ٥٩.

وعشرون رجلاً، والسبايا منهم مئة وعشرون ناهداً؟^(١).

أم قتل منهم ستة، أو سبعة، ثم انهزموا؟^(٢).

٣ . هل المحرض لأبي بكر وعمر على الإعتراض على علي في مسيره في الطريق الوعر هو عمرو بن

العاص؟^(٣).

أم هو خالد بن الوليد؟^(٤).

٤ . هل اعترض أبو بكر وعمر، وابن العاص على المنزل الذي أنزلهم فيه علي (عليه السلام)^(٥).

أم اعترضوا على الطريق التي سلكها بهم؟^(٦).

١ - تفسير فرات ص ٥٩٢ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٤ عنه.

٢ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨١ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٦ وإعلام الورى ص ١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٦ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٢٨٥ ومنهاج الكرامة ص ١٦٧.

٣ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٧ و ٧٨ وج ٣٦ ص ١٧٩ وج ٤١ ص ٩٢ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٧ والإرشاد ج ١ ص ١٦٤ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٢ وكشف اليقين ص ١٥١ و ١٥٢.

٤ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٢ وج ٤١ ص ٩٢ وتفسير فرات ص ٥٩١.

٥ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٢ وج ٣٦ ص ١٧٩ وج ٤١ ص ٩٢ وتفسير فرات ص ٥٩١ وشجرة طوي ج ٢ ص ٢٩٥.

٦ - الإرشاد ج ١ ص ١٦٤ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٢ وكشف اليقين ص ١٥١ = و ١٥٢ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٧ و ٧٨.

٥. من الذي أخبر النبي (ﷺ) بجمع الأعداء، وبعدهم، وبما تعاقبوا عليه؟! هل هو جبرائيل؟! أم رجل أعرابي؟! (٢).
٦. هل أغار علي (عليه السلام) على الأعداء عند الفجر؟! أم عند السحر؟! (٤).
٧. هل خرج إلى أبي بكر ممتنا رجل، فكلموه، وخوفوه، فرجع؟! أم (٥).

-
- ١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٦٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٤ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٢ وتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٤.
- ٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٧ و ٨٠ والإرشاد ج ١ ص ١١٤ و ١٦٢ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٨٤٤.
- ٣- راجع: بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٦ و ٧٧ و ٧٩ و ٨٣ و ٤١ ص ٩٢ والأمل للشيخ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٥ وتفسير فرات ص ٦٠٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٩ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٨ والإرشاد ج ١ ص ١٦٥ والمستجدات من كتاب الإرشاد ص ١٠٣ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣٢.
- ٤- بحار الأنوار ج ١ ص ٨٣ و ٨٤ وتفسير فرات ص ٥٩٢.
- ٥- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٦٩ و ٧٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٥ وتفسير فرات ص ٥٩٩ وتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢ وإعلام الورى ص ١١٦ و ١١٧ وتأويل الآيات ص ٨٤٥ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٣.

أنه لما صار إلى الوادي، وأراد الإنحدار هاجموه، وهزموه، ثم أرسل إليهم عمر فهزموه، ثم عمرو بن العاص فكذلك؟! (١).

٨. هل تمكن علي من كبس المشركين وهم غارون فظفر بهم؟! (٢)، أم أنهم سمعوا صهيل خيله فولوا هارين؟! (٣).
أم أنه لم يباغتهم، بل خاطبهم، وأخبرهم أن النبي (ﷺ) أرسله إليهم، فأجترأوا عليه وقتلوه؟! (٤).
٩. هل ذهبت السرية إلى وادي اليباس؟! (٥) أو أنها ذهبت إلى وادي

-
- ١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٨ وج ٣٦ ص ١٧٩ وج ٤١ ص ٩٢ والإرشاد ج ١ ص ١٦٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٨ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ١٠١ و ١٠٢ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٠ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١ وكشف اليقين ص ١٥١.
٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٩ و ٨٤ وتفسير فرات ص ٥٩٣ ص ٦٠٢ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٨ وراجع: الإرشاد ج ١ ص ١٦٥ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ١٠٣.
٣- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٣ وج ٤١ ص ٩٣ وتفسير فرات ص ٥٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٩.
٤- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨١ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٦ وإعلام الوري ص ١١٦ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٦.
٥- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٦٨ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٢٩٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٤ وتفسير فرات ص ٥٩٩ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢ والتفسير الأصفى ج ٢ ص ١٤٦٩ وبحوث في تاريخ القرآن للزرندي ص ٥١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٤.

الرملة؟! (١).

١٠ . هل فر المشركون بمجرد سماعهم صهيل خيل علي (عليه السلام)؟! (٢) أو أنهم فروا بعد أن كلمهم علي، وأخبرهم بأن النبي (صلى الله عليه وآله) أرسله إليهم؟! (٣).

١١ . بعض النصوص اقتضت على أن عمرو بن العاص هو المهاجم، لأولئك القوم، الذي دَوَّخ البلاد. وفي بعضها: أنه أرسل عمر ففشل، فأرسل علياً (عليه السلام)، فكان

-
- ١ - مستدرک الوسائل ج ٤ ص ١٦١ و بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٠٨ و ج ٢١ ص ٨٠ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٤ و إعلام الوری ج ١ ص ٣٨٢ و كشف الغمة ج ١ ص ٢٣٠ و الإرشاد ج ١ ص ١٦٢ و المستجد من كتاب الإرشاد ص ١٠٠ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٤ و النص و الإجتهد ص ٣٣٦ و كشف اليقين ص ١٥١ و تأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٠.
 - ٢ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٣ و ج ٤١ ص ٩٣ و تفسير فرات ص ٥٩٢ و مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٩.
 - ٣ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨١ و الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٦ و إعلام الوری ص ١١٦ و ١١٧ و موسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٦.

الفتح على يديه^(١).

وفي بعضها: أرسل أبا بكر، وعمر، وعلياً^(٢).

وفي بعضها: أرسل رجلاً من المهاجرين ثم رجلاً من الأنصار، ثم علياً (عليه السلام)^(٣).

وفي بعضها: أرسل أبا بكر، ثم عمر، ثم ابن العاص، ثم علياً^(٤).

ونص آخر: يذكر أبا بكر، ثم عمر، ثم خالداً، ثم علياً^(٥).

١٣. وهل كان عدد أفراد السرية خمس مئة مقاتل، مئتان منهم جاء

-
- ١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٥ والأمامي للشيخ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ والصافي (تفسير) ج ٥ ص ٣٦١ والتفسير الأصفى ج ٢ ص ١٤٦٩.
 - ٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٦٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٤ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٤ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٢ وتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢.
 - ٣- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٠ وراجع ص ٦٦ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٤ وإعلام السورى ص ١١٦ و ١١٧ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٨ و ٥٢٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٤.
 - ٤- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٧ و ج ٤١ ص ٩٢ والخرائج والمراجيح ج ١ ص ١٦٧ والإرشاد ج ١ ص ١٦٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٨ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ١٠١ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١.
 - ٥- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٢ وتفسير فرات ص ٥٩١.

بهم أبو عبيدة مدداً لعمرو بن العاص؟!^(١).

أو كان العدد أربعة آلاف؟!^(٢)، أو سبع مئة مقاتل؟!^(٣).

أو أنه أرسل ثمانين رجلاً مع علي أخرجتهم له القرعة؟!^(٤).

١٤ - وهل إن أبا بكر وعمر عادا إلى النبي (ﷺ)، ولم يباشرا قتالاً، كما في رواية القمي؟!..

أم أن أولئك القوم خرجوا إلى أبي بكر فهزموه، وقتلوا من المسلمين

-
- ١ - راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٦٧ و ١٦٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٧٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ١٧٥ وعن عيون الأثر ج ٢ ص ١٧١ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ١٣١ وغير ذلك كثير.
 - ٢ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٦٧ - ٧٣ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٥ وتفسير فرات ص ٥٩٩ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦٢ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٢ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٤.
 - ٣ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٠ و ٨٢ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١١٤ و ١١٧ وعن إعلام الوری ص ١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٥.
 - ٤ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٩ - ٧٧ و ٨٣ و ٨٤ وج ٣٦ ص ١٧٨ وراجع: الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٤ - ١٦٦ وتفسير فرات ص ٥٩٢ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ١٠١ وكشف اليقين ص ١٥١ وتأويل الآيات ج ٢ ص ٨٤٠ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣.

جمعاً كثيراً؟! (١).

١٥ . هل يبعد موقع هذا الحدث عن المدينة اثنتي عشرة مرحلة؟! (٢) أو أربع عشرة؟! (٣) أو خمس مراحل؟! (٤) .
أم أنها كانت أقرب من ذلك، حيث كان المشركون قد جعلوا رقباءهم فوق جباهم ينظرون إلى كل عسكر يخرج
من المدينة إليهم؟! (٥)، أم أنهم كانوا من بني سليم، وكانوا قريبين من الحرة؟! (٦) .

-
- ١ - الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٣ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٨ عنه ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٢٨ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ١٠١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ٢ ص ٥٧٧ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١ .
 - ٢ - معجم البلدان ج ٢ ص ١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤٧٩ وكتاب العين للفراهيدي ج ٥ ص ٣٤٢ .
 - ٣ - راجع: فتح الباري ج ٨ ص ٤٤٨ وشرح النووي على صحيح مسلم (ط دار الكتاب العربي) ج ١٥ ص ٤٥ و (ط دار الفكر) ص ٥٨ وتحفة الأحوذى (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٣١٢ و ج ٨ ص ٤٠٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٥ ص ٣١٠ و ج ٨ ص ٤٠٢ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٣١٢ وعون المعبود ج ١ ص ١٧٤ وعمدة القاري ج ٩ ص ٦٤ ومجمع البحرين ج ١ ص ٢٦٥ .
 - ٤ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٧ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٨ .
 - ٥ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٧ والخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٧ .
 - ٦ - الإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٦٣ . ١٦٥ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٧ . ٧٩ و ٨٣ = و ٨٤ عنه، وعن تفسير فرات ص ٥٩٢ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ١٠١ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٣١ .

١٦ . وهل حدث ذلك قبل مؤتة؟! أو بعدها؟! أو سنة سبع؟!^(١)، أو ثمان في جمادي الآخرة؟! أو بعد قريظة، وقبل المريسيع؟!^(٢).

فإن كانت سنة سبع، أو قبل المريسيع، فلا يتلاءم ذلك مع قولهم: إن إسلام عمرو بن العاص كان سنة ثمان. كانت تلك طائفة من الاختلافات بين الروايات، وهناك اختلافات أخرى أعرضنا عنها اكتفاءً بما ذكرناه.. وهذه الاختلافات وإن أمكن معالجة قسم منها، ولكن القسم الآخر لا بد أن يبقى على لائحة الإنتظار. وربما يمكن القول بأن هناك أكثر من واقعة حدثت، وقد تشابهت في بعض الخصوصيات، وظهر التباين في البعض الآخر.

وفي جميع الأحوال لا بد من معالجة بعض ما ورد في هذا المقام، فنقول:

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٧٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٥ والنص والإجتهد ص ٣٣٦ عن السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٧٢ و ٢٧٤ وعن الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٠ وراجع: معجم قبائل العرب ج ٣ ص ٩٧٤ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٥٨.

٢ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٠.

تحرزوا، بدل: انهزموا:

وقد ذكرت بعض الروايات: أن أبا بكر وعمر، انهزما بمن معهما من وجه المشركين، ولكننا نجد الرواية رقم (٢) تقول: (حتى إذا صار بقرب المشركين اتصل بهم، خبرهم، فتحرزوا، ولم يصل المسلمون إليهم). ولكن حين يصل الحديث إلى ابن العاص نجد الرواية تصرح بهزيمته ومن معه، فما هذا العطف والحنان على أبي بكر وعمر، الذي حرم منه عمرو بن العاص، مع أن عمرو كان من حزبهم أيضاً! ولكن قد فات هؤلاء أن القارئ والسامع لا بد أن يشك في الأمر هنا ويقول: لماذا تحرز المشركون من أبي بكر وعمر، ولم يتحرزوا من عمرو بن العاص؟! ولماذا هاجموه، وتحاشوا مهاجمتهما؟! كزار غير فرار، مرة أخرى:

وقد ذكرت الرواية الثانية قول النبي (ﷺ) عن علي (عليه السلام): إنه كزار غير فرار.. وهي العبارة نفسها التي كان (ﷺ) قد قالها في خيبر، بعد هزيمة أبي بكر وعمر وغيرهما، وأعطى الراية لعلي، فعاد بالفتح.. وقد ظهر مصداق هذه الكلمة في علي (عليه السلام)، وفي مناوئيه في مناسبات عدة أخرى، فهم فرارون، حتى عن علي (عليه السلام) الذي كان كزاراً في نفس تلك المواطن التي فرَّ فيها أولئك، فضلاً عما عداها.. فقد حصل ذلك في:

١ - قريظة .

٢ - خيبر .

٣ - فدك .

٤ - وادي الرمل بمشاركة عمرو بن العاص ..

٥ - ذات السلاسل قرب المدينة بمشاركة خالد .

٦ - وربما في بني سليم .

٧ - وربما في قضاة في بلاد الشام ..

هذا كله .. عدا ما جرى في أحد، وحنين، والخذق .. وغير ذلك .. فهل هذه محض صدف؟! ولماذا يصبر النبي (ﷺ) على تكرار إعطاء الراية لغير علي أولاً، وربما لعدة أشخاص، فينهزمون، ثم يعطيها علياً (عليه السلام) فيعود بالنصر المؤزر؟!!

ثم يكرر هذا الفعل في مورد آخر .

ثم في ثالث ورابع و .. الخ ..؟! ألا ترى معي أنه كان يريد أن يفهم الناس أمراً بعينه؟!!

على خلاف ما يتوقع:

وقد رأينا أنه (ﷺ) قد أرسل مع علي (عليه السلام) نفس أولئك المهزومين بالراية قبله .. ولعل سبب ذلك هو:

١ - أن يريد بهم بأم أعينهم أن النصر قد تحقق بوسائله الطبيعية، من خلال شجاعة، وحكمة وتدبير القائد .

٢ . إنه قد يكون هناك رغبة لدى بعضهم لإفشال علي في مهمته، ولو بالإتصال بالمشركين، وتحذيرهم من هجومه (عليه السلام).

النصر بالقائد، لا بالعسكر:

وقد رأينا: أن النبي (ﷺ) أرسل علياً (عليه السلام) في ثمانين رجلاً فقط، وهم من أهل الصفة كما تقدم، وأهل الصفة هم من الضعفاء الذين ليس لهم أموال، يعتمدون عليها..

أما أبو بكر وعمر، وابن العاص، فقد كان معهم الجيش الكثيف، المؤلف من خمس مئة، أو سبع مئة مقاتل، أو من آلاف المقاتلين.. وإذ بالنصر يأتي على يد علي (عليه السلام)، ويأبى أن يأتي على يد أولئك، رغم كثرة جموعهم.

مع العلم بأن هزيمة الجيش أولاً ثلاث أو أربع مرات، من شأنها أن تجعل الهزيمة في المرة التالية أكثر احتمالاً، لأن المهم تكون قد تضاءلت، والرغبة والرغبة في السلامة تأكدت..

كما أن الأعداء يصبحون أكثر جرأة، وحملاتهم أشد شراسة.

فالنصر في هذه المرة يكون أبعد منالاً، وأقل احتمالاً.

ولكن حين يكون المنتدب لهذه المهمة هو علي (عليه السلام)، فإنه يجعل من الضعف لدى أصحابه قوة له، ومن رهبتهم جرأة وإقداماً، ومن الهزيمة الروحية لهم اندفاعاً وبأساً ومراساً.

الحسد القاتل:

وإن تحريض عمرو بن العاص لأبي بكر وعمر على نقض تدبير علي (عليه السلام)، حين أدرك أنه سوف يأتي بالنصر، لا نجد له مبرراً إلا الحسد الغبي، والحقد الأرعن لإنسان مهزوم، كان يمكن أن يلجأ صورته ببعض الأعداء حتى لو كانت باهتة وشوهاء، ولو بأن يقر بما انتابه من رعب وحوار، وخوف، ناشيء عن ضعف البصيرة، وضعف الصلة بالله، الأمر الذي هوّن عليه مخالفة التكليف الإلهي، وليدّع. بعد ذلك. أنه قد ندم وتاب، وأسف لما بدر منه.

ولكن لا يمكن تصور إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر يسعى لتضييع النصر على الدين وأهله، استجابة منه لرديلة الحسد، والحقد غير المبرر ولا المقبول!
استجابة الشيخين لتحريض ابن العاص:

ولا ندرى كيف نفسر انقياد أبي بكر وعمر لتحريض عمرو لهما على العمل لكسر إرادة علي (عليه السلام)، والإخلال بعزيمته، وإبطال تدبيره.

فإن كانا لم يلتفتا إلى حقيقة ما يرمي إليه ابن العاص.. فالسؤال هو أين ما يدعيه محبوهما لهما من حصافة في الرأي، ومن بعد نظر، وحكمة وتبصر في الأمور..
وإن كانا قد التفتا إلى مقاصد عمرو بن العاص، ورضيا بأن يشاركاه في سعيه هذا، فالمصيبة أعظم، وأشد مرارة، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

منطق علي (عليه السلام):

ويظهر من جواب أمير المؤمنين (عليه السلام) لهؤلاء المعتضين: أنه يعتبر اتباعهم له (عليه السلام) إطاعة لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله)، وأن الاعتراض عليه عصيان لله ولرسوله..

وهو يصرح: بأن إصرارهم على اعتراضهم سوف ينتج طردهم من صفوف الجيش الذي يقوده (عليه السلام). وعليهم أن يواجهوا عاقبة فعلهم هذا، وأن يقدموا تفسيراً مقبولاً ومرضياً لدى رسول الله (صلى الله عليه وآله)..

وإذا أضيف إلى ذلك جوابه الآخر، المتضمن لأمرهم بلزوم رحالهم، والكف عما لا يعينهم، فإنه يكون قد أفهمهم:

١. أنه سوف يكون حازماً في موقفه هذا بنحو لا مجال فيه لأي جدل، أو اعتراض، لأنه في موقف لا مكان لغير الحزم فيه، وسيكون إفساح المجال للجدل، وللتشكيك، والأخذ والرد فيه سبباً في خلق مشكلات، ونشوء عراقيل قد تؤثر على المهمة التي انتدبه الرسول (صلى الله عليه وآله) لإنجازها.

٢. إن الانضباط في المهمات القتالية، والكون في المواقع التي تحددها من قبل القيادة للأفراد، يعطي القدرة على التخطيط، والطمأنينة لسلامة التنفيذ، ويمكّن من تحقيق النتائج، بعيداً عن المفاجآت التي يهيئ لها الخلل في الإعداد والاستعداد..

٣. إن تدخل الجنود فيما لا يعينهم، وخصوصاً فيما يرتبط بالقرارات

الحرية للقيادة.. معناه: أن يفقد القائد قدرته على التأثير في فرض قراراته، وفي سلامة تنفيذها حرفياً.
٤ . إنه (عليه السلام) قد عرّف الناس: أن اعتراض هؤلاء يهدف إلى تهينة الأجواء لعصيان أوامر القائد، والتمرد على قراراته، وليس من مصلحة المعترضين أن يظهر هذا الأمر للناس عنهم، ولذلك لم يعد أمامهم أي خيار سوى التراجع عن موقفهم..

٥ . إنه قد عرفهم وعرف الناس: أن ما يتذرعون به من أنهم يعرفون أمراً لم يكن علي (عليه السلام) عارفاً به غير صحيح، فهو عالم بما يصنع، فلا مجال لتضليل الناس بذرائع من هذا القبيل.
خطة علي (عليه السلام):

إن حذر القوم الذين يراد مهاجمتهم، واستعدادهم لا بد أن يكون له أسبابه الواقعية.. وهي أحد أمرين:
١ . أن يكون لهم عين في المسلمين، يرسل إليهم بما يجري، ويعلمهم بتوجه السرية نحوهم، وبطبيعة تحركاتها وبغير ذلك من أمور..

٢ . أن يكون لهم رقباء في الجبال المشرفة، يخبرونهم بما يرونه، فيحتاطون ويستعدون للأمر قبل وقوعه.
وقد كان سلوك علي (عليه السلام) لطريق آخر يكفي لتعريف أولئك القادة الذين هزموا أو هربوا بأن علياً (عليه السلام) يتصرف بحكمة، وبدقة بالغة..

ولذلك عرف عمرو بن العاص: أنه (عليه السلام) سيظفر بهم.. فكيف لم يعرف ذلك أبو بكر وعمر؟! ولعل وضوح هذا الأمر وبدايته قد دلّ علياً (عليه السلام) على أن المعترضين يسعون إلى مجرد الخلاف عليه، وأنهم يريدون معصية الله ورسوله بذلك..

هل أغار عليهم وهم غارون؟!

تقدم قولهم: إن علياً أغار على هؤلاء المشركين، وهم غارون..

ونقول:

إننا على يقين من أن علياً (عليه السلام) لا يحارب قوماً إلا بعد أن يحتج عليهم، ويعظهم، ويذكرهم، فإن أصروا على الحرب استعان بالله عليهم، وهذه هي وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

له: (يا علي، لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام)^(١).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (ما بيّت رسول الله ﷺ عدواً قط ليلاً)^(٢).

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): (كان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يقاتل حتى تنزل الشمس، ويقول: تفتح أبواب السماء، وتقبل الرحمة، وينزل النصر).

ويقول: هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن يقل القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المهزوم)^(٣).

فإن كان (عليه السلام) قد هاجمهم على حين غرة منهم ليلاً. وهذا ما نفتته الرواية التي قدمناها عن الإمام الصادق

(عليه السلام). فلا بد أن يكون ذلك قد حصل بعد إقامة الحجّة عليهم، وظهور عدوانيتهم،

١- بحار الأنوار ج ١٩ ص ١٦٧ وج ٩٧ ص ٣٤ وج ٩٨ ص ٣٦٤ ووسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٤٣ وفي هامشه عن تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٤٧ وغيره، والكافي ج ٥ ص ٣٦ ومستدرک الوسائل ج ١١ ص ٣٠ وج ١٧ ص ٢١٠ وكتاب النوادر ص ١٤٠ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٠٢ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ٢ ص ٩٠٤ وتذكرة الفقهاء (ط ج) ج ٩ ص ٤٤ و ٤٥ ورياض المسائل (ط ج) ج ١ ص ٤٨٦ و ٤٩٣ ومشكاة الأنوار ص ١٩٣.

٢- وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٤٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٦٣ وفي هامشه عن فروع الكافي ج ١ ص ٣٣٤ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ٢ ص ٩٠٩ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج ١ ص ٤١٢ ورياض المسائل (ط ق) ج ١ ص ٤٨٩ و (ط ج) ج ٧ ص ٥١١ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٨٢ وتهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٧٤.

٣- وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٤٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٦٣ وفي هامشه عن علل الشرايع ج ٢ ص ٦٠٣ وعن تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٥٦ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٤٥٣ وج ٩٧ ص ٢٢ والكافي للحلي ص ٢٥٦ ورياض المسائل (ط ج) ج ٧ ص ٥١١ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٨١ والكافي للكليني ج ٥ ص ٢٨.

وإصرارهم على القتال، ووقوع مواجهات عسكرية معهم من خلال أبي بكر، وعمر، وعمرو بن العاص، وإن كانت هذه المواجهات قد انتهت لغير صالح المسلمين، ولا تجب دعوتهم مرة أخرى في مثل هذا الحال، كما دلت عليه الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام)^(١).

بل تقدم: أنه (صلى الله عليه وآله) أمر علياً (عليه السلام) أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، وقد فعل (عليه السلام) ذلك. وقد يجوز أن يكون هؤلاء القوم قد تردوا وتآمروا مرتين، فأرسل إليهم النبي (صلى الله عليه وآله) فلاناً وفلاناً في المرة الأولى فهزمهم، ثم أرسل إليهم علياً (عليه السلام)، فأقام عليهم الحججة. ثم نكثوا، فكرر ما يشبه المرة الأولى، ولكن علياً (عليه السلام) لم يعد بحاجة إلى إقامة الحججة فأغار عليهم ليلاً. تبييت العدو ليس غدراً:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة، وسواها: أنه (عليه السلام)، قد بيت المشركين وكبسهم، وهم غارون فظفر بهم.. ونعتقد: أن ذلك قد كان بعد الاحتجاج عليهم كما دلت عليه رواية

١ - وسائل الشيعة (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٤٣ وراجع: جواهر الكلام ج ٢١ ص ١٨ والكافي (ط دار الكتب الإسلامية) ج ٥ ص ٢٠ و تهذيب الأحكام (ط دار الكتب الإسلامية) ج ٦ ص ١٣٥.

القمي الآتية، التي ذكرت: أنه (ﷺ) أمر أبا بكر (أن إذا رأهم أن يعرض عليهم الإسلام، فإن تابعوا وإلا واقعهم).

كما أنه سيأتي: أنه (ﷺ) ما كان يقاتل قوماً حتى يدعوهم، ويحتج عليهم. وعلى كل حال، فإنه إن أمكن إثبات أن هؤلاء القوم قد حاولوا مهاجمة المسلمين مرتين: فأرسل إليهم النبي (ﷺ) من احتج عليهم وهاجموه وهزموه مرة بعد أخرى، ثم أرسل إليهم علياً (عليه السلام)، فاحتج عليهم وقتل منهم.. ثم نكثوا مرة أخرى، فجرى لهم كما جرى في المرة الأولى.. فبيّتهم علي (عليه السلام) وهاجمهم. فإن أمكن إثبات ذلك أو اعتماده فلا إشكال. وإن لم يكن إثبات ذلك، أو اعتماده، فإننا نقول:

إن علياً (عليه السلام)، بعد أن فرض المعركة على أعدائه، في الموقع والمكان، والوقت والزمان الذي أحب، لم يعد يمكنهم التخلي عن مواقعهم إلى أي موقع آخر، لأن ذلك معناه: الإستيلاء على كل ما لديهم، وعلى منازلهم وأموالهم، بل وسي نسايتهم وأطفالهم أيضاً..

فإذا أبوا الاستجابة لأي منطلق، ورفضوا الانصياع لأي خيار مقبول أو معقول، واختاروا طريق البغي والعدوان، فلا مانع من أن يكبسهم وهم غارون في أي وقت شاء..

وليس في هذا العمل أية مخالفة للشرايع، أو الأخلاق. بل هو العمل الحكيم الذي يؤيده الخلق الإنساني، ويرضاه الشرع، وتقره الضمائر.. لأنه ليس من حق العدو المحارب، والمعتدي والظالم أن يعتبر نفسه في مأمن، في

الوقت الذي يعطي لنفسه الحق بالعدر بالآخرين، ويسمح لنفسه في تبييتهم، والفتك فيهم، ظلماً وعتواً، وبغياً وعلواً..

بل إن أخذ ذلك الظالم على حين غرة يعد إحساناً لكلا الفريقين المتحارين، لأن من شأنه أن يقلل من عدد القتلى في صفوف هؤلاء، وأولئك لأنه يسقط قدرتهم على المقاومة. وينتهي الأمر بالاستسلام. وإذا استسلموا لأهل الدين.. فإن معاملتهم لا بد أن تخضع لأحكام الشرع، ووفق ما تفرضه الأخلاق الفاضلة، وتقضي به العقول، ولن يكون متأثراً بالأهواء، والنزوات والميول..

علي (عليه السلام) يقبل قدمي الرسول (صلى الله عليه وسلم):

وفي الرواية الرابعة: أن علياً (عليه السلام) أهوى إلى قدمي النبي (صلى الله عليه وسلم) يقبلهما.. وفي هذا دلالة على جواز التبرك بالأنبياء وآثارهم، لا سيما مع عدم اعتراض النبي (صلى الله عليه وسلم) على فعله هذا.

ومن الواضح: أنه (عليه السلام) إنما فعل ذلك طلباً لمرضاة الله، ورغبة في ثوابه، والتماساً للبركة التي تعني المزيد من العطاء الهنيء، والخير النامي، والمقام السامي، ولا يمكن لأحد أن يتوهم في حقه الإخلال بأي درجة من درجات التوحيد الصحيح والخالص..

وفي هذه البادرة إشارة إلى شدة خضوع علي (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومدى تقديسه له. رغم أنه أقرب الناس إليه، وأكثرهم إطلاعاً على تفاصيل حياته..

ثم هو يشير إلى شدة صفاء روح علي (عليه السلام)، وطهارة ذاته، وخلوص نواياه..
واللافت هنا: أن النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه كان يتبرك بعرق علي (عليه السلام) أيضاً^(١).
رضى الله ورسوله عن علي (عليه السلام):

وقد كانت الجائزة العظمى التي نالها علي (عليه السلام) هنا هي أن الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله) راضيان عنه.. فتكون
هذه الكلمات هي البشارة الكبرى التي يبكي علي (عليه السلام) فرحاً بها، وشوقاً إليها..

١ - راجع: مستدرك الوسائل ج ١٧ ص ٣٣٥ ومناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) للكوفي ج ١ ص ٣٩٤ والمسترشد للطبري ص ٦٠٢ ومائة منقبة
لمحمد بن أحمد القمي (ابن شاذان) ص ٥٨ والتحسين للسيد ابن طاووس ص ٥٥٥ واليقين للسيد ابن طاووس ص ١٧٩ و ١٩٦ و ١٩٧ و
٢٤٣ و ٣٦٧ وبحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٠٠ و ٣٢٤ وج ٣٨ ص ٢ وج ٤٠ ص ١٥ و ٨٢ و ٣١٥ وج ٨٩ ص ٩١ وكتاب الأربعين
للشيرازي ص ٥٥ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٤٤٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ٢٤٩ ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) للشيرازي ص ١١٦
والغدِير ج ٨ ص ٨٧ ومستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ١٩٤ و ٣٨١ والإمام علي (عليه السلام) للهمداني ص ٩٢ و ١٤٨ وتفسير فرات
ص ٤٠٦ والمناقب للخوارزمي ص ٨٥ وكشف الغمة ج ١ ص ١١٢ وكشف اليقين ص ٢٦٦ وتأويل الآيات ج ١ ص ١٨٥ وتنبية الغافلين
ص ٢٨.

فهو إذن لا يطمع بالقصور، ولا بالبحور، ولا تحمه الجنان، ولا يفرحه كل ما فيها من حور حسان، بمقدار ما يهيمه ويفرحه رضى الله تعالى، ورضى رسوله، وفقاً لقوله تعالى: (..رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ- رَبَّهُ) ^(١).

وقوله تعالى: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) ^(٢).

١ - الآية ٨ من سورة البينة.

٢ - الآيتان ٢٧ و ٢٨ من سورة الفجر.

الفصل الثاني:
لمحات أخرى عن ذات السلاسل..

ذات السلاسل برواية القمي:

وقد روى القمي عن جعفر بن أحمد، عن عبيد بن موسى، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام). ما ملخصه :-

إن أهل وادي الياض اجتمعوا اثني عشر ألف فارس، وتعاهدوا، وتعاهدوا، وتوثقوا: أن لا يتخلف رجل عن رجل، ولا يغدر بصاحبه، ولا يخذل أحد أحداً، ولا يفر عن صاحبه، حتى يموتوا كلهم، ويقتلوا مُجداً (صلى الله عليه وآله)، وعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

فنزل جبرئيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله)، وأخبره بالأمر، وأمره أن يبعث أبا بكر في أربعة آلاف فارس، من المهاجرين والأنصار.

فخطب (صلى الله عليه وآله) الناس، وأخبرهم بما أخبره به جبرئيل (عليه السلام) عن أهل وادي الياض، وأن جبرئيل أمره بأن يسير إليهم أبو بكر بأربعة آلاف فارس.

ثم أمرهم أن يتجهزوا للمسير مع أبي بكر يوم الإثنين، فلما حان وقت المسير أمر (صلى الله عليه وآله) أبا بكر: (أن إذا رآهم أن يعرض عليهم

الإسلام، فإن تابعوا، وإلا واقعهم، فقتل مقاتليهم، وسبي ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرب ضياعهم، وديارهم). فسار أبو بكر بهم سيراً رقيقاً، حتى نزل قريباً منهم، فخرج إليه منهم مئتا فارس، وهم مدججون بالسلاح، فسألوهم: من أين أقبلوا؟! وإلى أين يريدون؟! ثم طلبوا مقابلة صاحبهم.

فخرج إليهم أبو بكر، فسألوه، فأخبرهم بما جاء له.

فقالوا: أما اللات والعزى، لولا رحم ماسة، وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم، فارجع أنت ومن معك، وارثخوا العافية، فإنما نريد صاحبكم بعينه، وأخاه علي بن أبي طالب.

فقال أبو بكر لأصحابه: يا قوم، القوم أكثر منكم أضعافاً، وأعدُّ منكم، وقد نأت داركم عن إخوانكم من المسلمين، فارجعوا نُعلم رسول الله (ﷺ) بحال القوم.

فقالوا جميعاً: خالفت يا أبا بكر رسول الله، وما أمرك به، فاتق الله وواقع القوم، ولا تخالف قول رسول الله (ﷺ).

فقال: إني أعلم ما لا تعلمون. الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

ورجعوا إلى النبي (ﷺ)، فأعلن على المنبر: أن أبا بكر قد عصى أمره، وأنه لما سمع كلامهم: (انتفخ صدره، ودخله الرعب منهم) ثم قال (ﷺ):

(وإن جبرئيل (ﷺ) أمرني عن الله: أن أبعث إليهم عمر مكانه في أصحابه، في أربعة آلاف فارس، فسر يا عمر على اسم الله، ولا تعمل كما

عمل أبو بكر أخوك، فإنه عصى الله وعصاني).

وأمره بما أمر به أبا بكر.

فسار بهم يقتصد بهم في سيرهم، حتى نزل قريباً من القوم، وخرج إليه مئتا رجل، وقالوا له ولأصحابه مثل مقاتلتهم لأبي بكر.

فانصرف، وانصرف الناس معه، وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة القوم وجمعهم، ورجع يهرب منهم.

فنزّل جبرئيل (عليه السلام) وأخبر مُجِداً بما صنع عمر..

فصعد (صلى الله عليه وسلم) المنبر، وأخبرهم بما صنع عمر، وأنه خالف أمره وعصاه..

فلما قدم عمر قال (صلى الله عليه وسلم): (يا عمر، عصيت الله في عرشه، وعصيتني، وخالفت قولي، وعملت برأيك، ألا قبح الله رأيك).

ثم ذكر: أن جبرئيل (عليه السلام) أمره أن يرسل علياً (عليه السلام) مع الأربعة آلاف، وأن الله يفتح عليه وعلى أصحابه، ثم دعاه وأخبره بذلك..

فخرج علي (عليه السلام) فسار بأصحابه سيراً غير سير أبي بكر وعمر، فقد أعنف بهم في السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وتحفى دوابهم، فقال لهم: لا تخافوا، فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أمرني بأمر، وأخبرني: أن الله سيفتح عليّ، وعليكم، فأبشروا، فإنكم على خير، وإلى خير.

فظابت نفوسهم وقلوبهم، وواصلوا سيرهم التَّعب، حتى نزلوا

بالقرب منهم..

فخرج إليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم علي (عليه السلام) خرج إليهم في نفر من أصحابه، فقالوا لهم: من أنتم؟! ومن أين أنتم؟! ومن أين أقبلكم؟! وأين تريدون؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأخوه ورسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ولكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم من خير وشر.

فقالوا له: إياك أردنا، وأنت طلبتنا، قد سمعنا مقاتلتك، فاستعد للحرب العوان، واعلم أننا قاتلوك وقاتلوا أصحابك، والموعود فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعدنا فيما بيننا وبينك.

فقال لهم علي (عليه السلام): ويلكم تهددوني بكثرتكم وجمعكم؟! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فانصرفوا إلى مراكزهم، وانصرف علي (عليه السلام) إلى مركزه. فلما جنه الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم، ويقضموها، ويسرجوا.

فلما انشق عمود الصبح صلى بالناس بغلس، ثم غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطقتهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرب ديارهم، وأقبل بالأسارى والأموال معه.

ونزل جبرئيل فأخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما فتح الله على

علي (عليه السلام) وجماعة المسلمين، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين، وأعلمهم أنه لم يصب منهم إلا رجلاً.

ونزل فخرج يستقبل علياً (عليه السلام) في جميع أهل المدينة من المسلمين، حتى لقيه على أميال من المدينة. فلما رآه علي مقبلاً نزل عن دابته، ونزل النبي (صلى الله عليه وآله) حتى التزمه، وقبل ما بين عينيه. فنزل جماعة المسلمين إلى علي (عليه السلام) حيث نزل رسول الله، وأقبل بالغنيمة والأسارى، وما رزقهم الله من أهل وادي اليباس.

ثم قال جعفر بن محمد (عليه السلام): ما غنم المسلمون مثلها قط إلا أن تكون خبيراً، فإنها مثل خبير.

فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم: **(وَالْعَادِيَاتِ صَبْحًا..)** إلى آخر الرواية^(١).

ونقول:

إن لنا هنا وقفات نجملها على النحو التالي:

٣- ١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٦٧- ٧٣ وتفسير القمي ج ٢ ص ٤٣٤- ٤٣٨ وتفسير فرات ص ٥٩٩- ٦٠٢ والبرهان (تفسير) ج ٤ ص ٤٩٥- ٤٩٧ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٥٢- ٦٥٥ والتفسير الصافي ج ٥ ص ٣٦١- ٣٦٥ وتأويل الآيات ص ٨٤٤- ٨٤٨.

قد استعرضنا الكثير من النقاط الواردة في هذه الرواية، وناقشناها في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) ج ٢٠ فصل: رواية القمي توضح بل تصرح.. فلا نرى حاجة لإعادته هنا.. فنكتفي هنا بالإلماح إلى بعض ما له ارتباط بعلي (عليه السلام)، وهو كما يلي:

الرفق بالحيوان:

تقدم: أن علياً (عليه السلام) أمر أصحابه في الليلة التي عزم على مهاجمة العدو في صبيحتها بأن يحسنوا إلى دوابهم، والمراد بالإحسان إليها هو إنزال أحمالها عنها، وتقديم الماء والعلف لها، وجعلها في مكان مناسب ومريح، وإبعاد جُلِّها عنها، وأن لا تحمل على القيام بجهد لا تطيقه ونحو ذلك.. وهذا يجعلها أكثر حيوية ونشاطاً في مواقع النزال، فلا تتعب بسرعة..

على نفسها جنت براقش:

وقد لوحظ في الرواية أيضاً: أن الأعداء أعلنوا إصرارهم على الحرب، وتوعدوه بأنهم قاتلوه ومن معه.. فلم يعد أمامهم سوى الإعداد والإستعداد للمواجهة، وتوقع أن يلتمس المسلمون -الذين يسمعون منهم هذا التهديد - غرَّتهم، وأن يوردوا عليهم ضربتهم عند أية فرصة تلوح لهم. وليس لهم أن يستسلموا للأماني، وأن يأمنوا جانب عدوهم، فإن ترصد غفلتهم، والسعي لخداعتهم، هو غاية الحزم، والتدبير الذكي الذي يستحق عليه التقدير والثناء، لأنه يحفظ بذلك أهل الإيمان، ويبعد عنهم شر

أهل الطغيان، ويبطل كيدهم.

كما لا بد أن يعتمد عنصر السرعة التي لا تترك للعدو مجالاً لالتقاط أنفاسه، ويفقده القدرة على اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب..

وبذلك يتمكن من تسديد الضربات السريعة والمؤثرة في تدمير قدرات العدو بأقل الخسائر في جانب أهل الإيمان..

وهكذا كان، فإنه لم يصب من أهل الإيمان إلا رجلاً..

لا نريد إلا مُجداً وعلياً:

واللافت هنا: أن هؤلاء الأعداء يعلنون لأبي بكر حين جاء لمواجهةهم بأنهم لا يريدون إلا شخص رسول الله (ﷺ)، ونفس علي (عليه السلام).

والأغرب من ذلك: أن لا تظهر من أبي بكر ردة فعل على طلبهم هذا، بل هو يرضى بالرجوع عنهم.. مع أن مقتضيات الإيمان، ومن مقتضيات البيعة للرسول هو الذب عنها، وعن صاحبها وأهل بيته، فموقف أبي بكر هذا لا بد أن يكون قد أعطى انطباعاً غير حميد، من حيث أنه يوحي بأن المسلمين لا يهتمون بالدفاع عن دينهم، وعن نبيهم ووصيه.

بل هم إن وجدوا أن الحرب قد حادت عنهم، ولم تعد تستهدف أشخاصهم، فرموا ينصرفون عنها، ولا تعود تعني لهم شيئاً ليتولوا ذلك المعني بها، والمطلوب لها.. أي أنهم يسلمون نبيهم ووصيه لمصير يقرره أعداؤه وفق ما يحلو لهم.

ومن شأن هذا التصور أن يزيد أولئك المشركين تصميمًا على الحرب، وحماساً واندفاعاً لها وحرصاً على الوصول إلى شخص النبي (ﷺ)، ونفس علي (عليه السلام) فيها.

وربما يفكر هؤلاء المشركون بالبحث عن قنوات تصلهم بهذا أو بذاك من رجال المسلمين، لإغداق الوعود عليهم، وإغرائهم بما يبسط عزائمهم عن نصرته النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) ..

ثم إننا لا ندري إن كان أبو بكر ومن معه قد فكروا في السبب الذي دعا هؤلاء للكف عنهم، ولتقصُّد النبي (ﷺ) وعلي (عليه السلام) بالسوء، دون سائر المسلمين، أليس لأن النبي (ﷺ) هو صاحب الدعوة، التي كانت السبب في مناظرة المشركين له، ولأن علياً (عليه السلام) شريكه الأساس فيها، وهو سبب حفظها وبقائها بعده، وهو السيف الإلهي المسلول للدفاع عنها، وعن صاحبها، وعن كل من آمن بها؟!!

ألم يكن هؤلاء الراجعون يعتبرون أنفسهم من أتباع صاحب الدعوة، ومن المؤمنين بها، والمكلفين بالدفاع عنها، وعن جاء بها؟!!

أبو بكر أخو عمر، وعلي (عليه السلام) أخو النبي (ﷺ):

وتقدم: أن النبي (ﷺ) قال لعمر: (ولا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك) .. وأنه قال وهو يخاطب علي المنبر عن علي (عليه السلام): (حتى يقتلوني وأخي علي بن أبي طالب).

وحين تحدث علي (عليه السلام) لأهل وادي اليباس وصف نفسه لهم

بأنه: (ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه)، والأعداء وصفوه بنفس هذا الوصف أيضاً.
من أجل ذلك نلاحظ: أن عمر قد فعل ما يشبه عمل أخيه أبي بكر، حيث سار بأصحابه . كأبي بكر . سيراً
رفيقاً . ثم هرب من الأعداء كما هرب، وعاش الرعب والخوف كما عاش .
كما أن علياً (عليه السلام) قد عمل بنفس ما يقتضيه خلق أخيه النبي ﷺ فكان دائماً المجاهد، والمحامي،
والناصر، والمنتصر .
وذلك كله يشير إلى أن الأخوة هنا، والأخوة هناك قد جاءت على أساس ملاحظة معانٍ حقيقية، وقواسم
مشتركة، اقتضت التوافق في السلوك وفي المواقف .

القائد هو المعيار:

وقد وجدنا: أنه ﷺ اكتفى بتبديل القائد، وأما الجيش نفسه، فأبقاه على ما هو عليه، ولم يستبدل منه
حتى رجلاً واحداً، وقد كانت الهزيمة من نصيب هذا الجيش مرتين متواليتين، مع نفس العدو، ومع تقارب الزمان،
وفي نفس المكان، وفي نفس الظروف، وب نفس الأسلوب، وبعين الكلمات التي استخدمت، ونفس الخطاب
والجواب ..
وكان النصر حليفاً لهذا الجيش نفسه، مع ذلك العدو بالذات، وفي نفس الحالات، وفي الزمان والمكان عينه،
رغم أن القائدين الأولين قد سارا بهذا الجيش سيراً رفيقاً، أو مقتصداً، يجيبهم بقائدهم .

أما الأمير الثالث، فقد أعنف بهم في السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وأن تحفى دوابهم.. ولا بد أن يتقل أمر هذا القائد عليهم، الذي فعل بهم ذلك، وأن تتجافى عنه قلوبهم، ولا يندفعون في محبته، وفي طاعته بالمقدار الذي يحظى به اللذان سبقاه..

ولكن النتائج جاءت معاكسة تماماً، فقد تحقق النصر، وكان نصيبهم معه الفتح والعز والكرامة، وكانت الهزيمة والمذلة، والمعصية لله في عرشه ورسوله مع ذينك الأولين.

وهذا مثل للبشر جميعاً، يحمل لهم العبرة، والعظة، ويدعوهم للتأمل العميق، والفكر الدقيق، حملته لنا كلمته (ﷺ) لعلي (عليه السلام) عن جبرئيل: (فأخبرني: أن الله يفتح عليه، وعلى أصحابه)..

فقد نسب الفتح إلى الله، الذي حبا به علياً (عليه السلام) وأصحابه معاً، مع أن الإنسان العادي قد يتوقع تخصيص الفتح بعلي دون أصحابه، الذين هزموا مع القائدين اللذين سبقاه..

ولكن الله ورسوله يريدان لنا أن ندرك حقيقة أن القيادة الصالحة، هي التي تصنع المواقف، وتغير من أحوال الرعية، وتؤثر في توجهاتها ومواقفها، وتعطيها صلابة في الدين، وورعاً في يقين، وتحملها على الصراط المستقيم، ولو لم تصدر لها أمراً، أو تفرض عليها قراراً، أو تبتز منها موقفاً.

وهي التي تثير حميتها وإبائها، وتمنحها نفحة الشجاعة والإقدام، أو التخاذل والإحجام..

وقد ظهر ذلك في هذه الغزوة بصورة جلية وواضحة، فقد ساقهم

موقف أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مواقع العزة والكرامة والإباء، وأعطاهم نفحة من نفحات الشجاعة، والشعور بالكرامة. ففتح الله عليه وعليهم، وفق ما قاله الرسول الأكرم والأعظم (صلى الله عليه وآله)..
تطمينات علي (عليه السلام) لأصحابه:

وحين سار علي (عليه السلام) بأصحابه ذلك السير الحثيث الذي أتعبهم، يكون قد أفهمهم بذلك أن ثمة جدية حقيقية في إنجاز أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أحسن وجه وأتمه.
ولعلمهم أصبحوا يتخوفون من أن يكون للتعب الذي لحقهم في مسيرهم هذا دوراً في خسارتهم الحرب التي يتربوئها.. فأراد (عليه السلام) أن يطمئنهم، ولكن لا بالوعود المادية، ولا بالخطب الحماسية، بل بإعطائهم جرعة إيمانية روحية، تتولى هي شحذ عزائمهم، وتقوية ضعفهم، وتعطيهم المزيد من الرضا والسعادة والبهجة، وذلك بالاعتماد على الغيب الذي يربطهم بالله سبحانه، وبرسوله.

فذكر لهم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) بصيغة الإخبار من النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) لهم بالفتح العظيم.
والخبر من النبي (صلى الله عليه وآله) معناه: أن الله سبحانه هو الذي عرف رسوله به، وأطلعه على غيبه.. فليس الأمر مجرد تفاؤل، ولا هو كلام مجرد التشجيع، وإثارة الحماس..
ولذلك يقول النص المتقدم: إن نفوسهم قد طابت وقلوبهم اطمأنت، وواصلوا سيرهم الشاق، وزالت عنهم الوسوس والمخاوف..

وقد حرص علي (عليه السلام) على أن يستعيد جيشه الثقة التي فقدتها بسبب تثبيط عزائمه من قبل الذين سبقوه، حيث صار يجنّب بعضهم بعضاً. وأن يزيل كل شبهة عن المقاتلين، ويطمئنهم إلى أنه لا مبرر للمخاوف، ولا معنى لمعاناة أية توترات..

علي (عليه السلام) أخو النبي ورسوله إليكم:

ولم نعهد في الذين آخى النبي (صلى الله عليه وآله) بينهم أن يذكروا هذه الأخوة في مواقع إبلاغ رسائل الحرب والقتال، لاسيما وأنها أخوة أنشأها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر وجعل من الله تعالى، وليست أخوة نسب.. ولكن علياً (عليه السلام) قد فعل ذلك، وأبلغ هذا العدو المحارب بهذه الحقيقة، حين قال لهم: إنه أخو النبي (صلى الله عليه وآله)، ورسوله إليهم.

ولعله أراد أن يفهمهم أن موقفه منهم يحدده موقفهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله).. وأنه لا مجال للفصل في حسابات الريح والخسارة بين علي كشخص، وبين علي الشريك مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الأخوة، وفي العمل على حفظ الرسالة، من خلال حفظ الرسول، فإن ذلك هو مقتضى هذه الأخوة، وهو الذي يوصل إلى حفظ هذا الدين، والذود عن حياضه.

علي (عليه السلام) لا يحتكر النصر:

وعلي (عليه السلام) الذي حقق المعجزات في تاريخه الجهادي الطويل، ولاسيما حين قلع باب خيبر، وجعله ترساً يدفع به ضرب السيوف، وطعن الرماح، ثم حمله جاعلاً منه معبراً عن الخندق للجيش، بالإضافة إلى أعظم الإنجازات القتالية في بدر، وأُحد، والأحزاب، وقريظة، والنضير، وما إلى ذلك.. إن علياً هذا لا يتهدد الأعداء بقوته، ولا يذكر لهم موافقه هذه، بل يكتفي باستنكار تهديد الأعداء له، ثم هو يستعين بالله، وبالملائكة، وبالمسلمين عليهم، ويخبرهم بأن كل حول وقوة لديه إنما هو من الله، وبه سبحانه وتعالى..

وهذا يعطي المسلمين نفحة روحية، ويذكرهم بنصر الله لهم في بدر، حين أمدهم بالملائكة وفي سائر المواطن. ولا بد أن يحدث هذا التذكير ارتعاشاً قوياً وبلبله حقيقية في قلوب الكافرين، وطمأنينة وسكينة في قلوب المؤمنين، لأن له سابقة أثبتت صحة هذا المنطق وقوته، وظهرت نتائجه نصراً مؤزراً في حروب صعبة وهائلة، لا بد أن تبقى على مر الأجيال تتمثله كحدث تاريخي فريد، وكيوم من أيام الإسلام مجيد.. ولا بد أن يترك إشراك علي (عليه السلام) للمسلمين في هذا العمل الجهادي أثراً طيباً في نفوسهم.. لأن الذي يعطيهم هذا الوسام هو نفس علي الذي لا يرتاب أحد في مقامه الجهادي والإيماني العظيم، ولا يشك في صدقه، وفي تجربته، وخبرته بالحرب.

وستكون لشهادته هذه قيمة كبيرة لديهم، ولا بد أن يهتم كل أحد في أن يحصل على أدنى لفظة من علي، أعظم مجاهد على وجه الأرض، فكيف بما هو أعظم، وأكرم وأفخم..

يضاف إلى ذلك: أن هذا المنطق العلوي، الذي أوضح: أن الله وملائكته سوف يساهمون في تسجيل هذا النصر، لا بد أن يصعب على المتخاذلين، وعلى غيرهم اتخاذ قرار الانسحاب من المعركة، وسيفرض على الجميع بذل جهد، ودرجة تحملٍ وصبرٍ أعلى وأكبر مما اعتادوا عليه في سائر الحالات..
تخريب الديار:

ولا بد من التروي والتأمل في صدقية ما ذكرته الرواية المتقدمة من أن علياً (عليه السلام) قد خرب ديار الأعداء.. فقد عرفنا: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أصدر أوامره لجيوشه بعدم التعرض للديار والأشجار⁽¹⁾، إلا إذا فرضت الحرب نفسها إجراءات تؤدي إلى شيء من ذلك، مثل حفظ المسلمين من الأخطار، أو توقف النصر على العدو على أمر كهذا..

أو كان ذلك إجراء رادعاً للعدو عن معاودة الفساد والإفساد، والعبث بأمن البلاد والعباد..

١ - راجع ما ذكرناه في غزوة مؤتة في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله).

سورة العاديات .. وأصول الحرب:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة وغيرها: أن سورة (العاديات) نزلت في غزوة ذات السلاسل، أو وادي اليبابس .. وتضمنت هذه السورة المباركة أموراً دقيقة ترتبط بالحرب وأصولها، وربما كان السبب في ذلك هو أن هذه الأصول قد روعيت، وطبقت، وظهرت صدقيتها في هذه الغزوة بالذات، فلا محيص عن الإشارة إلى هذا الأمر هنا، فنقول:

إنه إذا أقسم الله بأمر بعينه، فذلك يدل على أن لهذا الأمر موقفاً أساسياً وحساساً جداً في المنظومة الكونية، إن كان أمراً كونياً، أو في المنظومة النظامية إن كان أمراً نظامياً.. أو في منظومة السنن إن كان من سنن الخلق والتكوين، وكذلك الحال لو كان ما أقسم به من مفردات منظومة القيم، أو التدبير، أو غير ذلك، مما ورد القسم به في القرآن الكريم..

فإن الإهتمام الظاهر بذلك الأمر بعينه، بحيث يجعله موضعاً لقسمه، ويجعل الإلتزام ببقائه على حاله ضماناً لما يريد تقريره . إن ذلك . يدل على أن لما يقسم به أثراً عظيماً في إنجاز الأهداف الإلهية الكبرى، بإيصال الإنسان وما في هذا الكون إلى كماله..

٢ . وقبل أن نتحدث عن العاديات يحسن بنا أن نشير إلى أن المناسبة التي نزلت فيها هذه السورة، وهي غزوة ذات السلاسل، قد تضمنت نصوصها أمر علي (عليه السلام) أصحابه ليلة الغارة بأن يحسنوا إلى دوابهم، ويُقْضِمُوا، ويُسْرِجُوا..

وهذا يدل على لزوم إعداد وسائل الحرب، وتهيئتها، لتكون في أفضل

حالاتها، وأن يكون إعدادها بحيث لا تحتاج في ساعة الصفر إلا إلى الإستعمال الناجز في القتال. فلا يؤجل ذلك إلى اللحظة الأخيرة.. إذ قد يطرأ ظرف يمنع من الإعداد بالمستوى المطلوب، أو بالطريقة الصحيحة.

٣. وقد أقسم الله تعالى بالعاديات، وبالموريات، والمغيرات.. وهي لا تخرج عن هذا السياق الذي أشرنا إليه، فالخيل تعدوا في سبيل الله تعالى، وتسرع في هذا العدو إلى الحد الذي تضبح فيه بأنفاسها، مما يعني أنها قد استنفدت كل طاقتها في سرعة الحركة..

لأن المطلوب هو أن تنجز أمراً هو بأمس الحاجة إلى السرعة. وللسرعة دورها الحاسم في الحرب. والضبح. كما قيل -: هو صوت أنفاس الفرس، تشبيهاً له بالضباح، وهو صوت الثعلب. وقيل: هو حفيف العَدُو.

وقيل: الضبح: كالضبع، وهو مد الضبع في العدو^(١)، أي حتى لا يجد مزيداً^(٢).

١ - المفردات للراغب ص ٢٩٢.

٢ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٦٦ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٨ و ٥٢٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ١٠ ص ٤٢٢ ومعجم مقاييس اللغة ج ٣ ص ٣٨٥ وج ٥ ص ٣٤٩ ولسان العرب ج ٣ ص ٥٠٩ وج ٧ ص ٤٠٥ والقاموس المحيط ج ١ ص ٣٥٨.

والضبع: هو وسط العضد بلحمة، أو العضد كله، أو الإبط^(١).

وقيل: الضبح: صوت أجواف الخيل إذا عَدَّتْ ليس بصهيل ولا حمحة^(٢).

٤ . إن عَدَّو الخيل هذا يشير إلى أنها دائمة الانتقال من موقع إلى آخر.. وأنه انتقال سريع.. مما يدل على عدم التموضع في مكان بعينه. ولكنه انتقال هادف، يضع نصب عينيه نقطة بعينها يراد الوصول إليها. ومن شأن عدم التموضع، وسرعة الانتقال هذه أن يجرما العدو من القدرة على تحديد مواضعهم ومواقعهم، ويجرده من فرصة رصد القوى العاملة في مكان بعينه، وهذا يفقده القدرة على التخطيط لأي عمل يمثل لها خطراً، أو يلحق بها ضرراً..

٥ . إن شدة اندفاع الخيل في هجمتها تحتم على ذلك العدو أن يتراجع عن موقعه، وبالتالي أن يفقد السيطرة على حركته، ويفقده أيضاً وعي هذه الحركة، وتقديرها.. وتحديد مداها، ومواقعها، وأهدافها، وأماكنها.. ثم هو لا يملك قدرة العودة إلى أي موقع يرغب في العودة إليه.. وهذا مأزق لا يختار المحارب أن يضع نفسه فيه، بل هو يريد أن يكون زمام

١ - راجع: أقرب الموارد، مادة: ضبع، وراجع: بدائع الصنائع ج ١ ص ٢١٠ وكتاب العين ج ١ ص ٢٨٤ ولسان العرب ج ٨ ص ٢١٦.
٢ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ٦٦ عن مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٢٨ و ٥٢٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٢١ و ٤٢٢ وكتاب العين للفراهيدي ج ٣ ص ١١٠ ولسان العرب ج ٢ ص ٥٤٣ والقاموس المحيط ج ١ ص ٢٢٦ وتاج العروس ج ٢ ص ١٨٦.

المبادرة بيده، وأن يكون قادراً على التقلب في خياراته، حسبما يجلو له.

٦. إنه إذا صاحب هذا الاندفاع القوي للخيل كصفات وحالات خاصة، مثل الأصوات الغامضة، أو الهيئات المخيفة، ومنها صوت ضبح الخيل الذي يدعوهم لتصور حجم اندفاع عدوهم نحوهم، ثم إذا صاحب ذلك لمعات ناربية خاطفة وكثيرة، حين تقدح الخيل الشرر بحوافرها، فسوف يتشارك لدى ذلك العدو السمع والبصر في رسم صورة الخطر الدايم، وما يحمله من عنف، من شأنه أن يزعزع ثباته، ويهزمه في عمق وجوده. بل قد يوجب قدح النار تحت حوافر الخيل نشوء حالة تضليلية، من خلال تلهي أفراد العدو بالنظر إليها، وإثارة التكهنات حولها، فتهيئ الفرصة لمفاجأتهم بالقتال المرير، والضاري.

هذا كله، عدا عن أن قدح النار من حوافر الخيل، يبهج روح فرسانها، ويقوي من اندفاعهم، ما دام أنه ناتج عن حركتهم وفعلهم.

٧. ويأتي بعد ذلك كله عنصر المفاجأة بالقتال، بشتى أنواعه، التي يحتاج العدو في تحرزه منها إلى حركات متفاوتة في مداها وفي اتجاهاتها، شريطة أن تكون بالغة السرعة، وقوية التأثير.. ولن يكون الإنتقال إلى هذه الحركات سهلاً وميسوراً، إلا لأقل القليل من الناس. فكيف إذا كان هؤلاء المقاتلون في صفوف العدو، لا يقومون بعمل اختاروه لأنفسهم، بل تكون حركتهم مجرد رد فعل، يفقدون معه أي خيار، أو اختيار لموقع القتال ولأسلوبه، فضلاً عن عجزهم عن استهداف أي

نقطة بالقتال، بالإضافة إلى الضعف الذي سوف يعتري طبيعة حركاتهم القتالية نفسها..
والخلاصة: أن هذه المفاجأة بالقتال لا بد أن تربكهم، وتمنعهم من التأمل ومن التدبر والتدبير، ومن تدارك خطة
مدروسة لمواجهة الموقف.

٨ . إن للتوقيت وتحديد ساعة الصفر أهمية بالغة في النجاح في الحرب، فإن المفاجأة إذا كانت في وقت
الصبح، على قاعدة: (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا)^(١)، فلا بد أن تكون فرص نجاحها أكبر وأوفر، ويقول النص
التاريخي: إنه في الغزوة التي نزلت فيها سورة العاديات أغار علي (عائشاً) على العدو في ذات السلاسل، فلما
انشق عمود الصبح صلى بالناس بغلس، ثم غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطئتهم الخيل، فما أدرك آخر
أصحابه حتى قتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم.. عملاً بمبدأ المفاجأة، وبمبدأ سرعة العمل، وبمبدأ الحركة في وقت لا
يمكن رصد الحركة فيه، بسبب طبيعة النور المنتشر في ذلك الوقت، والذي من شأنه أن يعطل الرؤية.

ومن جهة ثانية: فإن الفريق الذي لم يكلف بمهمات قتالية، ولو بمثل الرصد والحراسة، يميل في هذه الساعة إلى
أن يخلد للراحة، ظناً منه أن غيره يشاركه في هذا الميل، فينسجم ظنه هذا مع رغبته تلك، ويستسلم من ثم
لأحلامه اللذيذة، وتأخذه سنة الكرى، وهو أكثر طمأنينة، وأبعد عن التفكير فيما يزعج ويثير.

١ - الآية ٣ من سورة العاديات.

وأما المكلف بالرصد أو بالحراسة، فإنه إذا كان قد سهر الليل، حتى بلغ ساعات الصباح الأولى، فلا بد أن يتنفس هذا الساهر المرهق في هذا الوقت الصعداء، ويحسب أنه قد أنهى مهمته، وأن عليه أن يستريح، ويعوض جسده عن هذا السهر الطويل، بالنوم المستغرق والعميق..

وهذا كله يجعل المفاجأة لهؤلاء وأولئك كبيرة وخطيرة؛ حيث يكون الراصد والحارس في أقصى حالات الإرهاق، ويكون غيره من الناس مستغرقاً في أحلامه، ولن يكون قادراً على الانتقال من حالة الإسترخاء الشديد بأقصى درجاته إلى حالة الإستنفار، بل إلى الدخول في أعنف حالات الحركات القتالية، التي لا يقتصر الأمر فيها على أن يفكر في الأسلوب وفي الطريقة القتالية التي يختارها وحسب. بل عليه أن يفكر في اكتشاف الحركة القتالية للعدو أولاً، ثم يعود إلى نفسه ليفكر فيما يمتلكه من وسائل دفعها، وفي كيفية استعمال تلك الوسائل بما يناسب حركة العدو هذه..

وفي سياق آخر نقول:

إن المغير يعرف هدفه، وقد حدده ورسم خطة للتعامل معه، وهو ينفذ ما رسم. أما المستهدفون بالغارة، فلا يعرفون شيئاً عن مواقع المهاجمين أو عن خططهم، أو حالاتهم، وليس لديهم أية وسيلة لكشف ذلك فيهم، لأن العين وهي حاسة الرؤية تكون معطلة بسبب الظلمة، والنور الضئيل الذي ربما يكون قد بدأ ينتشر إنما هو في مستوى محدود، ولا يغير من

الواقع شيئاً..

وحتى في حالات الحرب في العصور الحديثة، فمن جهة تكون أجهزة الرصد غير ذات أثر، فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وكذلك بعد غياب الشمس إلى مضي حوالي ساعة من أول الليل. ومن جهة أخرى تكون العين المجردة محجوبة بالظلمة، أو تكون دائرة عملها محاصرة ومحدودة بمقدار النور الذي استطاع أن يقتحم جحافل الظلام، وأن يتسلل إلى ثنايا تراكماته المهيمنة..

٩. وهنا يأتي دور النقع والغبار، الذي يثور في ساحة المعركة، بسبب سرعة حركة الخيل المغيرة، ليكون الساتر، والمانع من استفادة العدو حتى من كمية النور الضئيلة، التي تسللت إلى الأفق فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

كما أن لهذا النقع دوراً في إرباك حركة العدو، وفي التأثير على مخيلته، وبهية الفرصة لتوهم كيفيات وصور قتالية ضخمة ومهولة، لا وجود لها في الواقع.

ومن شأن هذا أيضاً أن يزيد ذلك العدو ضعفاً ووهناً، ويؤكد هزيمته الروحية، وربما يكون سبباً في مبادرته إلى هدر طاقات، وبذل جهد في غير الاتجاه الصحيح.

١٠. ثم يأتي دور تلك الخيل العادية في الالتفاف على العدو، ومحاصرته وصيرورته في وسط تلك الخيل بسرعة حسبما أشير إليه في قوله

تعالى: (فَوَسَّطْنَا بِهِ جَمْعاً)^(١)، حتى إذا رأى العدو أنه يواجه القتال في كل اتجاه، فإنه يصاب بالإحباط، وبالأس من أن تتيح له المقاومة شيئاً ذا بال، وستأكد لديه القناعة بأنه لا فائدة من الاستمرار فيها، لأن حصادها لن يكون في هذه الحال سوى أن يصبح طعمة للسيوف، وأن يلاقي الختوف، وفي مثل هذه الحال سيرى: أن الاستسلام هو الأرجح والأصلح.

وقد أظهرت النصوص المنقولة، وكذلك نزول هذه السورة المباركة في هذه المناسبة: أن علياً (عليه السلام) قد طبق هذه الأمور كلها في غزوة ذات السلاسل.

فصلوات الله وسلامه على علي، سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم.

١ - الآية ٥ من سورة العاديات.

الفصل الثالث:

بنو خنعم وعلي (عليه السلام) ..

سرية علي (عليه السلام) إلى بني خثعم:

عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قال: بينما أجمع ما كنا حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (١) ما خلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ أقبل أعرابي بدوي، فتخطى صفوف المهاجرين والأنصار حتى جثا بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فسأله النبي عن نفسه، وما جاء به، فأخبره أنه رجل من بني لجيم.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما وراك يا أخا لجيم)؟!

قال: يا رسول الله خلفت خثعم، وقد تهيأوا وعبأوا كتبهم، وخلفت الرايات تحف فوق رؤوسهم، يقدمهم الحارث بن مكيدة الخثعمي في خمسمائة من رجال خثعم، يتألون باللآلئ والعزى أن لا يرجعوا حتى يردوا المدينة، فيقتلوك ومن معك يا رسول الله.

قال: فدمعت عينا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أبكى جميع أصحابه، ثم قال: (يا معشر الناس، سمعتم مقالة الأعرابي)؟! قالوا: كل قد سمعنا يا رسول الله.

١ - أي كنا حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كأجمع ما يكون.

قال: (فمن منكم يخرج إلى هؤلاء القوم قبل أن يطؤنا في ديارنا وحریمنا، لعل الله يفتح على يديه، وأضمن له على الله الجنة؟!

قال: فوالله ما قال أحد: أنا يا رسول الله.

قال: فقام النبي (ﷺ) على قدميه وهو يقول: (معاشر أصحابي هل سمعتم مقالة الأعرابي؟!

قالوا: كل قد سمعنا يا رسول الله.

قال: (فمن منكم يخرج إليهم قبل أن يطؤنا في ديارنا وحریمنا، لعل الله أن يفتح على يديه، وأضمن له على الله اثني عشر قصرًا في الجنة).

قال: فوالله ما قال أحد: أنا يا رسول.

قال: فبينما النبي (ﷺ) واقف إذ أقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلما نظر إلى النبي (ﷺ) واقفًا ودموعه تنحدر كأنها جمان انقطع سلكه على خديه لم يتمالك أن رمى بنفسه عن بعيره إلى الأرض، ثم أقبل يسعى نحو النبي (ﷺ) يمسح بردائه الدموع عن وجه رسول الله (ﷺ) وهو يقول: ما الذي أبكاك؟! لا أبكى الله، عينيك يا حبيب الله! هل نزل في أمتك شيء من السماء؟!

قال: (يا علي، ما نزل فيهم إلا خير، ولكن هذا الأعرابي حدثني عن رجال خثعم بأنهم قد عبأوا كتابهم.

ثم ذكر له ما جرى، فطلب منه أن يصف له القصور، فوصفها له.

فقال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): فداك أمي وأبي يا

رسول الله، أنا لهم.

فقال النبي (ﷺ): (يا علي، هذا لك وأنت له، أنجد إلى القوم).

فجهزه رسول الله (ﷺ) في خمسين ومائة رجل من الأنصار والمهاجرين، فقام ابن عباس، وقال: فذاك أبي وأمي يا رسول الله تجهز ابن عمي في خمسين ومائة رجل من العرب إلى خمسمائة رجل وفيهم الحارث بن مكيدة يعد بخسمائة فارس؟!!

فقال النبي (ﷺ): (امط عني يا ابن عباس، فوالذي بعثني بالحق لو كانوا على عدد الثرى وعلتي وحده لأعطى الله عليهم النصر حتى يأتينا بسبيهم أجمعين).

فجهزه النبي (ﷺ) وهو يقول: (اذهب يا حبيبي، حفظك الله من تحتك، ومن فوقك، وعن يمينك، وعن شمالك، الله خليفتي عليك).

فسار علي (عليه السلام) بمن معه حتى نزلوا بواد خلف المدينة بثلاثة أميال يقال له: وادي ذي خشب، قال: فوردوا الوادي ليلاً، فضلوا الطريق، قال: فرجع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) رأسه إلى السماء وهو يقول: يا هادي كل ضال، ويا مفرج كل مغموم، لا تقو علينا ظالماً، ولا تظفر بنا عدونا، واهدنا إلى سبيل الرشاد.

قال: فإذا الخيل يقدح بحوافرها من الحجارة النار، حتى عرفوا الطريق فسلكوه، فأنزل الله على نبيه محمد:

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا..) يعنى الخيل

(فَالْمُورِيَّاتِ قَدْحًا) قال: قدحت الخيل بحوافرها من الحجارة النار (فَالْمَغِيرَاتِ صُبْحًا) قال: صبحهم علي مع طلوع الفجر.

وكان لا يسبقه أحد إلى الأذان، فلما سمع المشركون الأذان قال بعضهم لبعض: ينبغي أن يكون راعٍ في رؤوس هذه الجبال يذكر الله.

فلما أن قال: أشهد أن محمدًا رسول الله (ﷺ).

قال بعضهم لبعض: ينبغي أن يكون الراعي من أصحاب الساحر الكذاب.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لا يقاتل حتى تطلع الشمس، وتنزل ملائكة النهار.

قال: فلما أن دخل النهار، التفت أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى صاحب راية النبي (ﷺ) فقال له: ارفعها.

فلما أن رفعها، ورآها المشركون عرفوها، وقال بعضهم لبعض: هذا عدوكم الذي جئتم تطلبونه، هذا محمد وأصحابه.

قال: فخرج غلام من المشركين، من أشدهم بأساً، وأكفرهم كفرةً، فنادى أصحاب النبي: يا أصحاب الساحر الكذاب، أيكم محمد؟! فليبرز إليّ.

فخرج إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يقول: ثكلتك أمك أنت الساحر الكذاب، محمد جاء بالحق من عند الحق.

قال له: من أنت؟!!

قال: أنا علي بن أبي طالب، أخو رسول الله، و ابن عمه، وزوج ابنته.

قال: لك هذه المنزلة من مُجَّد؟!

قال له علي: نعم.

قال: فأنت ومُجَّد شرع واحد، ما كنت أبالي لقينك أو لقيت مُجَّداً، ثم شد على علي وهو يقول:

لاقيت يا علي ضيغماً^(١) قرماً كريماً في الوغا معلماً
ليثاً شديداً من رجال خثعماً ينصر ديناً معلماً ومحكماً
فأجابه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يقول:

لاقيت قرناً حدثاً وضيغماً ليثاً شديداً في الوغا غشمشما
أنا علي سائبير خثعماً بكل خطبي يري النقع دماً
وكل صارم يثبت الضرب فينعما^(٢)

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فاختلف بينهما ضربتان، فضربه علي (عليه السلام) ضربة فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى أمير المؤمنين (عليه السلام): هل من مبارز؟!

١ - هذا الشعر ورد هكذا، ولا يخفى عدم استقامة الوزن في هذا الشطر. ولعل الصحيح:

لاقيت حقاً يا علي ضيغماً***ليثاً شديداً في الوغا غشمشما

٢ - هذا الشطر غير مستقيم الوزن.

فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى علي (عليه السلام): هل من مبارز؟! فلم يبرز إليه أحد، فشد أمير المؤمنين (عليه السلام) عليهم حتى توسط جمعهم، فذلك قول الله: **(فَوَسَّطْنَا بِهِ جَمْعًا)**، فقتل علي (عليه السلام) مقاتليهم، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وأقبل بسبيهم إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فبلغ ذلك النبي، فخرج وجميع أصحابه حتى استقبل علياً (عليه السلام) على ثلاثة أميال من المدينة. وأقبل النبي (صلى الله عليه وسلم) يمسح الغبار عن وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بردائه، ويقبل بين عينيه ويبيكي، وهو يقول:

(الحمد لله يا علي الذي شد بك أزرى، وقوى بك ظهري. يا علي، إنني سألت الله فيك كما سألت أخي موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه أن يشرك هارون في أمره، وقد سألت ربي أن يشد بك أزرى).

ثم التفت إلى أصحابه وهو يقول:

(معاشر أصحابي لا تلوموني في حب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فإنما حيي علياً من أمر الله، والله أمرني أن أحب علياً وأدنيه، يا علي، من أحبك فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب الله أحبه الله، وحقيق على الله أن يسكن محبيه الجنة.

يا علي، من أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن

أبغض الله أبغضه ولعنه، وحقيق على الله أن يوقفه يوم القيامة موقف البغضاء، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً^(١).
ونقول:

لا بأس بعطف النظر إلى الأمور التالية:

نزول سورة العاديات:

بالنسبة لنزول سورة العاديات في هذه المناسبة نقول:

قد تحدثنا عن أصول الحرب في هذه السورة في آخر الفصل السابق، فلا بأس بمراجعته.. غير أننا نقول:

إن مضامين الآيات لا تتطابق مع المعاني التي تريد الرواية أن تعزوها إليها، فلاحظ ذلك.

أين كان ابن عباس؟!:

ذكرت الرواية: اعتراض ابن عباس على النبي (ﷺ) لإرساله علياً في مئة وخمسين رجلاً لمواجهة خمس مئة

رجل فيهم الحارث بن مكيدة، الذي يعد بخمس مئة فارس^(٢).

ونحن نرتاب في صحة ذلك:

أولاً: لشكنا في أن يكون ابن عباس في المدينة آنئذٍ لأن العباس إنما

١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٤-٩٠ عن تفسير فرات ص ٥٩٣-٥٩٨.

٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٧ وتفسير فرات الكوفي ص ٥٩٥.

أسلم في فتح مكة، وهاجر إلى المدينة بعد ذلك، وكان قبل ذلك في مكة، والمفروض أن زوجته وأولاده كانوا معه.. والقضية التي نحن بصددتها كانت قبل ذلك الفتح..

ثانياً: إن الناس قد عادوا من خيبر للتوّ، وقتل فيها علي (عليه السلام) مرحب اليهودي، وقلع باب الحصن بيده، وقتل قبل ذلك عمرو بن عبد ود وهو يعد بألف فارس، وهزم جيش الأحزاب، وهزم أيضاً قريظة والنضير، والمشركين في أحد.. وفعل في بدر الأفاعيل بالمشركين، فلماذا يخشى عليه ابن عباس، أو غيره..

ثالثاً: إن ابن عباس كان في هذا الوقت صغيراً، فإن عمره ما بين الثمان إلى العشر سنوات، وحتى لو زاد عمره عن ذلك، فإن اعتراضه على النبي (صلى الله عليه وآله)، ليس مستساغاً، ولا مقبولاً لا سيما مع ما ظهر منه من جرأة وبعد عن الأدب واللياقة مع النبي (صلى الله عليه وآله).

كما أن الجواب المنسوب إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو قوله: أمط عني يا ابن عباس.. لا يخلو من قسوة على طفل بهذه السن..

جموع الأعداء:

وقالوا: إن بني خثعم قد جمعوا خمس مئة فارس لمهاجمة المدينة..

ونقول:

إذا كان ما جرى في الخندق، وأحد، وخيبر، قد بلغ الخثعميين، فمن البعيد أن يجرؤوا على غزو المدينة بخمس مئة مقاتل يهدف القتال والنزال.. إلا إن كانوا يقصدون الإغارة على أطرافها، وأخذ بعض المواشي والغنائم،

على طريقة العرب في شن غارات السلب والنهب..

والمقصود هو الإيقاع بالمسلمين بأخذهم على حين غرة منهم، تنتهي بقتل الرسول (ﷺ)، وانفراط عقد جمع المسلمين معه، وارتكاب مذبحه هائلة فيهم..

فأراد (ﷺ) أن يزيل هذا الخطر، فأرسل إليهم سيد الأولياء، وخير الأوصياء علياً (عليه السلام)، فنصره الله عليهم، وأبطل بغيهم، وكيدهم..

بكاء النبي (ﷺ) لماذا؟!:

وتذكر الرواية: أن النبي (ﷺ)، بكى حتى أبكى جميع أصحابه، حين أعلمه ذلك الرجل بما عزم عليه بنو خثعم..

والسؤال هو: إن كان بكاءه (ﷺ) خوفاً، أو ضعفاً، فإنه (ﷺ) قد واجه أضعاف هذه الأعداد في عدة حروب، حين كان المسلمون في غاية القلة، مع فقد الإمكانيات، وضعف التجهيزات. ولم نره يخاف أو يضعف.

على أنه لا بد من تنزيه النبي (ﷺ) عن هذه المعاني التي تعني أن ثمة خللاً حقيقياً في ثقته بالله، وفي معرفته به، وهو يناقض الكثير من توجيهاته لأصحابه..

يضاف إلى ذلك: أنه الآن قد أصبح قادراً على حشد أضعاف ما حشده الخثعميون..

وإن كان (ﷺ) قد بكى إشفاقاً على بعض أصحابه من أن يصيبهم سوء، فلماذا لم نره يبكي إشفاقاً عليهم قبل الدخول في حرب بدر، وأحد، والخندق، وخيبر، وسواها؟! ولماذا كان هذا البكاء علنياً، ألا يوجب وهناً في المسلمين؟! وإطماعاً لعدوهم بهم، فيكون نقضاً للغرض، وتفريطاً غير مقبول..

لا مبرر لإحجام المسلمين:

ثم إننا لم نجد مبرراً لإحجام المسلمين عن الخروج إلى بني خثعم، مع أنهم نفروا في حرب اليهود في قريظة، وخيبر، وحرب الروم في مؤتة، وحرب المشركين في أحد، وبدر والأحزاب..

مع العلم بأنه لم يكن بحاجة إلى أكثر من مئة وخمسين رجلاً.. لا سيما وأنه (ﷺ) - كما صرحت به الرواية عنه - كان يريد أن يظهر أثر علي (عليه السلام)، وفضله، ومدى استعداده للتضحية في سبيل الله تعالى، وحرصه على الفوز برضاه، وشدة تفانيه في ذات الله.. ولو أرسله وحده، فإن الله تعالى ينصره عليهم.

هل ضلوا عن الطريق؟!:

ثم إننا نستبعد أن يكون علي (عليه السلام) ومن معه قد ضلوا عن الطريق، فإنهم أهل البلاد، العارفون بمسالكها، وشعابها..

٤- والأهم من ذلك أن قائدهم وهو أمير المؤمنين قد سلك هذه المسالك الوعرة في غزوة ذات السلاسل، حتى حرك ذلك عمرو بن العاص للإعتراض

عليه، بواسطة أبي بكر وعمر وخالد، فأجاب (عليه السلام) بأنه يعلم ما يصنع..
ولو سلمنا أنهم قد ضلوا الطريق فكيف يكون قدح النار من حوافر الخيول قد أثار الطريق لهم حتى رأوه
وعرفوه، وميزوه عن سائر الطرق.
متى تنزل ملائكة النهار؟!:
وفي الرواية: أن علياً (عليه السلام) كان لا يقاتل حتى تطلع الشمس وتنزل ملائكة النهار.. ونقول:
أولاً: ذكرت الروايات الأخرى: أنه (عليه السلام) كان لا يقاتل حتى تزول الشمس وأن النبي (صلى الله عليه وآله) ما بيت عدواً
قط، فلا حاجة لإعادة ذلك.
مع أنه قد تقدم في بعض الروايات: أنه (عليه السلام) أغار على الأعداء في غزوة ذات السلاسل حين طلوع الفجر.
وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق. ولعل الأقرب هو أنه إذا أراد يبدأ الحرب لم يبدأها إلا بعد الزوال، أما
إذا كانت الحرب قد نشبت، فلا مانع من الإغارة على العدو حين الفجر أيضاً.
أما ابتداء الحرب حين طلوع الشمس فلم يكن من فعل علي (عليه السلام).
ثانياً: إن ملائكة النهار تنزل من حين طلوع الفجر، لا حين طلوع الشمس، فقد روي ذلك عن الإمام
الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله

تعالى: (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا)^(١) يعني صلاة الفجر، تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار^(٢).

١ - الآية ٧٨ من سورة الإسراء.

٢ - راجع: بحار الأنوار ج ٥ ص ٣٢١ وج ٩ ص ٢٩٦ وج ١١ ص ١١٧ و ١١٨ وج ٥٣ ص ٢١٢ وج ٧٣ ص ٢٥٤ و ٢٦٣ وج ٧٧ ص ٣٠ و ٧٢ و ٧٣ و ٩٩ و ١٠٢ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٣٢٩ وج ٨ ص ١٣٢ وعن مسند أحمد ج ٢ ص ٤٧٤ وراجع: فقه الرضا (عليه السلام) ص ٧٢ والمعتبر للمحقق الخلي ج ٢ ص ١٧ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ١ ص ١٩٦ و (ط ج) ج ٤ ص ٢٥ و ٢٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج ١ ص ٧٢ و (ط ج) ج ٢ ص ٢٧٣ والذكرى ص ١١٣ و ١٢٢ ومدارك الأحكام ج ٣ ص ٢٤ والحبل المتين ص ١٢٢ ومفتاح الفلاح ص ٤ والحدائق الناضرة ج ٦ ص ٢٠٧ ومستند الشيعة ج ٤ ص ٥٣ وجواهر الكلام ج ٧ ص ١٦٨ ومسند زيد بن علي ص ٩٩ والمبسوط للسرخسي ج ١ ص ١٥٧ وفقه السنة ج ١ ص ٩٧ و ١٥٧ والمحاسن ج ٢ ص ٣٢٣ والكافي ج ٣ ص ٢٨٣ و ٤٨٧ وج ٨ ص ٣٤١ ومن لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٢٢ و ٤٥٥ وعلل الشرايع ج ٢ ص ٣٢٤ و ٣٣٦ وأمالي الصدوق ص ٢٥٤ وثواب الأعمال ص ١٣٦ والإستبصار ج ١ ص ٢٧٥ وتحذيب الأحكام ج ٢ ص ٣٧ وروضة الواعظين ص ٣١٧ ومختصر بصائر الدرجات ص ١٣١ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١ ص ٢٧٣ و ج ٤ ص ٥٠ و ٥٢ و ٥٣ و ٢١٢ و ٢١٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١ ص ٢٦١ وج ٣ ص ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٦٠ و ١٥٤ = ١٥٥ ومستدرك الوسائل ج ٣ ص ٥١ و ١٢٠ و ١٢٤ و ١٦٤ وج ٤ ص ٧٥ والإختصاص ص ٣٦ وأمالي الطوسي ص ٦٩٥ وعوالي اللآلي ج ١ ص ٤٢١ و حلية الأبرار ج ١ ص ١٦٠ و سنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٢٠ و سنن الترمذي ج ٤ ص ٣٦٤ والمستدرك للحاكم ج ١ ص ٢١١ والمصنف للصنعاني ج ١ ص ٥٢٣ وعن السنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٣٨١ وصحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ٣٦٥ وصحيح ابن حبان ج ٥ ص ٤٠٩ وكتاب الدعاء للطبراني ص ٥٩ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص ٢٣٦ وتفسير القمي ج ٢ ص ٢٥ والتبيان ج ٦ ص ٥٠٩ ومجمع البيان ج ٢ ص ١٢٨ وج ٦ ص ٢٨٣ وتفسير جوامع الجامع ج ٢ ص ٣٨٢ وفقه القرآن ج ١ ص ٨٢ و ١١٤ وتفسير غريب القرآن ص ١٩٧ والتفسير الصافي ج ٣ ص ٢١٠ والتفسير الأصفى ج ١ ص ٦٩٢ ونور الثقلين ج ٣ ص ٢٠١ وجامع البيان ج ١٥ ص ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ ومعاني القرآن ج ٤ ص ١٨٣ وزاد المسير ج ٥ ص ٥٣ وجامع الأحكام القرآن ج ١٠ ص ٣٠٦ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ١٣ و ٥٣ وتفسير الجلالين ص ٣٧٤ وعن الدر المنثور ج ٤ ص ٣٩٦ وعن فتح القدير ج ٣ ص ٢٥١ و ٢٥٥ وعن البداية والنهاية ج ١ ص ٥٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٩ ص ١٥٠ والنهاية في غريب الحديث ج ٢ ص ٥١٣.

لماذا لا يُقاتل علي (عليه السلام) إلا بعد الزوال؟!:
وقد شرح أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه أسباب عدم قتاله إلا بعد زوال الشمس.. فركز على الأسباب التالية:

١ - إن هذا الوقت أقرب إلى الليل، فإذا ذاق المقاتلون طعم القتال، وعرفوا أن الحرب ليست مجرد نزهة، بل فيها آلام ومصائب، وكوارث ونوائب، فإذا جنهم الليل، فسوف يعيدون النظر في حساباتهم، وسيقيّمون الأمور وفق تجربة مباشرة وملموسة، لم تعد مجرد تصورات غائمة، تكتنفها الكثير من التخيلات التي تقلل من وضوحها، وتَهون من أمرها.

فالألم المتصور والمفترض لا يؤثر في قرار الإنسان بمقدار ما إذا أصبح ماثلاً وحاضراً، والمصاب الذي تسمع به أو تقرأ عنه ليس له تأثير بمقدار المصاب الذي تراه وتعيشه، وتعاني منه ما تعاني..

فقد يدفعك خيال مآ، أو يهيجك هائج حمية أو عصبية، أو يدعوك داعي طمع، أو جشع، أو تزين لك أحلام وردية، تنطلق من حسابات خاطئة، أن تقتحم أتون الحرب.. فتبادر إلى ذلك.. فإذا مسك شيء من بلاياها ورزاياها وآلامها، يرجع إليك صوابك، وتلتمس الخلاص، ولات حين مناص..

ثم تطحنك رحى الحرب فيما تطحن، وتحطم ما صلب منك، وتلتهم ما رقق ولان. وتجد نفسك غير قادر على استرجاع ما ذهب، ولا استدراك ما يأتي، وتفرض عليك تلك الحرب كل تبعاتها، وتحملك ما أردته وما لم ترده من جرائمها وموبقاتها، وتلقي عليك بكلاكلها وأثقائها، وتبوء بكل مخزياتها..

٢ - إن هذا الوقت القصير، الذي هو بداية القتال، يكون فيه رجال الحرب على درجة عالية من اليقظة، والنشاط والحذر، ويريد كل منهم أن

يختبر قدرات العدو، وأن يكتشف مكامن قوته، ومواضع ضعفه.

فالإقدام فيه محدود، والحذر فيه على أشده.. ولا تتوفر فيه دواع للاستقتال، وطلب الموت، إذ لم يستحر القتل فيه بالأحبة، ولا وقع الأسر بعد على الأبناء والإخوة، ولا السبي أو العدوان على رموز الشرف، ومواضع الغيرة.. فلا موجب إذن لثورة حماس الشجعان. ليلقوا بأنفسهم في المهالك، طلباً للثار، أو لأجل محو العار. وإذا كانت الأمور لا تزال في حدودها المعقولة، فيمكن للعاقل أن يثوب إليه رشده في الليلة التي تعقب هذه البداية، ويكون. في هذه الحال. مدركاً بعمق حقيقة ما هو فيه، ونتائج ما يقدم عليه، فيوازن بين الحالين، ويتخذ القرار الرشيد، والموقف السديد..

٣. وإذا كان هناك من يلاحق مهزوماً فسيمنعه حلول الليل من مواصلة سعيه.

٤. ولا ضير في أن ينجو ذلك المهزوم، فإن هزيمته النفسية، تكفيه هو الآخر ليعيد حساباته، ويستأنف حياته، بنمط جديد، وحذر شديد.

كما أن المطلوب المهم هو دفع شره، والتخلص من أذاه.. وقد حصل ذلك فعلاً.. وليس المطلوب قتله، ولا أسره، إلا إذا كان دفع شره يحتاج إلى ذلك.

وهذا هو ما قاله علي (عليه السلام): (هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن

يقول القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم^(١).

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) في من نزلت؟!:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن قوله تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)^(٢) قد نزل في الحارث بن مكيدة، إلى

أن قال تعالى: (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)^(٣).

قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

يعني: باتباعه مُجَدِّدًا^(٤).

١- الكافي لأبي الصلاح الحلبي ص ٢٥٦ وعن تهذيب الأحكام ج ٢ ص ٢٥٦ وعن علل الشرايع ج ٢ ص ٦٠٣ وبحار الأنوار ج ٣٣ ص ٤٥٣ وج ١١ ص ٤٥٣ وج ٩٤ ص ٢٢ ومنتهى المطلب (ط ق) ج ٢ ص ٩٩٧ والتحفة السننية (مخطوط) ص ١٩٩ ورياض المسائل (ط ق) ج ١ ص ٤٨٩ و (ط ج) ج ٧ ص ٥١١ وجواهر الكلام ج ٢١ ص ٨١ والكافي (ط دار الكتب الإسلامية) ج ٦ ص ١٧٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٥ ص ٦٣ و (ط دار الإسلامية) ج ١١ ص ٤٦ و ٤٧.

٢- الآية ٦ من سورة العاديات.

٣- الآية ٨ من سورة العاديات.

٤- بحار الأنوار ج ٢١ ص ٨٨ و ٨٩ وتفسير فرات ج ١ ص ١٦ و (ط سنة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م) ص ٥٩٧ ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص ٤١٠.

وقيل: المراد عمرو بن العاص^(١).

وقيل: غير ذلك..

ونقول:

إن هذا الإختلاف لا يضر، لإمكان أن تكون السورة قد نزلت أكثر من مرة، ولهذا نظائر كثيرة..
ولكن قول الرواية: إن المقصود بقوله تعالى: **(وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)**^(٢) هو علي غير سديد، لأن الآيات
في مقام الذم والتوبيخ، حيث يظهر من سياقها: أن حب ذلك الكنود للخير، (أي للنعم الدنيوية، كالمال والجاه،
والبقاء على قيد الحياة..) شديد..

وهذا إنما ينطبق على الذين أرسلهم النبي **(ﷺ)** قبل علي **(عليه السلام)**، فخافوا على أنفسهم، وحسدوا علياً،
وحاولوا إحباط مسعاه..

ثم ذكرت الرواية: أن هؤلاء المحبين للدنيا سيرون يوم القيامة كيف أن الله تعالى خبير بهم، وسيظهر ما أضمروه
في صدورهم، ويفضح ما انطوت عليه قلوبهم قال تعالى: **(أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِعٌ فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي
الْصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ)**^(٣).

١ - الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٦٨ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٧٧ عنه.

٢ - الآية ٨ من سورة العاديات.

٣ - الآيات ٩ - ١١ من سورة العاديات.

الفصل الرابع:
قبل فتح مكة..

العبرة من حنين الجذع:

وذكرت الروايات: أن النبي (ﷺ) . استند . أو كان يستند حين يخطب يوم الجمعة إلى جذع نخلة هناك، فلما صنع المنبر لرسول الله (ﷺ) وترك الإستناد إلى ذلك الجذع اضطرب، وشمع له حنين إلى رسول الله (ﷺ) .
فقال (ﷺ):

معاشر المسلمين، هذا الجذع يحن إلى رسول رب العالمين، ويجزن لبعده عنه إلى أن قال: والذي بعثني بالحق نبياً، إن حنين خزّان الجنان، وحوار عينها، وسائر قصورها ومنازلها إلى من يوالى مُحمّداً وعلياً وآلهما الطيبين، ويبرأ من أعدائهما، لأشد من حنين هذا الجذع، الذي رأيتموه إلى رسول الله (ﷺ) .
وإن الذي يسكن حنينهم وأنينهم، ما يرد عليهم من صلاة أحدكم معاشر شيعتنا على مُحمّد وآله الطيبين، أو صلاة نافلة، أو صوم، أو صدقة .
وإن من عظيم ما يسكن حنينهم إلى شيعة مُحمّد وعلي، ما يتصل بهم من إحسانهم إلى إخوانهم المؤمنين، ومعونتهم لهم على دهرهم .

ونقول:

إن هذا يعطينا: أن علينا أن نتوقع لمحمد وآله وشيعتهم علاقة وأثراً في كل شيء، ولو كان بمستوى الإستناد إلى جذع نخلة مرة أو مرات.

وهذا يشير إلى أن ثمة أسراراً لا يحيط بها إلا عالم الغيب والشهادة.. وأن علينا أن لا نستهن ولو ببسمة أو لمسة أو لمحة من إنسان مؤمن.. فقد يكون لها من الآثار ما لا يخطر على قلب بشر.

رب لا تدرني فرداً، بعد مؤتة:

قال المسعودي: (..وكان رسول الله ﷺ) بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار بمؤتة من أرض الشام، لا يبعث بعلي في وجه من الوجوه إلا ويقول: (رَبِّ لَا تَدْرِنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) (١)(٢).

ونقول:

إن هذه الكلمة تعني: أن جميع من كان حول رسول الله ﷺ، ممن تُدعى لهم المقامات والكرامات، لا يفيد، ولا يؤثر في رفع الوحدة عن رسول الله ﷺ، وليس فيهم من يصلح أن يكون استمراراً له (ﷺ).

وعلي وحده هو الذي يصلح لوراثته (ﷺ)، لأنه هو الذي يحمل ميزاته وصفاته، وسائر مكنوناته، ويعكس صورته الحقيقية،

١ - الآية ٨٩ من سورة الأنبياء.

٢ - مروج الذهب ج ٢ ص ٤٣٤.

ويذكر الناس به، بكل ما لهذه الكلمة من معنى.. تماماً كما كان يحيى يمثل زكريا في حقيقته وفي إنسانيته، وهو استمرار له في كل وجوده.

ابنة حمزة في عمرة القضاء:

ويذكرون أيضاً: ان النبي (ﷺ) اعتمر عمرة القضاء، فلماذا انتهى منها لحقته عمارة، أو أمامة، أو أم أبيها. على الخلاف في اسمها. بنت الشهيد حمزة بن عبد المطلب، وأمها سلمى بنت عميس، وكانت بمكة. تطلب منهم أن يأخذوها معهم..

فكلم علي (عليه السلام) النبي (ﷺ)، فقال: علام نترك بنت عمنا يتيمة بين أظهر المشركين؟!

فلم ينهه النبي (ﷺ) عن إخراجها، فخرج بها^(١).

وفي نص آخر: أنها حين خرج النبي (ﷺ) من مكة تبعته وهي تنادي: يا عم، يا عم.

وقيل: إن أبا رافع خرج بها، فتناولها علي (عليه السلام)، وأخذ بيدها،

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٢٤ و ١٢٥ عن البخاري، ومسلم، وأحمد، والواقدي، وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣. وراجع أيضاً: بحار الأنوار ج ٢٠ هامش ص ٣٧٢ وعن الإمتاع، وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٦١ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٥٠٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩.

وقال لفاطمة: دونك ابنة عمك^(١).

المشاجرة:

قالوا: وفي المدينة تكلم زيد بن حارثة في أمرها، وأراد أن يكون هو المتكفل لها، استناداً إلى كونه وصي أبيها؛ ولأن النبي (ﷺ) كان قد آخى بينه وبين حمزة.

وطالب بها جعفر، باعتبار أن خالتها أسماء بنت عميس زوجته، والخالة أم.

أما علي (عليه السلام) فقال: ألا أراكم في ابنة عمي^(٢)، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين، وليس لكم إليها نسب دوني، وأنا أحق بها منكم.

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٥ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ وراجع: العمدة ص ٢٠١ و ٢٢٦ وعن مسند أحمد ج ١ ص ٩٨ و ١١٥ وعن صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٨ وج ٥ ص ٨٥ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ١٢٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٦٦ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٢٨٨ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ١١٣ والسنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٢٧ و ١٦٨ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص ٨٨ و ١٥١ وصحيح ابن حبان ص ٢٢٩ ونصب الراية ج ٣ ص ٥٤٩ وكنز العمال ج ٥ ص ٥٧٨ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٣ ص ٤٧٥ وج ٤ ص ٢١٨ وعن البداية النهاية ج ٤ ص ٢٦٧ وج ٣ ص ٤٤٢.

٢ - أي ألا أراكم تختلفون في أمر ابنة عمي الخ..

فقال رسول الله (ﷺ): أنا أحكم بينكم.

أما أنت يا زيد، فمولى لله ولرسوله.

وأما أنت يا علي، فأخي وصاحبي.

وأما أنت يا جعفر، فتشبه خلقي وخلقي. وأنت يا جعفر أحق بها، تحتك خالتها، ولا تنكح المرأة على خالتها، ولا عمتها.

فقضى بما لجعفر.

فقام جعفر فحجل حول رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ): ما هذا يا جعفر؟!

قال: يا رسول الله، كان النجاشي إذا أرضى أحداً قام فحجل حوله.

فقيل للنبي (ﷺ): تزوجها.

فقال (ﷺ): ابنة أخي من الرضاعة، فزوّجها سلمة بن أبي سلمة^(١).

١- المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٣٨ و ٧٣٩ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٥ و ٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٥ وفي هامشه عن: صحيح مسلم ج ٣ ص ١٤٠٩ وعن سنن أبي داود رقم (٢٢٨٠) والجامع الصحيح ج ٤ ص ٣٣٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٣٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ والأماشي للطوسي ص ٥٦١ و ٥٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٥ و ٣٦ ج ٨ ص ١٥٩ و ١٦٠ ج ٣ ص ٨ و ٩ ومستدرک الحاكم ج ٤ ص ٨٧ و ٢٢٠ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٣٤ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٧ ص ٣٣١ وصحيح البخاري (ط دار إحياء التراث) ج ٨ ص ٢٨٤ وعن مسند أحمد ج ١ ص ١٥٨ و ١٨٥ وجامع الأحاديث والمراسيل ج ١٢ ص ٥٣ ج ١٨ ص ٢٥٣ ج ٢٠ ص ١٢٤ وكنز العمال ج ١ ص ٩٨٦ ج ٥ ص ٥٨٠ و ٥٨١ وعن فتح الباري ج ٨ ص ٢٨٤ ج ٩ ص ١٣٠ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٦٢ والبيان والتعريف ج ١ ص ١٠٣ ونصب الراية ج ٥ ص ١١٥ وبحار الأنوار ج ٢٠ هامش ص ٣٧٢ عن ابن إسحاق، وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٢٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٣.

ونقول:

لا بد من ملاحظة ما يلي:

١. ذكرت الرواية أن ابنة حمزة خرجت تنادي النبي (ﷺ): يا عم، يا عم^(١)، مع أن النبي (ﷺ) ليس عمها، وإنما هو ابن عمها. إلا إن كان قد قالت ذلك انسياقاً مع منطلق الطفولة.
ويجاب: بأن طفولتها غير ظاهرة، فإنها كانت في سن الزواج.. وقد زوجها النبي (ﷺ) سلمة بن أبي سلمة.
وذلك بعد أن سئل

١ - راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٦٣ و ٦٤ والعمدة ص ٢٠١ و ٣٢٦ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٢٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٥ ص ٨٥ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ١١٣ وعن تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٢١٧ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٥٤ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٢.

النبي (ﷺ) عن سبب عدم زواجه منها.. إلا إن هذا التزويج قد جرى من قبل وليها رغم صغرها.. مع تأييد صغر سنها بتعبير الإمام عنها بأنها يتيمة..

٢ . ذكرت الرواية: أن جعفرًا حجل حينئذٍ سروراً بقضاء النبي (ﷺ)، فسأله (ﷺ) عن ذلك، فأخبر أن هذا ما يفعله النجاشي في هذه الحالات.

ونلاحظ على هذا: أن جعفرًا قد حجل قبل ذلك في خير، حين قدومه من الحبشة، فسأله (ﷺ) عن ذلك، وأجابه.. فيبقى السؤال.

وما قيل من أجوبة على ذلك لا يصح، كما بيناه في موضع آخر في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) (١).

٣ . قولهم: إن النبي (ﷺ) رفض الزواج من ابنة حمزة، لأنها بنت أخيه من الرضاعة، لا يصح، لما يلي:

ألف: لتناقض الروايات في كثير من الأمور المرتبطة بهذا الأمر.

ب: إن حمزة كان أكبر من النبي بأكثر من عشر سنوات، لأن نذر عبد المطلب وما جرى على أساسه يعطي أن حمزة كان قد ولد وكبر قبل زواج عبد الله بأمينة بنت وهب، وحمزة أكبر سنًا من عبد الله والد النبي (ﷺ) (٢).

١ - راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ﷺ) ج ١٩ ص ٢١٩ و ٢٢٠.

٢ - راجع: البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ١٧٤ = والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٦٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦ وفي السيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥ وإن كان لم يذكر: أن عبد الله كان أصغر ولده، لكنه ذكر حمزة والعباس في جملة أولاد عبد المطلب حين قضية الذبيح.. وذكر في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) ج ٢ ص ٤: أن عبد الله كان أصغر ولده، وأحبهم، لكنه لم يسم أولاد عبد المطلب وراجع: المصنف للسنن ج ٥ ص ٣١٥ و ٣١٦ وعن الدر المنثور ج ٣ ص ٢٢٠ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ٥٧ ص ٢٤٠ وتاريخ يعقوبي ج ١ ص ٢٥٠ و ٢٥١.

ج: حتى بناء على ما زعموه من أن حمزة كان أكبر من النبي (ﷺ) بسنتين، أو بأربع، نقول: إن حدوث هذا الرضاع يصبح بعيداً، أيضاً بناءً على الأول، لأن قلة قليلة جداً تبلغ في رضاعها السنيتين، فضلاً عن أن تزيد عليه، وغير صحيح بناء على الثاني.

٤ . لماذا لم يأخذ النبي نفسه بنت حمزة، فإن ميمونة بنت الحارث كانت أخت سلمى بنت عميس لأمها، فهي خالة بنت حمزة، فكان يمكن أن يأخذها (صلى الله عليه وآله)، لكون خالتها عنده؟! ولكنه أخاً لأبيها من الرضاعة، فلديه سببان لأخذها دون غيره..

٥ . إن صفية بنت عبد المطلب كانت عمه لبنت حمزة، فلماذا لم تُعْطَ لها، وهل طالبت بها كما طالبوا؟! فإن كانت لم تطالب فما هو السبب؟! هل هو

دم قدرتها على القيام بشؤونها؟!!

أم أنهم حسموا الأمر من دون علمها، ثم علمت فرضيت؟!!

وكيف يقدم النبي (ﷺ) على حسم الأمر، دون أن يستكمل استكشاف آراء من لهم ارتباط بالمشكلة..
ولماذا؟! ولماذا؟!!

٦ . ما السبب في وجود سلمى زوجة حمزة مع ابنتها في مكة، هل هي لم تهاجر مع زوجها حمزة إلى المدينة؟!..
أم أنها عادت إلى مكة بعد استشهاده (عليه السلام)؟! وما الذي جعل أهل مكة يرضون بعودتها إلى بلدهم؟!
٧ . لماذا لم يطلب زيد، وجعفر ابنة حمزة في مكة، قبل أن تلحق هي بالنبي (ﷺ)، وتتوسل إليه أن يأخذها
معه ..

٨ . لماذا لم يجبه النبي (ﷺ)، وهي تناديه أن يأخذها معه؟! بل هو لم يبد رأياً في ذلك حتى كلمه علي
(عليه السلام) في شأنها؟!!

ولعل الصحيح: هو أن علياً (عليه السلام) قد أخرج فاطمة بنت الحمزة . كما قيل: بنت سلمى بنت عميس^(١)،
وقيل: أن اسمها عمارة^(٢)،

١ - الإصابة ج ٤ ص ٣٨١ والجواهر النقي ج ٦ ص ٢٤١ ومقاتل الطالبين ص ١١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٥ و ٣٦ وتهذيب
الكمال ج ١٥ ص ٨٢ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢١٣ و ٢١٤ و ١٥١ وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٨٨ و ٣٨٩ .
٢ - بحار الأنوار ج ٢٠ هامش ص ٣٧٢ عن الإمتاع، وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٨٨ و ٣٨٩ وكنز العمال ج ٥ ص ٥٨٠ والطبقات الكبرى
لابن سعد ج ٢ ص ١٢٢ = = ج ٨ ص ١٥٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج ١٩ ص ٣٦١ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٥٠٨ و ج ٨ ص ١٨٥ و
٢٤٢ والمنتخب من ذيل المذيل ص ١١٤ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٤٤٣ وعمدة القاري ص ١٧
ص ٢٦٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩ .

وقيل: أمامة^(١). من مكة حين هجرة رسول الله (ﷺ)^(٢)، لا في عمرة القضاء.. فإن صح هذا، فلماذا عادت إلى مكة؟! وكيف؟!

وحين يذكرون هجرة الفواطم مع علي (عليه السلام)، ونزولهم ضجنان لا يذكرون فاطمة بنت الحمزة مع الفواطم الثلاث، ولعل ذلك لأنها كانت طفلاً تابعاً.

وحين يتحدثون عن غير الهجرة يقولون: إن الفواطم أربعة، أو ثلاث

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ٤٨ و ٥٨ وكتاب المحبر ص ١٠٧ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٣٩٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ٧٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٩٥ و ١٩٦.

٢ - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٤ و ٢٠٥ وتفسير الميزان ج ٤ ص ٩١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٧٤٨ والأمل لللطوسي ص ٤٧١ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٥٩ وحلية الأبرار ج ١ ص ١٥١ و ١٥٢ وبحار الأنوار ج ١٩ ص ٦٦ و ج ٦٣ ص ٣٥٠ ومستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٤٦٨ والتفسير الصافي ج ١ ص ٤١٠ ونور الثقلين ج ١ ص ٤٢٣ وتفسير كنز الدقائق ج ٢ ص ٣٢٦ وكشف الغمة ص ٣٣ وسيرة المصطفى ص ٢٥٩.

ويذكرونها بينهن^(١). فما هو السبب أيضاً في ذلك؟!

كتاب النبي (ﷺ) لخزاعة بخط علي (عليه السلام):

وفي جمادى الآخرة سنة ثمان كتب النبي (ﷺ) بعد الحديبية كتاباً لخزاعة، يبدأ كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم:

من محمد رسول الله إلى بديل وبشر، وسروات بني عمرو، سلام عليكم إلخ^(٢)..

١ - راجع: نيل الأوطار ج ٢ ص ٧٧ وشرح أصول الكافي ج ٦ ص ١٦٧ وشرح مسلم للنووي ج ١٤ ص ٥٠ وفتح الباري (المقدمة) ص ٢٨٢ وج ١١ ص ٤٧٧ والديباج على مسلم ج ٥ ص ١٢٦ والفايق في غريب الحديث ج ٢ ص ١٧٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٧١ واللعة البيضاء ص ٢٠٧ ولسان العرب ج ١٢ ص ٤٥٥ وتاريخ العروس ج ٩ ص ١٣ وكنز العمال ج ١ ص ٣١٠٢ وسبل السلام ج ٢ ص ٨٦ وعون المعبود ج ١١ ص ١٠١ وعمدة القاري ج ٢١ ص ٢٣ وج ٢٢ ص ١٧ والتمهيد ج ١٤ ص ٢٣٩ وشرح معاني الآثار ج ٤ ص ٢٤٣ ومرقاة المفاتيح ج ٨ ص ١٧٧ وعن الإصابة ج ٤ ص ٣٨١ وعن أسد الغابة ج ٥ ص ٣٦٢ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٢ ص ١٥٣ وتعريف الأحياء بفضائل الإحياء للعيدروسي ج ١ ص ١١٦.

٢ - المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٤٩ و ٧٥٠. ونقله في مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٢٦ عن: الأموال لأبي عبيد ص ٢٠١ وفي (ط أخرى) ص ٢٨٨ والطبقات الكبرى = لابن سعد (ط ليدن) ج ٢ ق ١ ص ٢٥ وفي (ط دار صادر) ج ١ ص ٢٧٢ وأسد الغابة ج ١ ص ١٧٠ في ترجمة بديل، ورسالات نبوية ص ٩٦ (عن ابن حجر والطبراني) وابن أبي شيبه ج ١٤ ص ٤٨٦ وكنز العمال ج ٤ ص ٢٧٦ (عن ابن سعد، والباوردي، والفاكهي في أخبار مكة، والطبراني، وأبي نعيم وص ٣١٠ عن ابن أبي شيبه. والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ١٥ بسندين، ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٣١٥ والأموال لابن زنجويه ج ٢ ص ٤٦٤ وأعيان الشيعة ج ٣ ص ٥٥٠ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ١٧٢ و ١٧٣ ومجموعة الوثائق السياسية ٢٧٥ و ١٧٢/٢٧٦ (عن جمع ممن تقدم وعن) وسيلة المتعبدين ج ٨ ص ٢٨/ألف، ثم قال: قابل ابن عبد ربه ج ٢ ص ٧٦ والإستيعاب، وانظر: كاتباتي ج ٨ ص ٢١ واشترنكر ج ٣ ص ٤٠٤ واشيرير ص ٢٠.

ثم قال العلامة الأحمدي: وأوعز إليه كنز العمال ج ١ ص ٢٧٣ وجمهرة النسب لهشام الكلبي ص ٣٦٥ والإصابة ج ١ ص ١٤٩ و ٦٤٦ في ترجمة بسر عن ابن أبي شيبه، والطبراني، والفاكهي وص ٦٤١/١٤١ وص ٣٢١ في حرمله، وج ٢ ص ٥٠٤ والإستيعاب ج ١ ص ١٦٦ في بديل، وص ٤١١ في خالد بن هوذة، ورسالات نبوية ص ١٧ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٩٨ وج ٢ ص ٩٧ وراجع: ثقات ابن حبان ج ٢ ص ٣٦ والإشتقاق ص ٤٧٦ والمفصل ج ٦ ص ٤٢٣ وج ٤ ص ١٥ و ٣٦٧.

ويلاحظ: أن أكثر المصادر لم تذكر اسم كاتب الكتاب، لكن ابن الأثير قال: كان الكتاب بخط علي بن أبي طالب، أخرجه الثلاثة^(١)، وفي رسالات

١ - مكاتيب الرسول ج ٣ ص ١٣٧ عن المعجم الكبير ج ٢ ص ١٥ ومدينة البلاغة ج ٢ = ص ٣١٥ وراجع: مجمع الزوائد ج ٨ ص ١٧٣ وعن أسد الغابة ج ١ ص ١٩٧ وعن الإصابة ج ١ ص ٤١٠.

نبوية: أن الكتاب بيد علي بن أبي طالب.

وقال الطبراني: قال أبو مُجَدِّد: وحدثني أبي قال: سمعت يقولون: هو خط علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(١).
علي (عليه السلام) وجلد المستحاضة:

عن علي (عليه السلام) قال: أرسلني رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى أمة له سوداء، زنت، لأجلدها الحدَّ، قال: فوجدتها في دمائها، فأتيت النبي (صلى الله عليه وآله)، فأخبرته بذلك، فقال لي: إذا تعالت [تعافت] فاجلدها خمسين^(٢).
ونقول:

١. لا يقام الحدُّ على المستحاضة حتى ينقطع الدم عنها، لأن الإستحاضة

١ - المعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ٣٠ ومجمع الزوائد ج ٨ ص ١٧٣ ومكاتب الرسول ج ٣ ص ١٣٧.

٢ - مسند أحمد ج ١ ص ١٣٦ وراجع: تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٧٦ وعن نيل الأوطار ج ٧ ص ٢٧٢ وعن صحيح مسلم ج ٣ ص ٥٣٧ ح ٣٤ كتاب الحدود، والجامع الصحيح للترمذي ج ٤ ص ٣٧ وعن سنن أبي داود ج ١ ص ١٦٤ ح ٤٤٧٣، وليس في الثلاثة الأخيرة لفظ خمسين.

في معنى المرض، ولذلك قال (ﷺ): إذا تعافت، فاجلدها خمسين. أما الحيض فهو يدل على اعتدال المزاج. والحائض صحيحة، فيقام عليها الحدّ مطلقاً.

٢. إن علياً (عليه السلام) لم يبادر إلى إقامة الحد على تلك الأمة، بل تحرى عنها، لكي يعرف إن كانت واجدة لشرائط إقامة الحد أم لا.. فلما علم باختلال الشرائط لم يتركها انتظاراً لتوفر تلك الشرائط، واستناداً إلى ما يعرفه هو من الأحكام الخاصة في هذا المورد، بل راجع رسول الله (ﷺ) في أمرها، ليكون التأخير مستنداً إلى قرار الرسول (ﷺ) نفسه، لا إلى قرار علي (عليه السلام).

٣. قد يعترض بعضهم على علي (عليه السلام) بأنه لم يلتزم بحرفية أمر رسول الله (ﷺ)، بل استلبت وتريث، حتى وجد فرصة لتأجيل تنفيذ الأمر الصادر إليه، فهو لم يكن كالسكة المحماة فيه، كما هو المفروض. ونجيب: بأنّ هناك أموراً تكون في عهدة النبي أو في عهدة وصيه، الحاكم والحافظ لأحكام الشريعة، لا بد أن يتصدى لها الحاكم مثل: أن يصدر أمره بإقامة الحدّ على مستحقه.

وهناك أمور أخرى تكون من حق المحدود، وعلى المنفذ للأمر أن يراعيها فيه. فالمراد هنا: من قبيل هذا الثاني، لا الأول، أي أنه مورد التأكد من جامعية المحدود لشرائط إقامة الحدّ، وهذا من وظائف علي (عليه السلام)، فهو من موارد قاعدة: (الشاهد يرى ما لا يراه الغائب)، تماماً كما حصل له

(عليه السلام) في حديث الإفك، حيث أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) بقتل جريح القبطي إن وجدته عند مارية، فلما وجدته، وتأكد من فاقديته لشرط إقامة الحدّ رجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقال له: تأمرني بالأمر أكون فيه كالسمكة المحماة، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟!

فقال (صلى الله عليه وآله): بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

فهل هذا المورد من الموارد التي يكون فيها كالسكة المحماة؟! تماماً كما حدث حين أمره (صلى الله عليه وآله) بالإتيان بالحكم، كالشاة التي تساق لخبها؟! أم أن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟!

أي أنه (عليه السلام) لم يرفع حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالرجم، بل هو سيمضيه، ويكون فيه كالسكة المحماة، حين تتحقق شرائط إجرائه، إذ هو بالنسبة لتوفر شرائط إقامة الحدّ، محكوم بقاعدة: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، لأن اليقين بتوفر الشروط من مسؤولية ذلك الشاهد نفسه.

كأنك في الرقة علينا منا:

نقل عن خط الشهيد (عليه السلام) ما يلي:

(قيل: كتب النجاشي كتاباً إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): اكتب جواباً وأوجز..

فكتب (عليه السلام):

(بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فكأنك في الرقة علينا منا، وكأننا من الثقة بك منك، لأننا لا نرجو شيئاً

منك إلا نلناه، ولا نخاف منك أمراً

إلا أمناء، وبالله التوفيق).

فقال النبي (ﷺ): الحمد لله الذي جعل من أهلي مثلي، وشد أزرى بك^(١).

ونقول:

أولاً: قد تم الإستيلاء على هذا الوسام أيضاً، بالإستيلاء على سبب منحه، حيث زعموا: أن عمرو بن أمية قال للنجاشي: كأنك في الرقة علينا منا، وكأننا في الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا لنناه، ولم نحفظك على شر قط (ولا نخاف أمراً منك) إلا أمناء إلخ^(٢)..

غير أن من الواضح: أن عمرو بن أمية قد ذهب إلى الحبشة بعنوان رسول، فمتى توطَّن الحبشة، ولمس رقة ملكها عليه، وتنامت ثقته به، حتى

١- بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٣٩٧ و (ط حجرية) ج ٦ ص ٥٧١ ومستدرك سفينة بحار الأنوار ج ٩ ص ٥٤١ ومكاتب الرسول ج ٢ ص ٤٥٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٧ ص ٢٨ عن زهة الجليس (ط المطبعة الحيدرية) ج ١ ص ٣٥٤ وراجع: ناسخ التواريخ، ترجمة رسول الله (ﷺ) ومدينة البلاغة ج ٢ ص ٢٤٤.

٢- مكاتب الرسول ج ٢ ص ٤٤٧ عن السيرة النبوية لدحلان ج ٣ ص ٦٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٩ وزاد المعاد ج ٣ ص ٦٠ والروض الأنف ج ٣ ص ٣٠٤ والمصباح المضيء ج ٢ ص ٣٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٧٢ وج ٢ ص ٦٥٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٣٢٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢٥٩.

صار يشعر أنه منه، وحتى صار لا يظن به خيراً إلا ناله إلخ..؟!
على أننا لم نر في طريقة خطاب عمرو بن أمية ما يناسب خطاب مثله لمثله، ولا نرى أن ملك الحبشة وأعوانه
يرضى ويرضون بأن يبدأه بعبارة: عليّ القول، وعليك الإستماع.
وكذا قوله: (وإلا، فأنت في هذا النبي الأمي، واليهود كاليهود في عيسى..)، بل هم سوف يسكتونه فور سماع
عبارته هذه.
ثانياً: إن حامل الرسالة لملك الحبشة هو جعفر بن أبي طالب، وملك الحبشة أسلم على يد جعفر، لا على يد
عمرو بن أمية.

من صدقات علي (عليه السلام):

وقد أرسل النجاشي لرسول الله (ﷺ) بمناسبة زواجه بأُم حبيبة (قميمصاً وسراويل، وعطافاً، وخفين
ساذجين)^(١).

وروى الكليني: أنه أهدى لرسول الله (ﷺ) حلة قيمتها ألف دينار، فكساها علياً (عليه السلام)، فتصدق بها^(٢).

١ - مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٤٤٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج ١ ص ٥٧٦ وج ٢ ص ٦٦٠ وتحفة الأحوذى ج ٨ ص ٧٨ وكتاب المحبر
للبيهقي ج ٧ ص ٧٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣١١ وإمتاع الأسماع ج ٧ ص ١٥.
٢ - راجع: الكافي ج ١ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ الحديث رقم ٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ٥ ص ١٨ وج ٩ ص ٤٧٧ و (ط دار
الإسلامية) ج ٣ ص ٣٤٩ وج ٦ = ص ٣٣٤ وحلية الأبرار ج ٢ ص ٢٧٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص ١٨٤ وجامع أحاديث الشيعة
ج ٨ ص ٤٤١ وج ١٦ ص ٦٨٥ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٤٤ والتفسير الأصفي ج ١ ص ٢٨١ ونور الثقلين ج ١ ص ٦٤٣ وشرح أصول
الكافي ج ٦ ص ١١٦ وتأويل الآيات ج ١ ص ١٥٣.

ونقول:

- ١ - إن النبي (ﷺ) لم يعط علياً إلا ما هو ماله الخاص، وليس للمسلمين فيه نصيب ..
 - ٢ - إنه (ﷺ) لم يشأ أن يلبس حلة بألف دينار، وهو يعلم: أن الكثيرين من المسلمين يحتاجون في كسوتهم إلى شيء، مهما كانت قيمته متواضعة.. فأثر أن يعطيها لمن يستحقها ويحتاجها.. وهو علي (عليه السلام) ..
 - ٣ - ولكن علياً (عليه السلام) أيضاً لم يشأ أن يلبس حلة بألف دينار، تأسياً برسول الله (ﷺ) من جهة، ومن جهة ثانية: ولعل في الحجاز أو اليمامة من لا عهد له باللباس اللائق به، ولا يقدر على تهيئة ما تكون قيمته متواضعة، فأثر بما غيره من أهل الحاجة لينال ثواب ذلك أيضاً.. وليكون المثل الأعلى في القناعة والإيتار، والزهد بالدنيا..
- علي (عليه السلام) يقتل أصل الخوارج:
- ونذكر هنا قضية جرت في حياة رسول الله (ﷺ)، ولعلها حدثت في هذه السنة أو في غيرها وهي التاية:

رووا: أن أبا بكر قال للنبي (ﷺ): إني مررت بوادي كذا وكذا، فإذا رجل متخضع، حسن الهيئة، يصلي..
فقال له النبي (ﷺ): إذهب إليه فاقتله.
فذهب إليه، فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله، فرجع إلى النبي (ﷺ)..
فقال النبي (ﷺ) لعمر: إذهب فاقتله.
فذهب إليه، فرآه على تلك الحال، فكره أن يقتله.
فقال (ﷺ) لعلي (عليه السلام): اذهب فاقتله.. فذهب إليه فلم يجده.
فقال النبي (ﷺ): إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم. وذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين، وفي آخره: فاقتلوهم هم شرُّ البرية^(١).

١- مسند أحمد ج ٣ ص ١٥ والمصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٥٥ و ١٥٦ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٩٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ والكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٢٠ و ٢٢١ ونيل الأوطار للشوكاني ج ٧ ص ٣٥١ والمراجعات للسيد شرف الدين ص ٣٧٦ و ٣٧٨ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص ٩٦ والغدير ج ٧ ص ٢١٦ وأهمية الحديث عند الشيعة للشيخ آقا مجتبي العراقي ص ٢١٧ وفتح الباري ج ١٢ ص ٢٦٦ والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص ١٢١.

وفي نص آخر: فقال علي (عليه السلام): أفلا أقتله أنا يا رسول الله؟! قال: بلى أنت تقتله إن وجدته.. فانطلق علي (عليه السلام) فلم يجده.. أو نحو ذلك^(١). ونقول:

- ١ - لقد عودنا عمر بن الخطاب أن يطلب من النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يسمح له بقتل هذا تارة وذاك أخرى، وذلك ثالثة، ورابعة، وخامسة. ولم ينل مبتغاه في جميع مطالبه تلك، بل كان القرار النبوي دائماً على خلاف هواه.. أما هنا.. فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) هو الذي يطلب من عمر أن يقتل هذا الرجل، ولكن عمر لا يستجيب!!
- ٢ - إن أبا بكر لم يكن في مجمل أحواله يتوافق مع عمر على القتل الذي كان عمر يطلب من النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يسمح له به، فلم يطلب

١ - كشف الأستار عن مسند البزار ج ٢ ص ٣٦٠ و ٣٦١ والعقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٤ وراجع المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٥٥ و ١٥٦ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٢٦ و ٢٢٧ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٨٧ و ١٨٨ عن مسند أبي يعلى، والإعانة لابن بطه، والعكبري. وزينة أبي حاتم الرازي، وكتاب أبي بكر الشيرازي وغيرهم والطرائف ج ٢ ص ٤٢٩ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٩٨ والغدير ج ٧ ص ٢١٦ وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣١٧ و ج ٣ ص ٢٢٧ والإصابة ج ١ ص ٤٨٤ والنص والإجتهد ص ٩٣ و ٩٤ عن بعض ما تقدم.

ما كان يطلبه عمر من ذلك، ولو مرة واحدة، بل هما قد اختلفا في العديد من الموارد، فقد اختلفا في الموقف من خالد حين قتل مالك بن نويرة، وزنى بامرأته.. واختلفا في الموقف من أسارى بدر.

٣ . إن أبا بكر كان قرين عمر، وحبيبه، وصفيه، ونجيه، وكانا معاً يداً واحدة على الدوام.. غير أنهم يزعمون: أن أبا بكر يميل إلى السلم، وعمر يميل إلى القتل والحرب. حتى أصبح ذلك بمثابة القاعدة. ولكن هذه القاعدة قد انخرمت مرتين:

إحدهما: في قتال مانعي الزكاة، حيث كان عمر يرى مسألتهم، وأبو بكر يرى حرهم، وذلك على خلاف ما عهدناه منهما من ميل أبي بكر للسلم، وميل عمر للحرب.. فما هو السبب في ذلك؟! ويزيد هذا الأمر غرابة حين نرى أن الأمور عادت بينهما إلى التوافق، ولكن لا يرجوع أبي بكر إلى رأي عمر، بل يرجوع عمر إلى رأي أبي بكر!

الثانية: في قتل أصل الخوارج، فإن عمر قد مال إلى طبع أبي بكر، ورأيه، فأثراً معاً عصيان رسول الله (ﷺ)، ولم ينفذا أمره بقتله..

٤ . إن الرجل الذي طلب النبي (ﷺ) قتله من أبي بكر وعمر، كان يتظاهر بالتخشع والعبادة والصلاح. ولكن ذلك لم يمنع النبي (ﷺ) من الأمر بقتله، فإن العبرة عنده بالجوهر لا بالمظهر.. وأفهمنا أن على المؤمن أن لا يتخدع بالمظاهر.

٥ - وقد جاءت هذه الحادثة لتكون التطبيق العملي لنهي (صلى الله عليه وآله)

الناس عن النظر إلى صلاة الرجل وصومه، وطننته بالليل، بل عليهم أن ينظروا إلى صدقه في الحديث، وأدائه الأمانة^(١).

٥ . إن النبي (ﷺ) لم يرسل أبا بكر إلا بعد أن أخبره أبو بكر نفسه عنه بأنه رآه بمكان كذا متخشعاً، حسن الهيئة يصلي، أي أن النبي أمره بقتله بناء على ما سمعه من أوصاف أغدقها عليه، وحالات نسبها إليه، فما معنى أن يذهب أبو بكر إليه، ثم يرجع فيقول: إنه رآه يصلي فترك قتله؟! فإنه لم يأت للنبي (ﷺ) بشيء جديد يبرر إحجامه عن تنفيذ أمره.

٦ . إنه (ﷺ) حين أمر أبا بكر وعمر وعلياً بقتل ذلك الرجل، لم يذكر لهم سبب إصداره لهذا الأمر . رغم إخبارهم إياه بصلاة ذلك الرجل وتخشعه . وهذا يدل على ضرورة أن يكون التعامل مع

١ - راجع: الأمالي للصدوق ص ٣٧٩ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٥٥ و ٥٦ وروضة الواعظين ص ٣٧٣ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج ١٩ ص ٦٩ و (ط دار الإسلامية) ج ١٣ ص ٢٢٠ ومستدرک الوسائل ج ١٤ ص ٦ والإختصاص ص ٢٢٩ ومشكاة الأنوار ص ١٠٩ و ١٦٤ وبحار الأنوار ج ٦٨ ص ٩ وج ٧٢ ص ١١٤ و ١١٥ وشجرة طوبى ج ٢ ص ٤٤٣ وجامع أحاديث الشيعة ج ١٨ ص ٥٢٦ ومستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٢٢٣ ومسنند الإمام الرضا للعطاردي ج ١ ص ٢٧٤ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج ٦ ص ٥٦ والرسائل الرجالية للكلباسي ج ١ ص ٢٢٩ .

المعصوم بمنطق الطاعة والإنقياد المطلق والتسليم، تطبيقاً لقوله تعالى: (ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)^(١).

تماماً كما سلم إسماعيل نفسه لأبيه إبراهيم ليذبحه قائلاً: (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)^(٢).

٧ . إن امتناع أبي بكر وعمر عن تنفيذ الأمر يدلنا على أنهما لم يتعاملا مع النبي (ﷺ) على أساس أنه مسدد بالوحي الإلهي، ولا ينطق عن الهوى.. ولا على أساس أنه عالم علم اليقين، بالمبررات الشرعية لحكمه عليه بالقتل.. أي أنهما رأيا أن النبي لم يكن مستجمعاً للشرائط المسوغة لحكمه على الرجل، ومعنى ذلك أنه مخطئ في قراره هذا، وأن ذلك الرجل مظلوم..

وهذا ما لا يمكن قبوله، لا من أبي بكر وعمر، ولا من غيرهما.

٨ . إن قوله (ﷺ) لعلي (عليه السلام): (بلى أنت تقتله إن وجدته) يدل على أنه كان يعرف علياً حق المعرفة، حتى لقد أخبر عن فعل علي (عليه السلام) . الذي كان سيحصل . لو وجد ذلك الرجل .
٩ . إن هذا الإختبار العملي، قد أظهر فضل ذي الفضل.. وبين ميزته (عليه السلام) على من سواه، وسجل معياراً ومقياساً تسقط به الكثير من الدعاوى التي يسوقها محبوا مناوئي علي (عليه السلام) ..

١ - الآية ٦٥ من سورة النساء.

٢ - الآية ١٠٢ من سورة الصافات.

١٠. إن قول النبي (ﷺ) عن الذين هم على شاكلة ذلك الرجل الذي أمر (ﷺ) بقتله: (فاقتلوهم هم شر البرية) قد أسقط الحصانة عن هذه الفئة من الناس، بإعطائه الأمر بقتلهم، لأنهم تجسيد للشر الذي يصيب البشرية، وتسئرتهم بالمظاهر الخادعة وإظهارهم التخشع، وممارسة العبادات إن كان يراد به حفظ الجحود والطغيان، لا ينفع في دفع العقوبة التي يستحقونها.

١١. وإنما كان هؤلاء شر البرية، لأنهم يتسترون بالدين للقضاء على الدين، وإشاعة رذيلة الظلم والطغيان، والعمل بالهوى، وأحكام الجاهلية..

١٢. وقد أخبر (ﷺ): أن علياً (عليه السلام) لن يجد ذلك الرجل، ولو وجده لقتله، وأخبر أيضاً عن المارقين، مع بيان بعض حالاتهم، وما يكون منهم.. مبيناً التكليف الإلهي للأمة تجاههم.

١٣. ويكون صدق ما أخبر به (ﷺ) عن أن علياً (عليه السلام) لن يجد ذلك الرجل بمثابة شاهد حسي على أنه (ﷺ) يخبر عن الله تعالى، وعلى أن ما يخبر به عن ظهور المارقين لا بد أن يتحقق أيضاً.

١٤. إن النبي (ﷺ) لا يقدم على قتل رجل إلا إذا توفرت الأدلة له على استحقاقه للقتل..

ومن الذي قال: إن البيعة لم تقم لدى رسول الله (ﷺ) على استحقاق ذلك الرجل للقتل..

أو من الذي قال: إن رسول الله (ﷺ) لم يطلع على حال

ذلك الرجل بصورة مباشرة، ونحنو يجيز له قتله.. فرأى أن إظهاره التخشع، واعتصامه بالتظاهر بالدين لا يجديه،
فقد قلنا: إن العبرة إنما هي بالجواهر لا بالمظهر..

الباب الثامن:

من فتح مكة.. إلى فتح الطائف..

الفصل الأول:

نقض العهد.. ومقدمات الفتح..

أبو سفيان في المدينة:

وبعد أن عقدت قريش في الحديبية مع رسول الله (ﷺ) عهداً تضمن دخول خزاعة في عقد وعهد رسول الله (ﷺ) نقضت قريش العهد، وأوقعت ببني نفاثة الخزاعيين، ثم بعثت أبا سفيان إلى المدينة، فطلب أن يشد العهد، ويزيد في المدة، وهو يظن أن خبر بني نفاثة لم يصل إلى النبي (ﷺ)..
فسأله النبي (ﷺ) إن كان قد حدث حدث اقتضى هذا الطلب.
فقال: معاذ الله، نحن على عهدنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل.
فقال (ﷺ): فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية، لا نغير ولا نبدل.
فطلب أبو سفيان من أبي بكر أن يجير بين الناس، ويشفع له عند رسول الله (ﷺ)، وطلب ذلك أيضاً من عمر، ومن عثمان، وسعد بن عباد، وعلي (عليه السلام) وأشرف المهاجرين، والأنصار وكان يسمع منهم رفضاً لطلبه أكيداً وشديداً.

فتوسل بالزهراء (عليها السلام)، ثم بالسبطين، الحسن والحسين (عليهما السلام)، ربما بهدف الإستفادة من الأثر العاطفي بزعمه، ولكن قد خاب فأله، فقد كان الجواب هو الجواب يقول النص: فأنتي علياً (عليها السلام)، فقال: يا علي، إنك أمس القوم بي رحماً، وإني جئت في حاجة، فلا أرجع كما جئت خائباً، فاشفع لي إلى محمد.

فقال: ويحك يا أبا سفيان، والله، لقد عزم رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه.. إلى أن يقول النص:

فلما أيس مما عندهم، دخل على فاطمة الزهراء (عليها السلام) والحسن (عليها السلام) غلام يدب بين يديها، فقال: يا بنت محمد، هل لك أن تجيري بين الناس؟! فقالت: إنما أنا امرأة، وأبت عليه^(١).

(وفي نص آخر: قالت: إنما أنا امرأة.

قال: قد أجازت أختك - يعني: زينب - أبا العاص بن الربيع، وأجاز ذلك محمد.

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار المعرفة) ص ٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٤ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢١ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٣.

قالت: إنما ذاك إلى رسول الله (ﷺ) الخ..^(١).

فقال: مري ابنك هذا. أي الحسن بن علي (عليه السلام). فيجبر بين الناس، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر.

قالت: والله ما بلغ ابني ذلك، أن يجبر بين الناس، وما يجبر أحد على رسول الله (ﷺ)^(٢).

(وفي نص آخر: ما يدري ابناي ما يجبران من قريش)^(٣).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار المعرفة) ص ٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٤ وراجع: بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٠٢ و ١٢٦ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٨ وإعلام الوري ج ١ ص ٢١٧ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٧٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٣٦٣.

٢ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ وراجع: تفسير البغوي ج ٤ ص ٥٣٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٢٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٠ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٢٦ وإعلام الوري ج ١ ص ٢١٨.

٣ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢٠ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٠ والسيرة = النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج ٤ ص ٨٥٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ وراجع: الإرشاد ج ١ ص ١٣٣ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٧٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٤٢ وزاد المعاد ج ١ ص ١١٤٧.

(زاد في الحلبيّة قوله: (قال: فكلمي علياً..

فقلت: أنت تكلمه.

فكلم علياً (عليه السلام)، فقال: يا أبا سفيان، إنه ليس أحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يفتنم علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بجوار^(١).

فقال لعلي (عليه السلام): يا أبا الحسن! إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحي.

قال: والله ما أعلم شيئاً يغني عنك شيئاً، ولكنك سيد بني كنانة.

قال: صدقت، وأنا كذلك.

قال: فقم، فأجر بين الناس، ثم الحق بأرضك.

قال: أوترى ذلك مغنياً عني شيئاً؟!

قال: لا والله، ولكن لا أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد، فقال: أيها الناس، إني قد أجزت بين

١ - السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٢١.

الناس، ولا والله ما أظن أن يخفني أحد.

ثم دخل على رسول الله (ﷺ) فقال: يا مُجَدِّ، إني قد أجرت بين الناس.

فقال رسول الله (ﷺ): (أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة)!

ثم ركب بعيره وانطلق^(١).

وكان قد احتبس وطالت غيبته، وكانت قريش قد اتهمته حين أبطأ أشد التهمة، قالوا: والله إننا نراه قد صبأ،
واتبع مُجَدِّاً سرّاً، وكنتم إسلامه.

فلما دخل على هند امرأته ليلاً، قالت: لقد احتبست حتى اتهمك قومك، فإن كنت مع الإقامة جئتهم بنجح
فأنت الرجل.

ثم دنا منها، فجلس مجلس الرجل من امرأته.

فقالت: ما صنعت؟!

فأخبرها الخبر، وقال: لم أجد إلا ما قال لي علي.

ففضرت برجلها في صدره وقالت: قبحت من رسول قوم، فما جئت

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار المعرفة) ص ٣ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٢٦ و ١٢٧ و ج ٢٢ ص ٧٧ وإعلام الورى ج ١ ص ٢١٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٤ و ٧٩٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٧ والأنوار العلوية للنقدي ص ٢٠٠.

بخير^(١).

فلما أصبح أبو سفيان حلق رأسه عند إساف ونائلة، وذبح لهما، وجعل يمسح بالدم رؤوسهما (كذا) ويقول:
لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه أبي، إبراء لقريش مما اتهموه به.
فلما رآته قريش، قاموا إليه، فقالوا: ما وراءك؟! هل جئت بكتاب من محمد، أو زيادة في مدة ما نأمن به أن
يغزونا محمد؟!
فقال: والله، لقد أبي علي.

وفي لفظ: لقد كلمته، فوالله ما رد علي شيئاً، وكلمت أبا بكر فلم أجد فيه خيراً، ثم جئت ابن الخطاب
فوجدته أدنى العدو (وفي رواية أعدى العدو) وقد كلمت عليه أصحابه، فما قدرت على شيء منهم، إلا أنهم
يرمونني بكلمة واحدة، وما رأيت قوماً أطوع لملك عليهم منهم له.

إلا أن علياً لما ضاقت بي الأمور قال: أنت سيد بني كنانة، فأجز بين الناس، فنادت بالجوار.
(وعند الحلبي: ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم. وقد أشار علي بشيء صنعته، فوالله، لا أدري أيغني عني شيئاً
أم لا)^(٢).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٣ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٥ وشرح
نحج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥١.

٢ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ = وراجع: الإرشاد ج ١ ص ١٣٣ وبحار الأنوار
ج ٢٢ ص ٧٧ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٤٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤
ص ٣٢٠ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣١ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة محمد علي
صبيح) ج ٤ ص ٨٥٧ و (ط دار المعرفة) ج ٤ ص ٢٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ وزاد المعاد (ط مؤسسة الرسالة) ج ١ ص ١١٤٧.

فقال مُجَّد: (أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة)!

لم يزدني.

قالوا: رضيت بغير رضى، وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيئاً، ولعمرو الله ما جوارك بجائز، وإن إخفارك عليهم لهين، ما زاد علي من أن لعب بك تلعباً.

قال: والله ما وجدت غير ذلك^(١).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٠٧ و ٢٠٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٤ و (ط دار المعرفة) ص ٣ وراجع: الإرشاد ج ١ ص ١٣٤ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٢ وتفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٨٠ والثقات ج ٢ ص ٤٠ ومجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٦٩ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٧ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٢٦ و ١٢٧ و ج ٢٢ ص ٧٨ وإعلام الورى ج ١ ص ٢١٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) = ج ٤ ص ٣٢٢ و (ط مكتبة المعارف) ج ٢ ص ٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٣ ص ٤٢ والسيرة النبوية لابن هشام (ط مكتبة مُجَّد علي صبيح) ج ٤ ص ٨٥٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤.

ونقول:

إن لنا مع هذا النص وقفات عديدة، نقتصر منها على ما يلي:

فشل محاولة أبي سفيان:

١ - إن تجديد العهد إن كان مع عدم اطلاع النبي (ﷺ) والمسلمين على ما حدث. فإن ذلك يظهر أن المقصود هو خداع المسلمين، وإبطال دماء المقتولين، وهو أمر لا يرضى به أحد.. ويؤكد ذلك: أن أبا سفيان قد أنكر أن يكون قد حصل شيء يوجب نقض العهد السابق.

٢ - إذا كان لم يحدث شيء، فلماذا يجير أبو سفيان بين الناس، إذ لا توجد حرب بين فريقين ليحتاج إلى إجارة هذا أو ذاك.

على عهدنا، لا نغير ولا نبدل:

لقد حسم النبي (ﷺ) الأمر مع أبي سفيان، وقطع عليه الطريق بسؤال واحد وجهه إليه، ليجيب أبو سفيان بنحو يفرض القرار النبوي على نفسه، فلم يعد يمكن لأبي سفيان أن يناقش، أو أن يراجع النبي (ﷺ) في ذلك القرار، ولم يبق أي مبرر لطلب تجديد العهد.

فقد سأله (ﷺ): إن كان حدث من قبلهم أي شيء

يوجب إعادة النظر في العهد والعقد، فجاء جواب أبي سفيان بالنفي، لأنه مصمم على إنكار قتل الخزاعيين، لكي لا يطالب بإعطاء ديتهم لأهلهم.. طمعاً بالمال، واستكباراً، وانقياداً مع الأهواء والعصبيات الجاهلية.. فكان من الطبيعي أن يأتي القرار النبوي ليقول، ما دام لم يحدث شيء، فالعهد باق على حاله، ولا موجب لتجديده، كما لا موجب لتمديده مع بقاء مدته..

فلم يعد لأبي سفيان أي خيار سوى: إما الإقرار بنقض العهد، وهذا ما لا يريده، أو القناعة بالقرار الموجود، وإبقائه على حاله.. وهو الأمر الذي يحمل معه أيضاً خطر انكشاف أكذوبته، والعودة إلى نقطة الصفر.. ومواجهة الخيارات التي فرّ منها، وهي: إما إعطاء دية المقتولين، وتجديد العهد.. وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً، أو البراءة ممن نقض العهد ليتولى النبي (ﷺ) تحصيل الحق منهم.. أو مواجهة الحرب التي يخشاها أبو سفيان.. لماذا رفضوا مساعدة أبي سفيان؟!

إن رفض الصحابة مساعدة أبي سفيان قد اتضح سببه من جواب أمير المؤمنين (عليه السلام) له، فإنه (ﷺ) كان قد أخبرهم . من خلال معرفته الغيبية بما فعلته قريش بخزاعة، وبأن أبا سفيان سيأتي لأجل خداعهم، بالتملص من المسؤولية، والعمل على أن تذهب دماء القتلى هدرًا، وبأنه سيرجع خائبًا.. وقد دلنا علي (عليه السلام) أيضاً على شدة غضب الرسول (ﷺ)

من فعل قريش هذا، مما يعني أنه (ﷺ) مصمم على أخذ الحق، وأن أية محاولة في غير هذا الاتجاه ستكون فاشلة بلا ريب، لأن القرار إلهي غيبي، جازم وحاسم..
كلمي علياً:

وقد طلب أبو سفيان من فاطمة الزهراء (عليها السلام) أن تكلم علياً (عليه السلام) في أمر الجوار، وهذا يشير إلى أنه يتعامل مع علي (عليه السلام) كما يتعامل مع رسول الله (ﷺ).. فكما حاول أن يستفيد من موقع أم حبيبة زوجة رسول الله (ﷺ)، ليحصل من رسول الله (ﷺ) على ما يريد، حاول أيضاً أن يستفيد من موقع فاطمة (عليها السلام) من علي لإقناع علي (عليه السلام) بما يريد.

فرفضت (عليها السلام) طلبه، لأنه لو كان يرى أن طلبه حق، أو راجح لبادر هو إلى الطلب من علي (عليه السلام)، بل من النبي (ﷺ)، ويلزمهما بأن يعملما بما هو حق وراجح..

ولكنه أراد أن يمرر خديعته بأساليب الضغط العاطفي، أو استجابة لدواعي النسب، والقربى، والتماس رضا الأصحاب والأحباب، وقد خاب فأله، وطاش سهمه في ذلك..

سيد كنانة! يطلب النصيحة!:

وأول شيء طلبه من الإمام علي (عليه السلام) هو النصيحة له. ولا شك في أن هذا الطلب من أبي سفيان غريب وعجيب، لا لأن علياً (عليه السلام)

بيخل بالنصيحة على أي كان من الناس.. فحاشا علياً (عليه السلام) أن يبخل بأمر كهذا..
بل لأن هذا الرجل لا يريد من علي (عليه السلام) أن ينصحه بما هو حق، بل يريد النصيحة التي تعزز وتقوي
الباطل، وتنتج تضييعاً للحق، وتزويراً للحقيقة، وظلماً آخر لأولئك الأبرياء من خزاعة، الذين كان أكثرهم من
الصبيان، والنساء، والضعفاء. وتنتج أيضاً تقوية ونصراً لظالمهم، ومرتكب الجريمة البشعة والفظيعة بحقهم.
والغريب في الأمر: أن يطلب أبو سفيان هذه النصيحة التي هي بهذه المثابة من نفس ذلك المعني بالحفاظ على
حقوق الناس، ويفترض فيه أن ينصر المظلوم، وأن يأخذ له من ظالمه!
وكانت نصيحة علي (عليه السلام) تقضي: بحمله عن الكف عن هذا السعي الظالم، والقائم على الخديعة والمكر
حتى لنبي الله (صلى الله عليه وآله).
وتتلخص الطريقة التي اعتمدها (عليه السلام) بتذكير أبي سفيان بما يعتقد لنفسه، من مكانة في كنانة كلها، فأقر
بأنه هو سيد كنانة مزهواً بذلك.
ثم إنه (عليه السلام) ألزمه بمقتضيات هذه السيادة التي يدعيها لنفسه، لو كان صادقاً فيما يدعيه، ومنها أن يقبل
الناس جواره.
ولكن أبا سفيان كان يعرف أن هذه السيادة التي يدعيها ليست بهذه المثابة، ولا تكفي لتحقيق الغرض الذي
سعى إليه، ولكنه سأل علياً (عليه السلام) إن كان ذلك يحقق له ما يريد، فعسى، ولعل!
فأجابه علي (عليه السلام) بما يجلب اليأس والأسى إلى قلبه، وهو: أنه

لا يرى ذلك مغنياً عنه شيئاً، ولكنه لا يجد له سبيلاً للخروج من حيرته غير ذلك..
وربما يكون الهدف من ذلك هو إفهام أبي سفيان أن ما يزعمه لنفسه من موقع وزعامة ليس سوى مجرد خيال،
ووهم، وقد تغيرت الأمور، وأصبح للزعامة معايير أخرى، لا بد من مراعاتها، والإلتزام بمقتضياتها..
وفهم هذه الحقيقة لا بد أن يكون مفيداً جداً لأبي سفيان، وسوف يعينه كثيراً على الخروج من أجواء الوهم
والخيال التي وضع نفسه فيها.
ما يدري ابناي ما يجيران:

وأما ما زعمته الرواية، من أن الزهراء (عليها السلام) قالت عن الحسنين (عليهما السلام): ما يدري ابناي ما يجيران من
قريش، فلا مجال لقبوله على ظاهره. فإن الحسنين (عليهما السلام) قد زقا العلم زقاً، وهم أفضل من عيسى الذي تكلم
في المهدي، وأفضل من يحيى الذي أتاه الله الحكيم صبيّاً.
إلا إن كانت (عليها السلام) قد خاطبت أبا سفيان بحسب ما يعتقده فيهما، ليتبين له أنه يريد الخداع والتضليل
والتغويل.

علي (عليه السلام) يكشف رسالة ابن أبي بلتعة:
قال القمي: (إن حاطب بن أبي بلتعة كان قد أسلم وهاجر إلى المدينة، وكان عياله بمكة. وكانت قريش تخاف
أن يغزوهم رسول الله (ﷺ)، فصاروا إلى عيال حاطب، وسألوهم أن يكتبوا إلى حاطب،

يسألوه عن خبر مُحمَّد (ﷺ): هل يريد أن يغزو مكة؟! فكتبوا إلى حاطب يسألونه عن ذلك^(١).
فكتب إليهم حاطب: إن رسول الله (ﷺ) يريد ذلك، ودفع الكتاب إلى امرأة تسمى (صفية)، فوضعتة في قرونها..

وأتى رسول الله (ﷺ) الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام^(٢).

١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ١١٢ وج ٧٢ ص ٣٨٨ وشجرة طوي ج ٢ ص ٣٠١ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٦١ والتفسير الصافي ج ٥ ص ١٦١ وج ٧ ص ١٦٥ وتفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٣٤.

٢- راجع: سبيل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وج ١٠ ص ٦٤ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١١٢ و ١٢٠ وج ٧٢ ص ٣٨٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٦١ والتفسير الصافي ج ٥ ص ١٦١ وج ٧ ص ١٦٥ ونور الثقلين ج ٥ ص ١٩٩ وتفسير الميزان ج ١٩ ص ١٣٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٦٦ وجامع البيان للطبري ج ٢٨ ص ٧٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٢ وج ١٣ ص ٣٧٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١.

زاد أبو رافع: المقداد بن الأسود^(١).
 وغير ابن إسحاق، يقول: بعث علياً والمقداد^(٢).
 وفي رواية عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي: ذكر أبا مرثد، بدل المقداد^(٣).
 وفي الحلبية: بعث علياً (عليه السلام)، والزبير، وطلحة، والمقداد.
 وقيل: بعث علياً، وعماراً، أو الزبير، وطلحة، والمقداد، وأبا مرثد.
 ولا مانع من أن يكون (عليه السلام) بعث الكل.
 وبعض الرواة اقتصر على بعضهم^(٤).
 وزاد الطبرسي: عمر.
 وكانوا كلهم فرساناً^(٥).

-
- ١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وج ١٠ ص ٦٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١ والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ج ٥ ص ٢٩٣ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥١.
 ٢ - عيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤.
 ٣ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وج ١٠ ص ٦٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١ والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٥ ص ٢٩٣ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥١.
 ٤ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١.
 ٥ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١ وبحار الأنوار ج ٢١ = ص ٩٤ عن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٤٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٥ و ج ١٩ ص ٢٢٩ وجوامع الجامع ج ٣ ص ٥٤٢ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٠٠ وتفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٩١ وأسباب نزول الآيات للواحدي ص ٢٨٢ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥١ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج ٢ ص ٦٨٣.

ولا حاجة إلى إرسال كل هؤلاء لأجل أخذ كتاب من امرأة، إلا إن كان قد أرسلهم في اتجاهات مختلفة للإطمئنان على عدم إفلاتها من بعض المنافذ والجهات.. والذي نراه أنه أرسل علياً (عليه السلام) ورجلاً آخر لعله الزبير. وربما أضاف إليهما ثالثاً.

ومهما يكن من أمر فقد قال رسول الله (ﷺ): (أدرك امرأة قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش، يحذره ما قد أجمعنا له (عليه) في أمرهم)^(١).

ولفظ أبي رافع: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب). فخرجوا^(٢). وفي لفظ: فخرجوا. حتى إذا كان بالخليقة، خليقة بني

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١.

٢ - صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٤ ص ١٩ وج ٦ ص ٦٠ وصحيح مسلم (ط = دار الفكر) ج ٧ ص ١٦٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ ومسنند أحمد ج ١ ص ٧٩ وسنن أبي داود ج ١ ص ٥٩٧ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٨٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٦ والسنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٤٨٧ وراجع: بحار الأنوار ج ٢١ ص ٩٤ عن مجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص ٤٤٦ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ والأم للشافعي ج ٤ ص ٢٦٤ والمجموع للنووي ج ١٩ ص ٣٤٠ والمسنند للشافعي ص ٣١٦ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٤ وج ١٧ ص ٢٧٣ وج ١٩ ص ٢٢٩ ومسنند الحميدي ج ١ ص ٢٧ ومنتخب مسند عبد بن حميد ص ٥٧ ومسنند أبي يعلى ج ١ ص ٣١٦ وصحيح ابن حبان ج ١٤ ص ٤٢٤ ومعرفة السنن والآثار للبيهقي ج ٧ ص ١٠٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٤٧ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٠١ وتفسير جامع البيان ج ٢٨ ص ٧٤ وأسباب نزول الآيات ص ٢٨٣ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٦٩ وأسد الغابة ج ١ ص ٣٦١ وتفسير البغوي ج ٤ ص ٣٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٢٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٤.

أحمد الخ..

وفي الحلبية: (فخذوه منها واخلوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها)^(١).

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١ وتفسير فرات ص ١٨٣ و ١٨٤ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٣٦ و ١٣٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٩ وراجع: تفسير الثعلبي ج ٩ ص ٢٩١ وأسباب نزول الآيات ص ٢٨٢ وتفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥١ ومطالب السؤل ص ١٩٧ وكشف الغمة ج ١ ص ١٧٩.

وقال المفيد: فاستدعى أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال له: (إن بعض أصحابي قد كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، وقد كنت سألت الله أن يعمي أخبارنا عليهم. والكتاب مع امرأة سوداء قد أخذت على غير الطريق، فخذ سيفك والحقها، وانتزع الكتاب منها، واخلها، وصر به إلي).

ثم استدعى الزبير بن العوام وقال له: (امض مع علي بن أبي طالب في هذا الوجه). فمضيا، وأخذ علي غير الطريق، فأدركا المرأة، فسبق إليها الزبير، فسألها عن الكتاب الذي معها فأنكرت، وحلفت: أنه لا شيء معها، وبكت.

فقال الزبير: ما أرى يا أبا الحسن معها كتاباً، فارجع بنا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نخبره ببراءة ساحتها. فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): يخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن معها كتاباً، ويأمرني بأخذه منها، وتقول أنت: إنه لا كتاب معها!!

ثم اخترط السيف، وتقدم إليها، فقال: أما والله لمن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك، ثم لأضربن عنقك. فقالت: إذا كان لابد من ذلك فأعرض يا ابن أبي طالب بوجهك عني، فأعرض بوجهه عنها، فكشفت قناعها، وأخرجت الكتاب من عقيصتها، فأخذه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وصار به إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). فأمر أن ينادى: (الصلاة جامعة)، فنودي في الناس، فاجتمعوا إلى المسجد حتى امتلأ بهم.

ثم صعد النبي (ﷺ) إلى المنبر، وأخذ الكتاب بيده وقال: (أيها الناس إني كنت سألت الله عز وجل أن يخفي أخبارنا عن قريش، وإن رجلاً منكم كتب إلى أهل مكة يخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي).

فلم يقم أحد، فأعاد رسول الله (ﷺ) مقالته ثانية، وقال: (ليقم صاحب الكتاب وإلا فضحه الوحي). فقام حاطب بن أبي بلتعة، وهو يردد كالسعفة في يوم الريح العاصف، فقال: أنا يا رسول الله صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي، ولا شكاً بعد يقيني.

فقال له النبي (ﷺ): (فما الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب)؟! قال: يا رسول الله، إن لي أهلاً بمكة، وليس لي بها عشيرة، فأشفقت أن تكون دائرة لهم علينا، فيكون كتابي هذا كفاً لهم عن أهلي، ويداً لي عندهم، ولم أفعل ذلك للشك في الدين. فقام عمر بن الخطاب وقال: يا رسول الله مرني بقتله، فإنه منافق.

فقال رسول الله (ﷺ): (إنه من أهل بدر. ولعل الله تعالى اطَّلَعَ عليهم فغفر لهم. أخرجوه من المسجد). قال: فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه، وهو يلتفت إلى النبي (ﷺ) ليرق عليه، فأمر رسول الله (ﷺ) برده، وقال له: (قد عفوت عنك وعن جرمك، فاستغفر ربك، ولا تعد لمثل

ما جنيت^(١).

وفي نص آخر: (فخرج علي والزبير، لا يلقيان أحداً حتى وردا ذا الحليفة، وكان النبي ﷺ) وضع حرساً على المدينة. وكان على الحرس حارثة بن النعمان، فأتيا الحرس فسألاهم، فقالوا: ما مر بنا أحد. ثم استقبلا حطاباً فسألاه، فقال: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرة، فأدركاها فأخذ علي منها الكتاب، وردها إلى رسول الله ﷺ).

فدعا حاطباً، فقال له: انظر ما صنعت..

قال: أما والله، إني لمؤمن الخ...^(٢).

وقال ابن عقبة: أدركاها ببطن ريم، فاستنزلاها فحلفت، فالتمساه في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فهموا بالرجوع، فقال لها علي بن أبي طالب (عليه السلام): إني أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ) وما كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك.

وعند القمي: ما كذبنا رسول الله ﷺ)، ولا كذب رسول الله ﷺ) على جبرئيل، ثم ولا كذب جبرئيل عن الله جل ثناؤه، والله لتظهرن الكتاب أو لأوردن رأسك إلى رسول الله ﷺ).

١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ١١٩ - ١٢١ و ص ١٢٥ و ١٢٦ عن الإرشاد للمفيد ج ١ ص ٥٦ - ٥٩. وراجع: إعلام الوری ج ١ ص ٣٨٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٠٨.

٢- بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٢٥ عن إعلام الوری ج ١ ص ٢١٦.

الخ... (١).

(زاد في الحلبية: أو أضرب عنقك) (٢).

وفي مجمع البيان: وسل سيفه وقال: (أخرجني الكتاب، وإلا والله لأضربن عنقك) (٣).
فلما رأت الجدة، قالت: أعرضنا. فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه.
فخلوا سبيلها، ولم يتعرضوا لها ولا لما معها، فأتي به رسول الله (ﷺ) فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى
أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله (ﷺ).
فدعا حاطباً، فقال: يا حاطب، ما حملك على هذا؟!.

-
- ١- بحار الأنوار ج ٢١ ص ١١٢ وج ٧٢ ص ٣٨٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ٣٦١ والتفسير الصافي ج ٥ ص ١٦١ وج ٧ ص ١٦٥ ونور الثقلين ج ٥ ص ٢٩٩ وتفسير الميزان ج ١٩ ص ٢٣٤.
 - ٢- السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ١١.
 - ٣- مجمع البيان (ط مؤسسة الأعلمي) ج ٩ ص ٤٤٦ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٩٤ وج ٤١ ص ٨ ونور الثقلين ج ٥ ص ٣٠١ وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج ٣ ص ٦٨٣ وعين العبرة في غيب العترة لأحمد بن طاووس ص ٢٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٤٠٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لأحمد الرحمانى الهمداني ص ٧٧٧.

قال: يا رسول الله. إني والله لمؤمن بالله ورسوله، ما غيرت، ولا بدلت، ولكنني كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليهم^(١).
وفي نص آخر: أنها أخرجت الكتاب من حجزتها، والحجزة معقد الإزار والسرويل^(٢).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢١٠ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١٢ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ٩٤ و ١١٢ و ١٣٦ و ١٣٧ ومجمع البيان ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠ وتفسير فرات ص ١٨٣ و ١٨٤ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٧٩٧ و ٧٩٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٢٨ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٢٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٥٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٣٧.
٢ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٥ و (ط دار المعرفة) ص ١١ وراجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ١٨ ص ١١٠ وصحيح البخاري ج ٤ ص ٣٩ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٦ وعمدة القاري ج ١٤ ص ٢٥٥ وج ١٥ ص ١١ و ١٢ وتحفة الأحوذ ج ٩ ص ١٤١ ومسند بن أبي يعلى ج ١ ص ٣٢٠ وتخريج الأحاديث ج ٣ ص ٤٤٩ و ٤٥١ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥٢٣ وجامع البيان ج ٢٨ ص ٧٦ وأحكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ٢٢٤ والمحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز لابن عطية الأندلسي ج ٥ ص ٢٩٣ وتفسير القرطبي ج ١٨ = ص ٥١ والتسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي الكلبي ج ٤ ص ١١٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ٣٧٠ وإمتاع الأسماع ج ٩ ص ١٢٣ وج ١٣ ص ٣٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٨٠.

ونقول:

ما نريد التعرض له هنا هو ما يرتبط بعلي أمير المؤمنين (عليه السلام)، ونحيل القارئ إن أراد التوسع إلى الجزء الحادي والعشرين من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي (صلى الله عليه وآله)، فلاحظ ما يلي:

علي الأمير:

يلاحظ: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد كلف علياً (عليه السلام) بالمهمة أولاً، ثم طلب الزبير، فلما حضره أمره أن يلتحق بعلي (عليه السلام).

فدل ذلك على أن الأمير هو علي (عليه السلام) والزبير، وكذلك غيره كان تابعاً له.

يقين علي (عليه السلام) وريب غيره:

أظهرت النصوص المتقدمة أن الفضل في كشف الرسالة لدى حاملتها كان لعلي (عليه السلام) وحده. أما الآخرون، فقبلوا منها، وأرادوا تخلية سبيلها، بل حكم الزبير ببراءتها. وهذا خطأ من جهات:

أولاهما: إن ذلك كشف عن أن قول رسول الله (ﷺ) لم يوجب للزبير وأضرابه اليقين الكافي بوجود الرسالة معها.. بل هم قد صدقوها، أو حكموا ببراءتها، ولزوم إخلاء سبيلها..

وتصديقها معناه تكذيب رسول الله (ﷺ).. وواجب النصيحة لرسول الله يفرض عدم إطلاق سراح المرأة، بل أن يحتفظوا بها، ويراجعوه في أمرها، حتى لو فتشوها ولم يجدوا عندها شيئاً..

ثانيها: إنهم لم يراعوا حتى أبسط القواعد في المهمة التي أوكلت إليهم، فإن تصرفات تلك المرأة، وأحوالها تشي بلزوم الريبة في أمرها، فإنها قد تركت الطرق السهلة، التي اعتاد الناس سلوكها، واختارت السير في القفار والشعاب فترة طويلة، ثم عادت إلى الطريق في العميق، فأخذوها هناك، ولا يسلك تلك المسالك إلا هارب، أو خائف من انكشاف أمر خطير يخفيه معه، ويريد أن ينفذ به إلى بلاد أخرى..

ثالثها: إنهم لم يستقصوا تفتيشها ليحكموا ببراءتها.. ولو حصل ذلك لم يكن معنى لتهديد علي (عليه السلام) لها.. مع قيام احتمال أن تكون قد أخفته أو رمته بصورة خفية في مكان قريب حين أحست بالخطر، لتعود إليه وتأخذه من ذلك الموضع بعد أن تأمن الطلب والرقباء..

رابعها: بالنسبة لتهديد علي (عليه السلام) بكشفها أو بتجريدتها نقول:

إن هذا التهديد منه (عليه السلام) يهدف إلى تلافي الكشف والتجريد. ولو فرض أنها أصرت على الإنكار، فإن تجريدها وكشفها يمكن أن يتم بواسطة امرأة مثلها، وليس بالضرورة أن يتولى ذلك الرجال، ولو فرض

عدم وجود نساء . وهو فرض غير واقعي . فإنها تكون هي التي أسقطت حرمة نفسها .. ويصبح الحفاظ على الدين وأهله، وصيانتها من كيد المدسوسين والجواسيس أهم عند الله من كشف رأس امرأة تتعمد الإيقاع بالإسلام وأهله .
ألا يكفي إرسال علي (عليه السلام) وحده؟!:

وعن سؤال:

ألم يكن يكفي أن يرسل (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وحده لأخذ الكتاب من تلك المرأة؟! .

ونجيب:

قد تكون هناك عدة أسباب اقتضت إشراك البعض في هذا الأمر:

أولاً: أن الأمر لا يقتصر على إرادة الحصول على الرسالة، ومنعها من الوصول إلى قريش، بل هو يريد أن يثير جواً يشعر الناس بمدى خطورة تصرف كهذا، وأن عواقب تسريب أية معلومة عن تحركات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ستكون بالغة الخطورة والقسوة على من تسول له نفسه الدخول في هذه المخاطرة..

فكان أن اختار (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذه المهمة أشخاصاً من فئات شتى، ولهم توجهات وارتباطات، وأهواء مختلفة ليشيع هذا الأمر في كل اتجاه، ويكون حديث كل ناد وبيت، وليأخذ الجميع منه العبرة على أتم وأبلغ وجه..

ثانياً: إن إرسال هؤلاء جميعاً، وفشلهم في تحقيق الغرض المطلوب

وظهور ضعف نفوسهم، حتى أمام امرأة لا حول لها ولا قوة، في حالات السلم كما في الحرب . إن ذلك . كان مطلوباً من أجل تعريف الناس بفضل أهل الفضل، فإن لهذه المهمات أهلها، فلا يصح إيكالها إلى أي كان من الناس.. بل لا بد من التبصر والتدقيق البالغ في مواقف كهذه.

ثالثاً: إن ما حصل قد أفهم الجميع بأن عليهم أن يتلمسوا مدى التفاوت بين علي عليه السلام، وبين سائر من شارك في هذا الأمر.. فلا يقاس أحد منهم به وبما له من معرفة، ووعي ويقين، وصحة تدبير، وكيفية نظرتة للوحي الكريم وللنبي العظيم، وتعامله مع أوامره، واخباراته، وسائر ما يصدر عنه..

وأن ما يدعيه الآخرون لأنفسهم، أو ما يدعيه الناس لهم، من مقامات وبطولات، وخصائص وميزات، وجهاد وتضحيات، ما هو إلا زيف خادع، وسراب لامع..

وحسبهم أنهم خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وآله لهم حين قال: خذوه منها، وخلوا سبيلها، فإن أبت فاضربوا عنقها..

إن أبت فاضربوا عنقها:

وبعد ما تقدم نقول:

ألف: قوله صلى الله عليه وآله: فإن أبت فاضربوا عنقها، يدل:

أولاً: على عمق يقين النبي صلى الله عليه وآله بأمر الرسالة، يجعل من تخلية سبيل تلك المرأة عصياناً لهذا الأمر الصادر

عنه صلى الله عليه وآله

بقتلها..

ثانياً: إن هذه الكلمة تدلنا على حكم من يفشي سر المسلمين، ويصر على التآمر عليهم، فإن حكمه القتل، حتى لو كان امرأة.

ثالثاً: إن قتلها يجعل إيصال الكتاب إلى المشركين متعذراً، لأن الكتاب إن كان معها، فقد قتلت، وإن كانت قد خبأته في مكان، فلم يعد هناك من يدل عليه.

أما بالنسبة لتخلية سبيلها بعد أخذ الكتاب منها، فهو حكم إرفاعي، وإحسان بالغ لها، لأن الكتاب أخذ منها رغماً عنها، وبعد التهديد بالقتل.

ب: إنه (ﷺ) لو أمرهم بالإتيان بها . ولم يأمر بضرب عنقها ، لوجدنا الكثيرين يأتون بها . لأن ذلك لا يضرهم، لا عند قريش، ولا عند غيرها.. ولكنه حين أمرهم بضرب عنقها ف:
أولاً: إن الكثيرين قد لا ينصاعون لهذا الأمر النبوي..

ثانياً: إن ذلك قد يمنع من انكشاف أمر هؤلاء الذين صدقوا المرأة، وكذبوا النبي (ﷺ).

ثالثاً: إنه قد لا ينكشف كذب المرأة إذا كانت قد خبأت الكتاب في موضع، حين أحست بالطلب والملاحقة.. بل قد يظهر: أنها مظلومة.. وأن النبي (ﷺ) غير دقيق فيما يصدره من أوامر، أو يطلقه من اتهامات..

ج: ويظهر مما تقدم: الحكمة في أنه (ﷺ) أمرهم أن يأتوه بالكتاب لا بالمرأة. فلم يعد يمكنهم الإتيان بالمرأة دون الكتاب..

التهديد بالقتل:

ولا يصح قولهم: إن المتهم لا يهدد بالقتل، فإن هذه المرأة لم تعد متهمة، بل أصبحت مدانة، لأن الوحي الإلهي هو الذي فضحها وكشف أمرها..

ولو استمرت على إنكارها، لكان يجب قتلها..

أولاً: لأن النبي (ﷺ) أمر بقتلها، إن أصرت على عدم تسليم الكتاب، لأن ذلك بمثابة:

ألف: الإصرار على محاربة الله ورسوله، والعمل على إطفاء نور الله تعالى..

ب: تكذيب الوحي الإلهي، والارتداد عن الإسلام من دون أن تحصل توبة أو تراجع.

ثانياً: لأن تركها يؤدي إلى إيصال الرسالة إلى الأعداء، وقد يترتب على ذلك متاعب كبرى، وخسائر بشرية بين المسلمين في حربهم، وربما يؤدي إلى العرقلة والتأخير في حسم الأمور مع الأعداء. بالإضافة إلى سلبيات أخرى، قد لا يمكن تحاشيها أو تلافيها.

ردها إلى رسول الله (ﷺ):

وتذكر النصوص: أن علياً (عليه السلام) لم يخل سبيلها، بل جاء بها إلى رسول الله (ﷺ).. ولعله (عليه السلام) أراد أن يؤخر مسيرها إلى مكة بعض الشيء، حتى يتمكن المسلمون من تحقيق الغرض.. لأن وصولها قبل ذلك يمكنها من إخبار قريش بأن النبي (ﷺ)

بصدد المسير إليهم.. أو أنها تظن أو تحتمل ذلك..

فيكون مراده بإطلاق سراحها هو عدم المبادرة إلى قتلها، ثم يطلق سراحها في الوقت المناسب.
الذي جرأ علياً (عليه السلام) على الدماء:

روى البخاري في صحيحه، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة عن حصين، عن فلان، قال:
تنازع أبو عبد الرحمن وجبان بن عطية، فقال أبو عبد الرحمن لجبان: لقد علمت الذي جرأ صاحبك على
الدماء، يعني علياً.

قال: ما هو؟! لا أبا لك.

قال: شيء سمعته يقوله.

قال: ما هو؟!!

قال: بعثني رسول الله (ﷺ) والزبير، وأبا مرثد، وكلنا فارس.

قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ. فإن فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأتوني
بها.

فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله (ﷺ)، تسير على بعير لها. ثم ذكرت الرواية أنهم
سألوها عن الكتاب فأنكرته، قال:

فأنخنا بها بعيرها، فابتغينا في رحلها، فما وجدنا شيئاً، فقال صاحبي:

ما نرى معها كتاباً.

فقلت: لقد علمنا ما كذب رسول الله (ﷺ)، ثم حلف علي: والذي يحلف به، لتخرجن الكتاب أو لأجردنك.

ثم ذكرت الرواية: إن المرأة أخرجت لهم الكتاب من حجزتها، فأتوا به رسول الله (ﷺ)، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله، ورسوله، والمؤمنين، دعني فأضرب عنقه.

فقال رسول الله (ﷺ): يا حاطب، ما حملك على ما صنعت؟!!

قال: يا رسول الله، ما لي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله، ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي. وليس من أصحابك أحد إلا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله.

قال: صدق. لا تقولوا إلا خيراً.

قال: فعاد عمر، فقال: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، دعني فلاضرب عنقه.

قال: أوليس من أهل بدر؟! وما يدريك لعل الله أطع عليهم، فقال: اعملوا ما شئتم فقد أوجب لكم الجنة؟!!

فاغرورقت عيناه، فقال: الله ورسوله أعلم^(١).

١ - بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٥٧٧ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج ٨ ص ٥٥ وعمدة القاري ج ٢٤ ص ٩٣ وإمتاع الأسماع ج ١٣ ص ٣٧٨.

ونقول:

أولاً: إن علياً (عليه السلام) لم يكن هو المبادر لحرب الجمل وصفين والنهروان، ليقال: إنه (عليه السلام) تجرأ على الدماء، بل كانوا هم الذين بغوا عليه وقتلوه..

ثانياً: إن أبا بكر قد حارب المسلمين الذين لم يباعدوه، ولم يعطوه زكاة أموالهم، وأصروا على تفريقها في فقرائهم^(١).

وقتل أيضاً: مالك بن نويرة بيد خالد بن الوليد، ووفر له أبو بكر الغطاء والحماية التامة، رغم أنه زنى بإمرأته في نفس الليلة التي تلت قتله، وستأتي هذه القضية مع مصادرها إن شاء الله.

فلماذا لا يقال: إن أبا بكر قد تجرأ على الدماء؟!

ثالثاً: إذا كان علي (عليه السلام) قد تجرأ على الدماء، لمجرد تهديده لتلك المرأة بالقتل، فإن المتجرئ الحقيقي هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأنه هو الذي أمره بقتلها إن امتنعت عن إعطائهم الرسالة..

وإذا كان علي (عليه السلام) متجرئاً، لأنه من أهل بدر، ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال: افعالوا ما شئتم، فإن ذلك لا يختص بعلي (عليه السلام)، بل يشمل كل من حضر بدرأً. ومنهم: طلحة والزبير وعمر وأبو بكر. فلماذا لا يقال: إن الجرأة على الدماء كانت منهم؟!

١ - المصنف للصنعاني ج ٤ ص ٤٣ وج ٦ ص ٦٧ وج ١٠ ص ١٧٢ ومسنده أحمد ج ١ ص ٣٥.

رابعاً: إن عمر بن الخطاب هو الذي تجرأ على الدماء حين قال لرسول الله (ﷺ) عن حاطب: مرني بقتله..
وقد طلب هذا الطلب من رسول الله (ﷺ) مرات كثيرة في العديد من المناسبات.

خامساً: إن علياً (عليه السلام) كان يدافع عن نفسه، ويدفع الناكثين والباغين عليه وعلى الدين وأهل الدين، فهم المتجرؤون على الدماء، وعلى معصية رب الأرض والسماء..

علي (عليه السلام) وأبو سفيان بن الحارث:

ويقولون: إن أبا سفيان بن الحارث قدم على النبي (ﷺ)، فلقيه بالأبواء، أو بنبق العقاب وهو في طريقه لفتح مكة. وكان أخا النبي (ﷺ) من الرضاعة، فإن حليلة أرضعته أياماً، فالتمس الدخول على النبي (ﷺ)، فأعرض عنه.

وقيل: إن علياً (عليه السلام) قال لأبي سفيان هنا: ائت رسول الله (ﷺ) من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف: (..تَاللّٰهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ)؛ فإنه (ﷺ) لا يرضى بأن يكون أحد أحسن قولاً منه، ففعل.

فقال (ﷺ): (لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (١).

١ - الآيتان ٩١ و ٩٢ من سورة يوسف.

وكان أبو سفيان قد عادى النبي (ﷺ) نحو عشرين سنة، يهجو، ولم يتخلف عن قتاله^(١).
وثمة نص آخر يقول: إن علياً (عليه السلام) رفض أن يتوسط له عند النبي، كما رفض العباس:
ونقول:

إن لنا هنا ملاحظات، هي التالية:

- ١ - إن توسط العباس لأبي سفيان بن الحارث موضع ريب، لأن ثمة رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) تصرح: بأن العباس كان من الطلقاء^(٢). وهي رواية صحيحة^(٣)..
- ٢ - إن ثمة تناقضاً في موضوع وساطة العباس لأبي سفيان بن الحارث

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٧ و (ط دار المعرفة) ص ١٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٦.

٢ - الكافي (مطبعة النجف سنة ١٣٨٥ هـ) ج ٨ ص ١٦٥ و (ط دار الكتب الإسلامية) ص ١٨٩ الحديث رقم ٢١٦ وبحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٥١ ومعجم رجال الحديث ج ١٠ ص ٢٥٢ ومجمع النورين للمرندي ص ٨٩ وبيت الأحرار ص ١٢٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ للريشهري ج ٣ ص ٦٥ وعقيل بن أبي طالب للأحمدي الميائجي ص ٧٨.

٣ - راجع المصادر في الهامش السابق، وراجع: معجم رجال الحديث ج ٩ ص ٢٣٥.

ففي بعضها أنه توسط له^(١).

وفي البعض الآخر: أنه رفض التوسط له^(٢).

٣ - إن أبا سفيان بن الحارث إن كان قد جاء ليسلم تائباً، فلماذا لا يقبل النبي (ﷺ) توبته؟! فالإسلام يجِبُ ما قبله، وقد قال تعالى:

(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً)^(٣).

٤ - هل صنع النبي (ﷺ) بأبي سفيان بن حرب مثل ما صنع بأبي سفيان بن الحارث؟! إلا إذا كان قد ظهر من حال هذا الرجل أنه راغب في حقن دم نفسه، وإصلاح علاقته بالنبي (ﷺ)

كشخص، لا أنه يريد الدخول في هذا الدين.. وقد ظهر من كلامه: أنه إنما خرج إلى النبي (ﷺ) خوفاً من القتل، بعد أن أهدر النبي (ﷺ) دمه، وقد ضاقت عليه الدنيا ولم يعد يجد أحداً يصحبه، بعد أن ضرب الإسلام بجرائنه^(٤). فأظهر

١ - مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٧٨ وإعلام الوري ج ١ ص ٢١٩ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٢٧ و ١٢٨ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٠١.

٢ - قاموس الرجال ج ٥ ص ٢٣٧ عن أنساب الأشراف وكتاب التوابين ص ١١٣ و ١١٤.

٣ - الآية ٦٤ من سورة النساء.

٤ - راجع: قاموس الرجال ج ٥ ص ٢٣٧ وكتاب التوابين ص ١١٣ و ١١٤.

(ﷺ) أن العقدة لا تنحل باسترضاء شخص النبي (ﷺ)، بل هي تنحل بالتخلي عن العناد والإستكبار والجحود والعودة إلى الله تبارك وتعالى، فإن المسألة ليست من المسائل الشخصية. بل هي مسألة الحق والباطل، والإيمان والكفر، والتسليم والجحود.

ويشهد لما نقول: أنه حين استشار علياً (عليه السلام)، فأشار عليه بأن يقول للنبي (ﷺ): (تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) ^(١) ففعل، فاستجاب له النبي (ﷺ)، وأنعم له بالرضا. ونقول:

إن هذه المبادرة تعني أمرين:

أحدهما: الإعتراف منه بالخطأ في اختيار خط الشرك والكفر، لا الإعتراف بمجرد الخطأ في الممارسة تجاه شخص بعينه..

الثاني: الإعتراف للنبي (ﷺ) بالنبوة، وبأن الله قد آثره بما عليهم.. وهذا هو الذي يصلح ما أفسده، ويعيد الأمور إلى نصابها الصحيح..

١ - الآية ٩١ من سورة يوسف.

الفصل الثاني:
فتح مكة وتحطيم الأصنام..

اللواء في فتح مكة:

ولا حاجة إلى التذكير بأن اللواء الأعظم والراية العظمى كانت في جميع المشاهد ومنها فتح مكة مع علي (عليه السلام) ..

ولكنه (صلى الله عليه وسلم) أعطى رايات وألوية أخرى بعناوين مختلفة لكل بطن من بطون الأنصار، وغيرهم مع المهاجرين أيضاً، ومنهم سعد بن عبادة، فزعموا أن سعداً كانت معه راية رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فلما رأى سعد أبا سفيان قال: اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبي (أو تستحل الحرم). فسمعها عمر، فأخبر بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقال لعلي (عليه السلام): أدركه، وخذ الراية، وكن أنت الذي تدخل بها^(١).

وفي نص آخر: أنه أرسل إلى سعد، فنزع منه اللواء، وجعله إلى ابنه قيس^(٢).

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢.

٢ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٢ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٢٢ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٢ ص ٥٩٨ وكنز العمال ج ١٠ ص ٥١٣ وتاريخ مدينة = دمشق ج ٢٣ ص ٤٥٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٨٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٩١ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ وراجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٢ والغدير ج ٢ ص ٧٥ وفتح الباري ج ٨ ص ٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٧٢.

وفي نص رابع يقول: إن أبا سفيان هو الذي أخبر النبي (ﷺ) بما يقوله سعد، فقال (عليه السلام): أدركه، فخذ الراية منه، وكن أنت الذي يدخل بها، وأدخلها إدخالاً رقيقاً. فأخذها علي (عليه السلام)، وأدخلها كما أمر^(١). زاد في نص آخر قوله: فذهب بها إلى مكة، فغرزها عند الركن^(٢). وروي: أن الزبير هو الذي أخذها من سعد^(٣).

-
- ١ - مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٥٧ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج ١٠ ص ٤٧٢ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٠٥ و ١٣٠ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٣٥ ونور الثقلين ج ٥ ص ٦٩٦ وتفسير الميزان ج ٢٠ ص ٣٨٢.
 - ٢ - المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٢ ص ٥٩٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٧٢.
 - ٣ - راجع: فتح الباري ج ٨ ص ٧ وعمدة القاري ج ١٧ ص ٢٨٠ والدرر لابن عبد البر ص ٢١٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٣٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢٢ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج ٣ ص ١٢٨٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ٧٤ و خلاصة عبقات الأنوار ج ٨ ص ٣٣٠ .

ونقول:

إننا نسجل ما يلي:

الراية واللواء:

لاحظنا آنفاً، وسيمر معنا أيضاً تعابير بكلمة (لواء) تارة و (راية) أخرى عن شيء واحد، وهذا يشير إلى عدم الفرق بين اللواء والراية..

ولكن بعض الروايات أشارت إلى أن أحدهما أكبر من الآخر. وقد تحدثنا عن هذا الأمر أكثر من مرة، فلا حاجة إلى التكرار.

الراية للزبير، أم لعلّي (عليه السلام)؟!

بالنسبة لقولهم: إنه (صلى الله عليه وآله) أخذ الراية من سعد، وأعطاهما للزبير، نقول: إنها رواية زبيرية.. رواها الزبير نفسه، ليجر بها النار إلى قرصه، ووجهها له الزبيريون أيضاً..

ونحن نستبعد أن يكون (صلى الله عليه وآله) قد كلف الزبير بمهمة أخذ الراية من سعد، فقد عرفنا أن الزبير لم يكن على يقين من صدق النبي (صلى الله عليه وآله) حين أخبر بحمل تلك المرأة رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى المكيين، وحكم ببراءتها، وطلب من علي (عليه السلام) إطلاق سراحها كما تقدم، فكيف يكلفه (صلى الله عليه وآله) بأخذ الراية من سعد، وهي مهمة حساسة قد يؤدي أدنى سوء تصرف فيها إلى تعقيدات لم يكن من المصلحة ظهورها، خصوصاً في تلك اللحظات الحساسة؟!!

فلا بد من تكليف رجل حكيم بصير، يحسن التصرف، ويطمئن (صلى الله عليه وآله)

إلى أنه يحل الإشكال، ولا يزيده تعقيداً، ولا يجتهد في اتخاذ قرارات تخالف أوامر الرسول (ﷺ) وتضيع أهدافه..
لماذا علي (عليه السلام)؟!:

وقد اختار رسول الله (ﷺ) علياً (عليه السلام) ليكون هو الذي يأخذ الراية من سعد.
أولاً: لأن علياً (عليه السلام) هو الذي يمثل النبي (ﷺ)، ويبلغ عنه.. وينطق باسمه، وأقرب الناس إليه.. فلا مجال
للشبهة وللشك فيما يؤديه عنه..

ولو أن أي إنسان آخر جاء إلى سعد، وهو سيد الخزرج، وطلب الراية منه، فربما تحمل الحمية، والحساسيات
القبلية سعداً إلى تكذيب ذلك الشخص، ولا سيما إذا أحس سعد بأن ثمة درجة من التحدي له، أو الإستهانة
به، والمساس بكرمائه في ذلك..

ولا يؤمن بعد هذا من تطور الأمور، وتعصب قوم سعد لسعد، وسيجد الآخر من قومه، أو من فريقه من
يتعصب له.. وهذا ما لا يريده رسول الله (ﷺ) أصلاً، ولا سيما في هذا الظرف الحساس بالذات.

ثانياً: إن حكمة علي (عليه السلام) وحسن تصرفه، يمنع الكثير من رداة الفعل المحتملة، ويجعلها بلا مبرر.. لأنه
(عليه السلام) لا بد أن يفهم سعداً أن الأمر ليس فيه إهانة ولا إذلال، وإنما هو مجرد تدبير اقتضته المصلحة العامة،
ولأجل تسهيل الأمور، وبلوغ الأهداف، بمراعات

توقعات قريش وبعض الإعتبارات التي ترتبط بموقع علي (عليه السلام) منها. وبغير ذلك من أمور.
ثالثاً: إن الراية حين تؤخذ بواسطة من هو دون سعد في المقام، أو في الشجاعة والإقدام، فإن ذلك يثير الشكوك حول سعد، ويذكي احتمال أن يكون قد صدر من سعد ما يشين، أو وقع في خطيئة، أو رذيلة أوجبت عقوبته بهذه الطريقة..

أما إذا أخذ الراية من هو أعظم من سعد أثراً، وأشد خطراً على الأعداء، باعتراف الناس كلهم، فإن الجميع سيشعر أن ذلك تدبير حربي جاء وفق الحكمة، وأنه لا بد منه ولا محيد عنه، وهو يهدف إلى تخويف المشركين من سطوة علي (عليه السلام)، وهزيمتهم روحياً بذلك.. لأن المشركين لا يخشون غير علي (عليه السلام) في ساحات النزال والقتال..

إدخال الراية برفق:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه (عليه السلام) طلب من علي (عليه السلام) أن يدخل الراية إلى مكة إدخالاً رقيقاً.. أي أن المطلوب هو أن يكبت الله المشركين، ويكسر شوكتهم، ويسقط مقاومتهم، بأن يعرفوا أنها مقاومة لا فائدة منها.. ولكن من دون أن يشعروا: أن أبواب الحياة موصدة، وأن لا خيار أمامهم سوى الموت.
بل المطلوب هو فتح باب الأمل أمامهم، بإمكان العيش مع المسلمين، إذا تخلت قريش عن الحرب والمنايذة والجحود.. وأن معاملتهم لهم لن يكون فيها خشونة، ولا عنجهية، واستكبار، رغم كل ما ألحقه المشركون

بهم من أذى.. فلماذا يختارون طريق المنابذة التي لا تجر عليهم سوى البلاء والبوار، والخراب والدمار؟!..
وها هم يلمسون هذا الرفق، لدى المسلمين منذ اللحظة الأولى، ممن ذاقوا طعم ذباب سيفه طيلة سنين..
والإنسان يميل بطبعه إلى الراحة، والسلامة.. فلماذا يصرون على ما فيه تعب وشقاء، وجهد وبلاء؟!..
فهذا الحزم والحسم إذا رافقه ذلك الرفق واللين، فهو رفق القوي، الحازم، الذي لم يكن رفاقه قراراً فرضته
الإستجابة لضرورات الضعف، والتغلب على المشكلات، بل هو رفق نابع من عمق ذاته، وهو مقتضى طبيعه،
وليس رفق المصلحة الذي يمكن أن يتحول إلى قسوة وشراسة، إذا اختلفت الظروف، وتبدلت المصالح..
إعطاء الراية لقيس بن سعد..:

وقد ذكرت النصوص: أن النبي (ﷺ) قد أخذ الراية من سعد، وأعطائها لولده قيس..
ونحن لا نرى في هذا ما يتناقض مع ما تقدم من إعطائها لعلي (عليه السلام).. إذ يمكن أن تكون مهمة علي
(عليه السلام) تنتهي حين إيصاله الراية إلى الركن، وغرزها عنده.. ثم تكون بعد ذلك لقيس بن سعد بن عبادة، باعتبار
أنها إذا أعطيت لابن سعد، فكأنها لم تخرج عن سعد نفسه، لأن ولده منه..

ولو أنه (عليه السلام) أخذ الراية من سعد، وأعطائها لقيس مباشرة، لفهم ذلك على أنه إجراء بحق سعد، ولكنه حين أخذ منها، وحملها حتى غرزها عند الركن، ظهر أن المطلوب هو حمل الثلاثة: علي، وسعد، وقيس لها بهذا المقدار الذي تحقق.

علي (عليه السلام) وأم هاني يوم الفتح:

ويقولون: بلغ علياً (عليه السلام): أن أم هاني بنت أبي طالب آوت ناساً من بني مخزوم، منهم: الحارث بن هشام، وقيس بن السائب، (وعند الواقدي: عبد الله بن ربيعة)، فقصد (عليه السلام) نحو دارها مقنعاً بالحديد، فنادى: (أخرجوا من آويتهم).

فجعلوا يذرقون كما تذرق الحبارى، خوفاً منه.

فخرجت إليه أم هاني. وهي لا تعرفه. فقالت: يا عبد الله، أنا أم هاني، بنت عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأخت علي بن أبي طالب، إنصرف عن داري.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أخرجوهم).

فقالت: والله لأشكوئنك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فنزح المغفر عن رأسه، فعرفته، فجاءت تشتد حتى التزمته، وقالت: فديتك، حلفت لأشكوئنك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقال لها: (إذهبي، فبري قسمك، فإنه بأعلى الوادي).

قالت أم هاني: فجئت إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في قبة

يغتسل، وفاطمة (عليها السلام) تستره، فلما سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كلامي، قال: (مرحباً بك يا أم هانئ وأهلاً).
قلت: بأبي أنت وأمي، أشكو إليك ما لقيت من علي (عليه السلام) اليوم.
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (قد أجزت من أجزت).

فقالت فاطمة (عليها السلام): (إنما جئت يا أم هانئ تشتكين علياً (عليه السلام) في أنه أخاف أعداء الله وأعداء رسوله)؟!
فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (قد شكر الله لعلي (عليه السلام) سعيه، وأجزت من أجزت أم هانئ، لمكانها من علي بن أبي طالب)^(١).

وعند الواقدي: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن حين تكلمت أم هانئ مع فاطمة (عليها السلام) ..
ثم جاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأجار لأم هانئ من أجزت، ثم طلب من فاطمة (عليها السلام) أن تسكب له غسلاً،
فاغتسل، ثم صلى

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٣١ و ١٣٢ وج ٤١ ص ١٠ و ١١ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٧٦
ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١١١ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٨ والدر النظيم ص ١٨٠
والمستجد من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص ٧٩ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٢٩ و ٨٣٠.

ثمان ركعات^(١).

وعن الحارث بن هشام قال: لما دخل رسول الله (ﷺ) مكة، دخلت أنا وعبد الله بن أبي ربيعة دار أم هانئ، ثم ذكر: أن النبي (ﷺ) أجاز جوار أم هانئ.

قال: فانطلقنا، فأقمنا يومين، ثم خرجنا إلى منازلنا، فجلسنا بأفئتيها لا يعرض لنا أحد. وكنا نخاف عمر بن الخطاب، فوالله إني لجالس في ملاءة مورسة^(٢) على بابي ما شعرت إلا بعمر بن الخطاب، فإذا معه عدة من المسلمين، فسلم ومضى.

وجعلت أستحي أن يراني رسول الله (ﷺ)، وأذكر رؤيته إياي في كل موطن مع المشركين، ثم أذكر بره ورحمته وصلته، فألقاه وهو داخل المسجد، فلقيني بالبشر، فوقف حتى جئته، فسلمت عليه، وشهدت بشهادة الحق، فقال: الحمد لله الذي هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام.

قال الحارث: فوالله ما رأيت مثل الإسلام جُهل^(٣).

١ - المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٣٠.

٢ - مورسة: مصبوغة بلون أحمر.

٣ - سبل الهدى و الرشاد ج ٥ ص ٢٤٩ و ٢٥٠ عن الواقدي، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٣١ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٢ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٥٥ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٢٧٧ و ٢٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ١١ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ وتهذيب الكمال ج ٥ ص ٢٩٨.

وعن أم هانئ . رضي الله عنها قالت: لما كان عام يوم الفتح فرَّ إليَّ رجلان من بني مخزوم فأجرتهما .
قالت: فدخل عليَّ عليٌّ فقال: أقتلتهما .

قالت: فلما سمعته يقول ذلك أغلقت عليهما باب بيتي، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بأعلى مكة، فلما رأني رسول الله صلى الله عليه وآله رحَّب وقال: (ما جاء بك يا أم هانئ).

قالت: قلت: يا رسول الله، كنت أمنت رجلين من أحمائي، فأراد علي عليه السلام قتلتهما .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (قد أجرنا من أجزت).

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله إلى غسله، فسترته فاطمة عليها السلام، ثم أخذ ثوباً فالتحف به، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثمان ركعات سبحة الضحى ^(١) .

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٣١ وفي هامشه عن: صحيح مسلم (صلاة المسافرين) (٨٢) وعن أبي داود (٢٧٦٣) وعن مسند أحمد ج ٦ ص ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ٧٥ ومستدرک الحاكم ج ٤ ص ٤٥ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٣ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤١ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٣٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٥٦ والبدایة والنهاية ج ٤ ص ٣٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٦٨ .

لكن في الحلبيّة وغيرها: فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوب، فسلمت عليه، فقال: من هذه؟!^(١)

إلى أن قال: وفي الرواية الأولى: فلما اغتسل أخذ ثوبه وتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى. ثم أقبل علي، فقال: مرحباً يا أم هاني، ما جاء بك؟! فأخبرته الحديث.

فقال: (أجرنا من أجرت الخ..)^(١).

ونقول:

هل تدل ملاحقة علي (عليه السلام) لهذين الرجلين على أن قتالاً كان يجري يوم الفتح، وتكون مكة قد فتحت بالسيف، وتحت وطأة القتال؟!..

وكيف نوفق بين هذا وبين قولهم: إنه (عليه السلام) أعلن بالأمان لأهل مكة، وعين لهم مواضع للتواجد فيها، ومنها المسجد، ودار أبي سفيان، وراية أبي رويحة، ومن دخل داره، وأغلق بابه إلخ.. ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن عدم لجوء ذينك الرجلين إلى مواضع الأمان التي حددها لهم

١ - السيرة الحلبيّة ج ٣ ص ٩٣ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤١ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٤ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٠ ص ٧٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٦٨.

رسول الله (ﷺ)، يدل على أنهما لم يلتزما بما قرره الرسول، وأنهما كانا في وضع قتالي، انتهى بهما إلى اللجوء إلى جوار أم هاني..

ثانياً: صرح بعضهم بأن النبي (ﷺ) كان قد أهدر دم هذين الرجلين: وهما الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية، فلم يكونا مشمولين لأمان رسول الله (ﷺ).

ويشهد لذلك ثناء النبي (ﷺ) على علي (عليه السلام) وتصويبه في ملاحقته هذين الرجلين، وتصريحه بصرف النظر عن قتلهما، إكراماً لأم هاني، ولكن أيضاً لقرابتهما من علي (عليه السلام)، فقد قال (ﷺ): (قد شكر الله سعيه، وأجرت من أجارت أم هاني، لمكانها من علي^(١))، وقال لها: قد آمننا من آمنت، وأجرنا من أجرت، فلا نقتلها^(٢)).

فقوله (ﷺ): (فلا نقتلها) يشير إلى أنه (ﷺ)

-
- ١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٣١ و ١٣٢ و ج ٤١ ص ١٠ و ١١ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٢٤ و ٢٢٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٧٦ ومستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١١١ والإرشاد للمفيد ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٨ والدر النظيم ص ١٨٠ والمستجد من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص ٧٩ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٢٩ و ٨٣٠
 - ٢ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٣ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٦٨.

كان مصمماً على قتلهما، وأنهما لم يكونا داخلين في الأمان الذي أطلقه في الناس بشرط الدخول إلى المسجد، أو إلى بعض المواضع الأخرى..

فلا يصح قول بعضهم هنا: (إرادة علي كرم الله وجهه قتل الرجلين اللذين أمنتهمما أخته أم هاني لعله تأول فيهما شيئاً، أو جرى منهما قتال له. وتأمين أم هاني لهما من تأكيد الأمان الذي وقع للعموم)^(١).

نعم، لا يصح ذلك للأسباب التالية:

١. قد ظهر مما قدمناه آنفاً: أن علياً (عليه السلام) لم يكن متأولاً في ملاحقته لهذين الرجلين، بل هو يجري فيهما حكم الله وحكم رسوله، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الذي أهدر دمهما، وكان مصمماً على قتلهما لولا شفاعته أم هاني..

٢. لم يكن هناك أمان عام للناس، بل كان هناك أمان لمن يدخل المسجد، ودار أبي سفيان، ويغلق بابه، ويلتجئ إلى راية أبي رويحة..

٣. لو كان هناك أمان عام لاحتجت به أم هاني على علي (عليه السلام)، ولم تحتج إلى شكواه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)..

مقارنة ذات مغزى:

تقدم: أن علياً (عليه السلام) يصر على قتل رجلين أجاتهما أخته، ولا يقبل شفاعتها فيهما، ولا يراجع هو النبي (صلى الله عليه وآله) في أمرها

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٤ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٧.

حتى جاءت إجارتهما من رسول الله (ﷺ) نفسه .

وفي المقابل نجد عثمان يصر على النبي (ﷺ) في العفو عن ابن أبي سرح، بل هو يحبّه في بيته ..
ثم يكرر عثمان التماسه العفو، ويعرض عنه النبي (ﷺ) مرة بعد أخرى، حتى استجاب له النبي (ﷺ) على
مضض، وظهر عتبه على المسلمين لعدم مبادرتهم إلى قتل ابن أبي سرح قبل ذلك ..
كما أنه يخبئ معاوية بن المغيرة، ويضرب زوجته بتهمة أنها دلت عليه حتى تموت من ذلك الضرب ..
توضيحات نحتاجها:

واللافت هنا: أن علياً (عليه السلام) يأتي إلى دار أخته مقنعاً بالحديد، ولا يعرف أخته بنفسه في بادئ الأمر، ولكنه
لا يفتح الدار، مراعاة للحرمة، ثم هو لا يريد أن يروع أهلها، بل ينادي من خارج الدار: أخرجوا من أوتيتم!
فخرجت إليه أخته، فلم يبادر إلى تعريفها بنفسه، بل تركها تعرف هي بنفسها، بأنها بنت عم النبي (ﷺ)،
وأخت علي (عليه السلام)، ثم تأمره بالانصراف عن دارها ..

ولكن علياً (عليه السلام) يصرّ على موقفه، ويعيد النداء: أخرجوهم .

فلم تضعف، ولم تتراجع، بل قالت له: والله، لأشكونك إلى رسول الله (ﷺ) .

وفي هذه اللحظة ينزع علي (عليه السلام) المغفرة عن رأسه، فعرفته أخته، فجاءته تشتد حتى التزمته.
فلاحظ: أن علياً (عليه السلام) قد أجرى الأمور على طبيعتها، كما لو كانت ستجري في أية حالة أخرى، وفي أي بيت شخص آخر.

وهو (عليه السلام) رغم أنه كان يواجه أخته لم يتراجع عن أداء واجبه الشرعي مراعاةً لها، أو انسياقاً مع عاطفته تجاهها، كما أنه أراد لها أن تبر بقسمها الذي أطلقته، وهي ترى أنها محقة في إعطائها الأمان لأولئك المشركين فلم يمنعها من ممارسة حقها في الدفاع المشروع عن موقفها، بل كان هو الذي دلها على مكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وطلب منها أن تذهب إليه وتشكوه عنده، ليأتي القرار بالعفو من مصدره الأساس، وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وبذلك يسقط التكليف عن أمير المؤمنين بصورة تلقائية..

خوف الجبناء:

لقد أظهرت بعض الروايات المتقدمة: مدى خوف أولئك الظالمين من سيف عدل علي (عليه السلام)، حتى جعلوا يذرقون كما يذرق الحبارى خوفاً من رجل واحد، ولم يجرؤوا على الخروج إلى ساحة المواجهة؟!
فماذا قوي علي (عليه السلام) عليهم؟! أليس بإيمانه الراسخ بالله، واعتزازه وثقته بربه ودينه؟! وعزوفه عن زخارف هذه الدنيا؟! وطلبه لما عند الله الذي هو خير وأبقى؟!!

علي (عليه السلام) يحطم الأصنام:

قال الصالح الشامي: عن علي (عليه السلام) قال: انطلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى أتى بي إلى الكعبة، فقال: (اجلس)، فجلست بجانب الكعبة، فصعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على منكبى، فقال: (انفض)، فنهضت، فلما رأى ضعفي تحته قال: (اجلس)، فجلست.

ثم قال: (يا علي، اصعد على منكبى)، ففعلت، فلما نهض بي خيل إلي: لو شئت نلت أفق السماء. فصعدت فوق الكعبة، وتنحى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: (ألق صنمهم الأكبر)، (وفي نص آخر: لما ألقى الأصنام، لم يبق إلا صنم خزاعة^(١) وكان من نحاس، موتد بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (عاجله)، ويقول لي: (إيه إيه) (جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)^(٢). فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه.

وقيل: إن هذا الصنم كان من قوارير صفر، (وقيل: من نحاس)^(٣).

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٦ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦.

٢ - الآية ٨١ من سورة الإسراء.

٣ - راجع: نظم درر السمطين ص ١٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٣٦ وتأويل الآيات ج ١ ص ٢٨٦ وغاية المرام ج ٤ ص ٣١١ وشرح إحقاق الحق ج ٢٣ ص ٣٦٢.

وفي نص آخر: أنه (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام): ارم به، فحمله رسول الله (ﷺ) حتى صعد، فرمى به فكسره، فجعل أهل مكة يتعجبون، ويقولون: ما رأينا أسحر من محمد (ﷺ).^(١)

ثم إن علياً (عليه السلام) أراد أن ينزل، فألقى نفسه من صوب الميزاب، تأدباً وشفقة على النبي (ﷺ). ولما وقع على الأرض تبسم، فسأله النبي (ﷺ) عن تبسمه. فقال: لأني ألقيت نفسي من هذا المكان الرفيع، وما أصابني ألم. قال: كيف يصيبك ألم وقد رفعتك محمد، وأنزلك جبريل؟!^(٢)

وفي نص آخر: أنه (ﷺ) قال: يا علي، اصعد على منكبي، واهدم الصنم. فقال: يا رسول الله، بل اصعد أنت، فإني أكرمك أن أعلوك. فقال (ﷺ): إنك لا تستطيع حمل ثقل النبوة، فاصعد أنت..

-
- ١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٦ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٣٠ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ وتخريج الأحاديث والآثار ج ٢ ص ٢٨٧ وجوامع الجامع ج ٢ ص ٣٨٩.
- ٢ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ عن الزرندي، والصالحاني، ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص ٢٠٢ وراجع: شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٤٠٣ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٧٨ ومستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٢٧٤ ونهج الإيمان ص ٦٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٩٢ وج ١٨ ص ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٨.

إلى أن قال: ثم نهض به.

قال علي (عليه السلام): فلما نهض بي، فصعدت فوق ظهر الكعبة الخ.^(١).

وجاء في نص آخر قوله (عليه السلام) لعلي (عليه السلام): لو أن ربيعة ومضر جهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حي ما قدروا، ولكن قف يا علي، فضرب بيده إلى ساقيه، فرفعه حتى تبين بياض إبطيه، ثم قال: ما ترى يا علي؟! قال: أرى أن الله قد شرفني بك، حتى لو أردت أن أمس السماء لمستستها الخ.^(٢).

وفي نص آخر: قال علي (عليه السلام): أراني كأن الحجب قد ارتفعت، ويخيل إليّ أني لو شئت لنلت أفق السماء.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): طوبى لك تعمل للحق، وطوبى لي أحمل للحق^(٣).

١ - السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٦ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٢٩.

٢ - المناقب لابن المغازلي ص ٢٠٢ والمناقب المرتضوية ص ١٨٨ وبحار الأنوار ج ٣٨ ص ٨٦ وكشف اليقين ص ٤٤٧ والطرائف ص ٨٠ والعمدة لابن البطريق ص ٣٦٤ و ٣٦٥ وغاية المرام ج ٦ ص ٢٧٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٨٧ و ج ١٨ ص ١٦٤.

٣ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٦ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ١٦٢.

كسر الأصنام في الشعر:

وقال بعض الشعراء، وقد نسب القندوزي الحنفي هذا الشعر إلى الإمام الشافعي، ونسبه عطاء الله بن فضل الله الحسيني الهروي في الأربعين إلى حسان بن ثابت:

قيل لي: قل في عليٍّ مدحاً
قلت لا أقدم في مدح امرئ
والنبي المصطفى قال لنا
وضمع الله بظهوري يوده
وعلي واضمع أقدامه
في محمل وضمع الله يوده^(١)

وفي حديث يزيد بن قعنب عن فاطمة بنت أسد: أنها لما ولد علي (عليه السلام) في جوف الكعبة، وأرادت أن تخرج به هتف بها هاتف: يا فاطمة سميه علياً، فهو علي..

إلى أن قال عن علي (عليه السلام): وهو الذي يكسر الأصنام، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي الخ..^(٢).

١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧ ونبايع المودة (ط إسلامبول) ص ١٣٩ و (ط دار الأسوة) ج ١ ص ٤٢٣ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ ص ٦٨٣ وج ١٨ ص ١٦٣ وشجرة طوي ج ٢ ص ٣٠٦ والغدير ج ٧ ص ١٢.

٢- الأمالي للصدوق ص ١٩٤ و ١٩٥ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٣٥ و معاني = الأخبار ص ٦٢ وروضة الواعظين ص ٧٦ و ٧٧ والمختصر للحلي ص ٢٦٤ والجواهر السننية للحر العاملي ص ٢٢٩ وبحار الأنوار ج ٣ ص ٨ و ٩ والأنوار البهية ص ٦٧ و ٦٨ وشجرة طوي ج ٢ ص ٢١٧ والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للهمداني ص ٦٣٥ وبشارة المصطفى ص ٢٧ وكشف الغمة ج ١ ص ٦١ وكشف اليقين ص ١٩ . ٢١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٦ عن بشائر المصطفى، وعن تجهيز الجيش للدهلوي العظيم آبادي (مخطوط) ص ١١٠.

وفي بعض المصادر: أنه (عليه السلام) جمع الحطب، وأوقد ناراً، ثم وضع قدمه على عضد النبي (صلى الله عليه وآله)، وصار يأخذ الأصنام عن جدار الكعبة، ويلقيها في النار^(١).

ونقول:

لا بد لنا من الوقفات التالية:

لماذا علي (عليه السلام)؟!:

وقد لوحظ: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أوكل مهمة كسر الأصنام لعلي (عليه السلام)، ولم يوكل بها غيره، ولا تولاهما (صلى الله عليه وآله) بنفسه، ولو بأن يشير إليها فتتهاوى بصورة إعجازية، كما حصل لعلي (عليه السلام) ..
ولعل سبب ذلك: أن تولى علي والنبي (صلى الله عليه وآله) تحطيم

١ - أنيس المجلس للسيوطي (ط سنة ١٢٩١ هـ) ص ١٤٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٨ ص ١٦٧.

الأصنام يقطع الطريق على اتهام غيرهما بأنه قد بالغ في التشفي، وأمعن وتجاوز الحد في إجراء التوجيهات التي صدرت، وقد كان يكفي اقتلاعها وإبعادها عن المكان، دون أن يعمل على تهشيمها بهذه الطريقة المهينة..

وقد يدعى: أن همَّ النبي (ﷺ) كان مصروفاً إلى الهيمنة على مكة، وقهر قريش، ولعله كان لا يمانع في أن يعتقد الناس بأن لهذه الأصنام شيئاً من التأثير في حياتهم، أو هو على الأقل لا يمانع في اقتنائها للذكرى، أو للتلذذ بجمال صنعها، أو لأي سبب آخر..

فجاء تحطيمها بيد علي (عليه السلام) تحت سمع وبصر رسول الله (ﷺ) ليدلنا على أن وجودها كله مبغوض له تعالى.. ولا يجوز الإحتفاظ بها تحت أي عنوان من العناوين..

تحطيم الأصنام أكثر من مرة:

قد دلنا الرواية التي ذكرناها قبل الهجرة، عن علي (عليه السلام)، وقد جاء فيها: (ونزلت من فوق الكعبة، وانطلقت أنا والنبي (ﷺ) نسعى حتى توأرنا بالبيوت، وخشينا أن يرانا أحد) - قد دلنا . على أن تكسير الأصنام قد حدث مرتين:

إحدهما: قبل الهجرة.

والأخرى: في فتح مكة.

فراجع ما ذكرناه في فصل سابق تحدثنا فيه عن أحداث ما قبل الهجرة.

ينوء بثقل النبوة:

وقد ذكرت الروايات السابقة: أن النبي (ﷺ) طلب من علي (عليه السلام) أن يجلس ليصعد هو على ظهر علي..
ففعل ذلك، وإذ به ينوء بثقل النبوة..

فهنا سؤالان:

أحدهما: ألم يكن (ﷺ) يعلم بأن للنبوة ثقلاً ينوء به علي (عليه السلام)؟! فإن كان يعلم، فما هي الحكمة في أن يطلب ذلك من علي (عليه السلام)؟!

الثاني: هل للنبوة ثقل؟! وهل هو ثقل مادي؟! أم ماذا؟!

ونجيب بما يلي:

بالنسبة للسؤال الأول نقول:

لا ريب في معرفة النبي (ﷺ) بأن للنبوة ثقلاً ينوء به علي (عليه السلام).. ولذلك فنحن نرجح الروايات الأخرى التي تقول: إن علياً (عليه السلام) هو الذي طلب من النبي أن يصعد على ظهره، إجلالاً منه للنبي (ﷺ)، فأخبره (ﷺ) بأن للنبوة ثقلاً يمنع من ذلك، لأنه ينوء به (عليه السلام)..
بل نحن لا نستطيع أن نقول: إن علياً (عليه السلام) كان يجهل هذا الأمر أيضاً، ولكنه أراد هو والنبي (ﷺ) التصريح بذلك، ليعلم الناس: أن صعوده على ظهر رسول الله (ﷺ) لا يتناقى مع التكريم والإجلال والتعظيم، إذ لولا هذا البيان لدخل في وهم بعض

الناس، ما لا يجوز توهمه في حق علي (عليه السلام) ..

أو لعله نظر إلى قانون البداء، فلعله اقتضى إظهار معنى في علي (عليه السلام) اقتضى تمكينه (عليه السلام) من النهوض
بثقل النبوة ..

وبالنسبة للسؤال الثاني نقول:

ليس بإمكاننا تحديد ماهية هذا الثقل، ولكننا نعلم: أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يركب الراحلة والفرس، وغيرهما،
ويراه الناس ..

ثم هو يعلن لهم: أنه لو اجتمعت ربيعة ومضر على أن يحملوا بضعة منه وهو حي لما قدروا على ذلك .. مما
يعني: أن للنبوة في مضمونها المعنوي خصوصية تحتم التدخل الإلهي لتعجيز البشر عن حمل النبي
(صلى الله عليه وآله) وهو حي، ربما لأن هذا قد يثير خطرات تسيء إلى معنى النبوة.

ونحن وإن كنا ننزه علياً (عليه السلام) عن مثل تلك الخطرات، لأنه هو نفس النبي (صلى الله عليه وآله) في طهره وسائر صفاته،
ولكننا لا ننزه غيره عنها ممن يرى ويسمع.

هل يخيل لعلي (عليه السلام)؟!:

تقدم: أن علياً (عليه السلام) قال: خيل إليّ: لو شئت نلت أفق السماء، أو نحو ذلك.

والمراد بالتخييل لعلي (عليه السلام): إراءته عين الواقع، إذ لا تخييل للمعصوم من الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) خارج
دائرة إراءة الحقائق.

فإن كان (عليه السلام) قد عبر بكلمة (خيل إلي) فذلك بهدف الرفق

ببعض ضعفاء النفوس، الذين يصعب عليهم إدراك هذه الحقائق على ما هي عليه..
علماً بأن بعض النصوص لم ترد فيها كلمة: (خَيْلٌ إِلَيَّ)، وذكرت أنه لو أراد أن ينال السماء لناها.
ويشير إلى ذلك قوله (ﷺ): رفعتُ مُجَدَّ، وأنزلتُ جبريلَ، فإن من يكون هذا حاله، لو أراد أن ينال السماء
لناها.

تعمل للحق، وأحمل للحق:

وقول النبي (ﷺ) لعلي (عليه السلام): طوبى لك، تعمل للحق، وأحمل للحق، يشير إلى أن تحطيم الأصنام لم يكن
بدافع التشفي من الذين كانوا يعبدونها، ولا الرغبة في الإستئثار بجميع ثمرات النصر، أو الحرص على الإمساك
بجميع مفردات الغلبة، وإنما أملاه عليه واجب الحق، والدين، والإخلاص لله تعالى، والتماس رضاه، وبث اليأس في
أهل الشرك والبغي..

علي (عليه السلام) يؤذن على ظهر الكعبة:

وزعموا: أنه لما حان وقت الظهر أمر رسول الله (ﷺ) بلالاً أن يؤذن فوق الكعبة، ليغيظ بذلك المشركين،
وكانت قريش فوق رؤوس الجبال.

ونقول:

إن ذلك موضع ريب، والصحيح: هو أن علياً (عليه السلام) هو الذي

فعل ذلك، بدليل:

أولاً: قد صرحوا: بأن النبي (ﷺ) دخل البيت يوم الفتح وقت الظهر^(١)، فإذا كان الوقت ظهراً، وكان (ﷺ) مشغولاً هو وعلي (عليه السلام) بإزالة الصور من داخل الكعبة، ومن على ظهرها، فمن أولى من علي (عليه السلام) بالأذان من على ظهر الكعبة في اللحظات الأولى، وإن كان ذلك لا يمنع من أن يكون بلال قد أذن بعد ذلك في المسجد، أو من على ظهر الكعبة.

ثانياً: عن يزيد بن قعنب، أن فاطمة بنت أسد: قالت: لما ولد علي (عليه السلام) في جوف الكعبة، وأرادت أن تخرج هتف بها هاتف: يا فاطمة، سميه علياً، فهو علي.. إلى أن قال ذلك الهاتف: (هو الذي يكسر الأصنام، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي إلخ..).

وروى ابن الشيخ الطوسي هذا المضمون، عن العباس ويزيد بن قعنب، وفيه: وهو أول من يؤذن فوق ظهر بيتي، ويكسر الأصنام إلخ..^(٢).

١ - الخرائج والجرائح ج ١ ص ٩٧ و ١٦٣ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١١٧ و ١١٩ وجامع أحاديث الشيعة ج ٤ ص ٦٩٨ ومستدرك الوسائل ج ٤ ص ٣٨.

٢ - راجع: روضة الواعظين ص ٧٧ وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٩ و ٣٧ وعلل الشرائع ج ١ ص ١٦٤ ومعاني الأخبار ص ٦٢ و ٦٣ والأمايلي للصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص ١٩٢ والأمايلي للطوسي ج ٢ ص ٣١٨ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٥ ص ٥٧ عن كتاب تجهيز الجيش للدهلوي.

الفصل الثالث:
الحجابه والسقاية..

مفتاح الكعبة:

وحين فتحت مكة بعث رسول الله (ﷺ) علياً (عليه السلام) إلى عثمان بن طلحة، فأبى أن يدفع المفتاح إليه، وقال: لو علمت أنه رسول الله (ﷺ) لم أمنعه منه، فصعد إلى السطح، فتبعه علي (عليه السلام) ولوى يده، وأخذ المفتاح منه قهراً، وفتح الباب^(١).

فلما نزل قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا..)^(٢). أمره (ﷺ) أن يدفع المفتاح إليه، متلطفاً به، (ويعتذر إليه). وقال له: قل له: خذوها يا بني طلحة بأمنة الله، فاعملوا فيها بالمعروف، خالدة تالدة الخ..)^(٣).

فجاء علي (عليه السلام) بالمفتاح متلطفاً، فقال له: أكرهت وآذيت، ثم

-
- ١- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٧ و ٨٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٨ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٩ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٤٠٤ و بحار الأنوار ج ٢١ ص ١١٦.
 - ٢- الآية ٥٨ من سورة النساء.
 - ٣- راجع: تاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٨ و شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٨٢ و كشف الخفاء ج ١ ص ٣٧٤ و تاريخ مدينة دمشق ج ٣٨ ص ٣٨٨ و إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٩٤ و ج ١٣ ص ٣٨٤ و عيون الأثر ج ٢ ص ٢٠٠.

جئت ترفق؟!!

فقال (عائشة): لأن الله أمرنا بردها عليك.

فأسلم، فأقره النبي (صلى الله عليه وآله) في يده^(١).

وذكر نص آخر: أن عثمان بن طلحة ادعى: أنه هو الذي جاء بالمفتاح إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(٢).

فقام علي بن أبي طالب، ومفتاح الكعبة بيده، فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية!

(وفي رواية: أن العباس تناول يومئذٍ لأخذ المفتاح في رجال من بني هاشم. أي منهم علي (عائشة)^(٣)).

١- راجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٨ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٩ و بحار الأنوار ج ٢١ ص ١١٦ و ١١٧ و مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٤٠٤ و ٤٠٥.

٢- راجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٨٣ والمصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٥٢٩ و ٥٤١ والدرر لابن عبد البر ص ٢٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٧٩ وكنز العمال ج ٢ ص ٣٨٤ و ج ١٠ ص ٥٣٥ ومواهب الجليل ج ٤ ص ٥٠٥ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٧ والمعجم الكبير للطبراني ج ٩ ص ٦١ وفتح الباري ج ٣ ص ٣٧١ وعمدة القاري ج ٩ ص ٢٤٣ ومسند الحميدي ج ٢ ص ٣٠٤.

٣- راجع هذه الفقرة في: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٠ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٥٢ و عيون الأثر ج ٢ ص ٢٠٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ وفي هامشه عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠١.

فقال رسول الله (ﷺ): أين عثمان بن طلحة؟!

فدعي، فقال: (هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بر ووفاء).

قالوا: وأعطاه المفتاح ورسول الله (ﷺ) مضطبع^(١) بثوبه عليه، وقال: (غيبوه. إن الله تعالى رضي لكم بما في الجاهلية والإسلام)^(٢).

وعن ابن جريح: أن علياً (عليه السلام) قال للنبي (ﷺ): اجمع لنا الحجابة والسقاية، فنزلت: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا..)^(٣).

فدعا عثمان، فقال: (خذوها يا بني شبيبة خالدة مخلدة).

وفي لفظ: (تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم)^(٤).

١ - اضطبع: أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر.

٢ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ عن ابن سعد والواقدي، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٠ و ١٠١ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٣٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٥ و ٨٨ وعن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٠١.

٣ - الآية ٥٨ من سورة النساء.

٤ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ عن ابن عائذ، والأزرقعي، وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٠ ومواهب الجليل ج ٤ ص ٥٠٥ وشرح مسلم للنووي ج ٩ ص ٨٣ ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٢٨٥ وفتح الباري ج ٨ ص ١٥ وعمدة القاري ج ٤ ص ٢٤٨ والمعجم الأوسط ج ١ ص ١٥٦ و ج ١١ ص ٩٨ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٣ ص ١٠٣٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ = ٢ ص ١٣٧ والكامل لابن عدي ج ٤ ص ١٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٨ ص ٣٨٣ و ٣٨٨ و ٣٨٩ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٧٢ وسير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٢ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٥١٠ وذكر أخبار إصبهان ج ١ ص ٢٤٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٩٤ و ج ١٣ ص ٣٨٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٤ ص ٨٣ وشرح نخب البلاغة للمعتزلي ج ١٧ ص ٢٨٢ وكنز العمال ج ١٢ ص ٢٢٢ وكشف الخفاء ج ١ ص ٣٧٤ وتفسير الواحدي ج ١ ص ٢٧٠ وتفسير الألوسي ج ٥ ص ٦٣ وتفسير السمعاني ج ١ ص ٤٤٠ والدر المنثور ج ٢ ص ١٧٥ والمحرر الوجيز ج ٢ ص ٧٠ وتفسير الرازي ج ١٠ ص ١٣٨ والجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٢٥٦ وتفسير الثعالبي ج ١ ص ١٠٤ و ج ٢ ص ٢٥٢.

وعن الزهري: أن رسول الله (ﷺ) لما خرج من البيت قال علي (عليه السلام): (إنا أُعطينا النبوة والسقاية والحجابة، ما قوم بأعظم نصيباً منّا).

فكره رسول الله (ﷺ) مقالته، ثم دعا عثمان بن طلحة، فدفَع المفتاح إليه وقال: (غيبوه)^(١). فلذلك يغيب المفتاح^(٢).

-
- ١- سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ عن عبد الرزاق، والطبراني. ومواهب الجليل ج ٤ ص ٥١١ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٧٧ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٨٤ والمعجم الكبير للطبراني ج ٩ ص ٦٢ وكنز العمال ج ١٤ ص ١٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٨ ص ٣٩٠.
 - ٢- سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٤٤ عن الفاكهي، ومواهب الجليل ج ٤ ص ٥١١ = وفتح الباري ج ٨ ص ١٥ والمعجم الكبير للطبراني ج ٢ ص ١٢٥ وكنز العمال ج ١٤ ص ١٠٧.

وعند الحلبي: أن علياً (عليه السلام) أخذ المفتاح وقال: يا رسول الله، إجمع لنا الحجابة مع السقاية.
فقال (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): أكرهت وآذيت، وأمره (صلى الله عليه وآله) أن يرد المفتاح على عثمان ويعتذر إليه، فقد أنزل الله في شأنك. أي أنزل الله عليه ذلك وهو في جوف الكعبة. وقرأ عليه الآية، ففعل ذلك علي (عليه السلام).
وسياق هذه الرواية يدل: على أن علياً كرم الله وجهه أخذ المفتاح على أن لا يرده لعثمان، فلما نزلت الآية أمره (صلى الله عليه وآله) أن يرد المفتاح لعثمان.. (٢).
وعن ابن جريح، عن ابن مليكة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعلي يومئذ حين كلمه في المفتاح: (إنما أعطيتكم ما تُرزؤون، ولم أعطكم ما تُرزؤون).
يقول: (أعطيتكم السقاية، لأنكم تغرمون فيها، ولم أعطكم حجابة البيت).

-
- ١- السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٠ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٥٢ وتخرىج الأحاديث والآثار ج ١ ص ٣٢٩ وأسباب نزول الآيات ص ١٠٥ وتفسير البغوي ج ١ ص ٤٤٤ والعجاب في بيان الأسباب ج ٢ ص ٨٩٣ وتفسير أبي السعود ج ٢ ص ١٩٣.
٢- السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٠ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٥٢.

قال عبد الرزاق: أي أنهم يأخذون من هديته^(١).
وعند الحلبي: إنما أعطيتكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس، أي وهو السقاية، لا ما تأخذون منه من الناس
أموالهم، وهي الحجابة، لشرفكم، وعلو مقامكم^(٢).
واللافت هنا: أن الواقدي يذكر نفس هذه القضية، بعين ألفاظها، وينسبها إلى العباس، لا إلى علي
(عليه السلام)^(٣).
وحديث طلب العباس من النبي (ﷺ) أن يجمع لبني هاشم السقاية والحجابة مروى عن ابن أبي مليكة
أيضاً^(٤).

-
- ١- المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٤٥ عن عبد الرزاق، والمعجم الكبير للطبراني ج ٩ ص ٦٢ ومجمع الزوائد
ج ٦ ص ١٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٨ ص ٣٨٧ وفتح الباري ج ٣ ص ٣٩٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٥.
٢- السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٠ و (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٥٢.
٣- راجع: المغازي ج ٢ ص ٨٣٣ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٨٥ عن البحر العميق.
٤- راجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٨٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٤٥ عنه، وراجع عن غير أبي مليكة: كنز العمال ج ١٤
ص ١٠٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٣٨ ص ٣٨٧ و ٣٨٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٥٢ وتفسير ابن زنين ج ١ ص ٣٨١ وفتح
الباري ج ٣ ص ٣٩٣ وزاد المسير ج ٢ ص ١٤٣ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٢٨ وتنوير المقباس ص ٧٢ والعجاب في بيان =
الأسباب ج ٢ ص ٨٩٢ والدر المنثور ج ٢ ص ١٧٤ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ٧١ و (ط دار الكتب العلمية) ص ٦٠ وتفسير
الآلوسي ج ٥ ص ٦٣ وكتاب المنمق لابن حبيب ص ٢٨٧.

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة وقفات عديدة، نذكر منها ما يلي:

أكرهت وأذيت:

تقدم أنهم زعموا: أنه (ﷺ) قال لعلي (عليه السلام)، حين طلب منه أن يجمع لهم الحجابة إلى السقاية: أكرهت وأذيت، وأمره أن يرد المفتاح إلى عثمان بن طلحة.

ونقول:

أولاً: تقدم: أن عثمان بن طلحة هو الذي قال لعلي (عليه السلام) أكرهت وأذيت، فإنه لما تمنع عثمان من دفع المفتاح إليه لحقه إلى سطح الكعبة ولوى يده، وأخذ المفتاح منه..

ثانياً: حتى لو كان النبي (ﷺ) هو الذي قال ذلك لعلي (عليه السلام)، فإنه لا غضاضة فيه عليه، لأنه إكراه وأذى يجبه الله ورسوله، لأنه جاء في سياق تنفيذ أمر الرسول الذي كان عثمان بن طلحة بصدد التمرد عليه، وهو ذنب كبير يدعو علياً (عليه السلام) إلى فرض الطاعة عليه..

ثالثاً: اعطاء المفتاح لبني شيعته يجعل لهم نوع ولاية نصرف فيه.. مع

أنه تعالى قال: (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا أُولِيَاءُؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ) (١).

أعطيتكم ما ترزؤون:

وقد قرر (ﷺ): أنه أعطى بني هاشم، ما يوجب بذل أموالهم فيه، وهو السقاية.. أما الحجابة فأعطاه لبني شيبية، لأنها تجلب لهم المنافع، لأنه (ﷺ) أراد بذل هذه المنافع لهم، لكي يتألفهم على الإسلام، ويسلّ سخيمتهم، ولو أنه أعطى الحجابة لبني هاشم، لوجد الحاسدون والطامعون، والمفسدون والمنافقون الفرصة لتعميق الشرخ بين هؤلاء وهؤلاء، وربما يتهمون النبي (ﷺ) بمحابة أهل قرابته، وابتغاء المنافع لهم، وتخصيصهم بالمغام، والمناصب.

والعباس، وإن كان يفكر بأن يستفيد من الحجابة، ويحصل على بعض المنافع، ولكن علياً لم يكن يفكر بهذه الطريقة حين طلب الحجابة، بل أراد أن يهيء الجو لرسول الله (ﷺ) ليظهر هذه الحقيقة، حتى لا يشعر بنو شيبية، أو غيرهم بأن إعطائه الحجابة لهم يدل على تمييزهم في الدين، وعلى أن لهم موقفاً دينياً، استحقوه دون بني هاشم، أو لأجل خصوصيات وخصال خير، كامنة في حقيقة ذاتهم.. مثل الطهارة، أو الإخلاص، أو العلم، أو ما إلى ذلك..

١ - الآية ٣٤ من سورة الأنفال.

الأمر بأداء الأمانات:

وتقدم: أن قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) ^(١) نزل في مناسبة إعطاء مفتاح الكعبة لبني شيبه.

غير أننا نقول:

١ - إن هذه الآية وردت في سورة النساء التي انتهى نزولها قبل فتح مكة بعدة سنوات.. ودعوى أن الآية ألحقت في موضعها من تلك السورة في فتح مكة.. لا شاهد لها، ولا دليل عليها سوى الإدعاء والتحكُّم.

٢ - عن زيد بن أسلم، قال: أنزلت هذه الآية في ولادة الأمر، وفي من ولي من أمور الناس شيئاً ^(٢).

٣ - عن شهر بن حوشب قال: (نزلت في الأمراء خاصة (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا)) ^(٣).

١ - الآية ٥٨ من سورة النساء.

٢ - الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٥ عن ابن المنذر وآخرين، والمصنف لابن أبي شيبه ج ٧ ص ٥٧١ وراجع: التبيان للطوسي ج ٣ ص ٢٣٣ وجامع البيان ج ٥ ص ٢٠٠ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٩٨٦ وأحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٥٩ وتفسير العز بن عبد السلام ج ١ ص ٣٣٠.

٣ - الدر المنثور ج ٢ ص ١٧٥ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم، وراجع: عمدة القاري ج ١٢ ص ٢٢٧ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٣ ص ٩٨٦ وتفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٥٢٨.

٤ . عن ابن عباس في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) ، قال: يعني السلطان، يعطون الناس.

تناقضات تحتاج إلى حل:

إن الروايات التي ذكرت أن علياً (عليه السلام) طلب الحجابة لنفسه، أو لبني هاشم تحتاج إلى تمحيص، لأنها تعاني من إشكالات، تصعب على الباحث الإطمئنان إلى صحتها، فلاحظ ما يلي:

١ . ذكرت إحدى تلك الروايات: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى المفتاح لعثمان بن طلحة، ثم طلبه علي (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان المفتاح في يده فأعطاه إلى عثمان في هذه اللحظة.

وروايات أخرى تقول: بل إن علياً (عليه السلام) ذهب إليه، وأخذ المفتاح منه بالقوة.

فهل أخذ عثمان المفتاح قبل طلب علي (عليه السلام) أم بعده؟!

ويمكن الجواب بأنه بعد أن أخذ علي (عليه السلام) المفتاح من عثمان، حضر إلى مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجرى ما جرى.

٢ . هل قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أدعو لي عثمان، فدعوه، فأعطاه المفتاح، حين طلب علي الحجابة، أم أعطاه إياه حين كلمه العباس؟!

وقد يجاب: بأن علياً (عليه السلام) والعباس قد كلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الأمر، على التوالي، فأرسل إلى عثمان، فأعطاه المفتاح.

٣ . هل نزلت آية الأمر بأداء الأمانات لحظة استلام النبي (ﷺ) المفتاح قبل دخول الكعبة؟! أم نزلت حين كان النبي (ﷺ) داخل الكعبة؟!

٤ . هل طلب العباس من النبي (ﷺ) أن يجعل الحجابة له، قبل دخوله (ﷺ) إلى الكعبة؟! أم كان ذلك بعد خروجه منها؟!

٥ . ومما يؤكد الشبهة في صحة ما نسب لعلي (عليه السلام): أن النبي (ﷺ) بعد أن طمس الصور في داخل الكعبة أخذ بعضادتي بابها وخطب، وقال في خطبته: (إلا سدانة البيت، وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما).

فكيف يصح من العباس أن يطلب السدانة والسقاية بعد ذلك؟! أي بعد أن وضع مفتاح الكعبة في كفه، وتنحى ناحية المسجد، ورد الحجابة والسقاية إلى أهليهما.

٦ . ينسب إلى علي (عليه السلام) أنه قال: أعطينا النبوة، والسقاية والحجابة.. ما قوم بأعظم نصيب منا.. مع أن الروايات المتقدمة تقول: إن النبي (ﷺ) لم يعطه الحجابة..

٧ . على أنه لو كانت الحجابة حقاً لبني شيبه، فلماذا يرسل النبي (ﷺ) علياً (عليه السلام) ليأخذ المفتاح منه رغباً عنه؟!.. ألا يدل ذلك على أنه كان غاصباً لما لا حق له به؟!، وقد استرجعه منه رسول الله (ﷺ) بواسطة علي (عليه السلام).

٨ - وفي جميع الأحوال نقول:

إن كانت الحجابة حقاً لبني شيبية، فإن حشر اسم علي (عليه السلام) في هذه القضية، يكون في غير محله، ولا بد من البحث عن مبررات ذلك، فلعله يراد إظهاره (عليه السلام) طامعاً بأمر دنيوي، ليتساوى مع غيره في هذه الجهة.. ولعله.. ولعله..

وإن كانت الحجابة لبني هاشم، فلا بد أن يكونوا قد تنازلوا عنها تكروماً وتفضلاً لمصلحة حاضرة، مثل التأليف بطلب من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ويكون أخذ المفتاح من عثمان بن أبي شيبية في بداية الأمر في محله.. وبذلك لا يبقى مجال للقول: بأن الروايات قد دلت على أن الحجابة لم تعط لبني هاشم. ولعله استعادها من بني شيبية، وردها لبني هاشم أصحابها الحقيقيين.

بل قد يقال: إن المقصود بكلام علي (عليه السلام) هو أن أمر الحجابة والسقاية أصبح لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولبني هاشم، ولهم هم أن يعطوه لهذا ثم ينتزعونه منه ليعطوه لغيره..

فإعطاء الحجابة لبني شيبية ليس معناه سقوط حق بني هاشم فيها..

أو يقال: المقصود هو: أن أمر الحجابة يعود البت فيه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيصح لبني هاشم أن يقولوا: أعطينا الحجابة، كما صح لهم أن يقولوا: أعطينا النبوة، مع أن النبوة خاصة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دون كل أحد..

مفاخرة شيبية والعباس وعلي (عليه السلام):

عن ابن عباس، وعن الحارث الأعور قالاً: افتخر شيبية بن عبد الدار والعباس بن عبد المطلب، فقال شيبية: في أيدينا مفاتيح الكعبة، نفتحها إذا شئنا، ونغلقها إذا شئنا، فنحن خير الناس بعد رسول الله. وقال العباس: في أيدينا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فنحن خير الناس بعد رسول الله، (فقال: ظ) إذ مر عليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأراد أن يفتخر، فقال له: يا أبا الحسن! أنخبرك بخير الناس بعد رسول الله؟! ها أنا ذا.

فقال شيبية: في أيدينا مفاتيح الكعبة، نفتحها إذا شئنا ونغلقها إذا شئنا، فنحن خير الناس بعد النبي.

وقال العباس: في أيدينا سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فنحن خير الناس بعد رسول الله.

فقال لهما أمير المؤمنين (عليه السلام): ألا أدلكما على من هو خير منكما؟! قال له: ومن هو؟! قال: ومن هو؟! قال: أنا.

قال له: ومن هو؟! قال: ومن هو؟! قال: أنا.

قال: الذي ضرب رقبتكما حتى أدخلكما في الإسلام قهراً.

قال: ومن هو؟! قال: أنا.

قال: أنا.

فقام العباس مغضباً حتى أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخبره

بمقالة علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فلم يرد النبي (صلى الله عليه وآله) شيئاً.
فهبط جبرئيل (عليه السلام)، فقال: يا مُجَدِّ! إن الله يقروك السلام، ويقول لك: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..)^(١).

فدعا النبي (صلى الله عليه وآله) العباس، فقرأ عليه الآية، وقال: يا عم قم فاخرج، هذا الرحمان، يخاصمك في علي بن أبي
طالب (عليه السلام)^(٢).

ولكن نصاً آخر عن السدي يقول:

(قال عباس بن عبد المطلب: أنا عم مُجَدِّ (صلى الله عليه وآله) وأنا صاحب سقاية الحاج، فأنا أفضل من علي [بن أبي
طالب. أ].

[و] قال عثمان بن طلحة وبنو شيبه: نحن أفضل من علي [بن أبي طالب. أ، ر] فنزلت هذه الآية:
(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ

١ - الآية ١٩ من سورة التوبة.

٢ - تفسير فرات ص ١٦٥ و ١٦٦ وراجع ص ١٦٧ و ١٦٨ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٦ عنه، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٢٤
والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٦٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ج ١ ص ٣٤٣ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٨٩
وشجرة طوبى ج ١ ص ١٥٣ وراجع: تفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٩٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٩ وتأويل الآيات ج ١ ص ٢٠٠ وغاية
المرام ج ٤ ص ٧٦ ومجمع البيان ج ٥ ص ٢٧ و ٢٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٦٠٩ وسفينة النجاة للتكايني ص ٣٦٠.

الْحَرَامَ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) علي بن أبي طالب (عليه السلام). [ب] (لَا يَسْتَوُونَ..)،
(الَّذِينَ آمَنُوا) علي (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) (١)(٢).

عن جعفر عن أبيه (عليه السلام). [ر] قال: لما فتح النبي [ر: رسول الله (صلى الله عليه وآله)] مكة أعطى العباس السقاية،
وأعطى عثمان بن طلحة الحجابة، ولم يعط علياً شيئاً.

فقيل لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): إن النبي (صلى الله عليه وآله) أعطى العباس السقاية، وأعطى عثمان بن طلحة الحجابة،
ولم يعطك شيئاً.

قال: [فقال. ر، ب]: ما أرضاني بما فعل الله ورسوله.

[قال: أ، ب] فأنزل الله [تعالى هذه الآية: (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ..)] إلى (أَجْرٌ عَظِيمٌ) (٣)، نزلت في علي بن أبي طالب

١- الآيات ١٩ - ٢١ من سورة التوبة.

٢- تفسير فرات ص ١٦٧ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٧ عنه، وراجع ج ٤١ ص ٦٣ وشواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣٢٥ و ٣٢٧ وشرح
إحقيق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ٦٠٨ وجامع البيان ج ١٠ ص ١٢٤.

٣- الآيات ١٩ - ٢٢ من سورة التوبة.

(عائشة) (١).

ونقول:

إن ملاحظة الروايات المختلفة يعطي:

اختلاف الروايات:

إن ثمة اختلافاً في بعض نصوص الرواية مثل: أن علياً (عليه السلام) مر على المتفاحرين، فأراد أن يفتخر عليه، فقال لهما: إنه خير منهما، لأنه ضرب رؤوسهما حتى أدخلهما في الإسلام قهراً. كما في رواية الحارث الأعور وابن عباس.

١ - تفسير فرات ص ١٦٨ و ١٦٩ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٧ عنه. وقصة الإفتخار هذه مروية عن الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام)، وعبيد الله بن عبدة، وعروة وجابر، وعن الكلبي والحارث الأعور، والسدي. ورواها السيوطي في الدر المنثور ج ٣ ص ٢١٨ عن ابن مردويه، وعبد الرزاق، وابن عساکر، وأبي نعيم، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن جرير، وابن أبي شيبه عن ابن عباس، وأنس، والشعبي، والحسن القرظي، وأسباب نزول الآيات ص ١٨٢ عن بعض هؤلاء، ونقله في ينابيع المودة عن النسائي وجماعة آخرين. وراجع: الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٩١ والتفسير الكبير للرازي ج ٤ ص ٤٢٢ وتفسير الخازن ج ٢ ص ٢٢١ وتفسير النسفي ج ٢ ص ٢٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ١٢٣ وتفسير القرآن العظيم، ونظم درر السمطين، وغير ذلك.

وفي رواية ثانية: أنا أشرف منكما، أنا أول من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأمة، وهاجر، وجاهد^(١).
وفي رواية أخرى: أنه قال لهما: إنه آمن بالله قبلهما بسنوات، وإنه صاحب الجهاد^(٢).
كما أن الروايات الكثيرة تذكر حصول المفاخرة بينهم على النحو الذي

-
- ١ - فرائد السمطين ج ١ ص ٢٠٣ ونظم درر السمطين ص ٨٩ والدر المنثور ج ٣ ص ٢١٩ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٩ و ٣٨ والغدير ج ٢ ص ٥٤ وشواهد التنزيل ج ١ ص ٣٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٢ ص ٣٥٨ وغاية المرام ج ٤ ص ٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج ١٤ ص ١٩٧ و ١٩٨ و ٦٠٩ و ج ٢٠ ص ٣٠ و ج ٣٠ ص ٣٣ وعن جامع البيان.
 - ٢ - الطرائف لابن طاووس ص ٥٠ والعمدة لابن البطريق ص ١٩٣ و ١٩٤ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٧ و ج ٣٦ ص ٣٨ ومناقب أهل البيت للشيرازي ص ٧١ والغدير ج ٢ ص ٥٤ ومجمع البيان ج ٥ ص ٢٧ وجامع البيان ج ١٠ ص ١٢٤ وتفسير الثعلبي ج ٥ ص ٢٠ وأسباب نزول الآيات ص ١٦٤ وتفسير البغوي ج ٢ ص ٢٧٥ وزاد المسير ج ٣ ص ٢٧٩ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٥٥ والدر المنثور ج ٣ ص ٢١٩ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١١٦ و(ط دار الكتب العلمية) ص ١٠٣ وتنبية الغافلين لابن كرامة ص ٨٠ ومطالب السؤل ص ١٩٨ وكشف الغمة ج ١ ص ١٧٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٥٨١ وينايع المودة ج ١ ص ٢٧٧.

تقدم، لكن رواية لفرات عن الإمام الصادق (عليه السلام) تقول: لما فتح النبي مكة أعطى العباس السقاية، وأعطى عثمان بن طلحة الحجابة، ولم يعط علياً شيئاً. فقيل لعلي: لم يعطك النبي (صلى الله عليه وآله) شيئاً. قال: ما أرضاني بما فعل الله ورسوله.. فأنزله الله تعالى: الخ..

وقد يقال: إن هذه الروايات غير متناقضة، فلعل كل ذلك قد حصل..

لكن التدقيق يعطي: أن الاختلاف موجود، فإن إحدى الروايات تقول: إن المفاخرة كانت مع شيبه بن عبد الدار، أو طلحة بن شيبه، أو شيبه بن طلحة، أو شيبه بن أبي طلحة، حسب اختلاف الروايات الناشئة من اشتباه الرواة بالاسم، أو من النسبة إلى الجد تارة، وإلى الأب أخرى، أو الإستفادة من الاسم في مورد، ومن الكنية في مورد آخر، وما إلى غير ذلك..

نعود فنقول:

إن المفاخرة هل كانت بين شيبه المذكور آنفاً والعباس مع علي (عليه السلام)، أو أن المفاخرة كانت بين العباس وعلي فقط^(١).

١ - الدر المنثور ج ٣ ص ٢١٨ والعمدة لابن البطريق ص ١٩٣ و ١٩٤ والطرائف ص ٥٠ وراجع: ينابيع المودة ص ٩٣ والمناقب لابن المغازلي ص ٣٢١ و ٣٢٢ ومجمع البيان ج ٥ ص ١٥ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٩٤ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣٨٤ وتفسير المنار ج ١٠ ص ٢١٥.

وبعض الروايات زادت: حمزة وجعفرًا^(١).

وحديث المناشدة يوم الشورى وبعده، وشهادتهم لعلي بذلك^(٢). لا يدل على عدم صحة إضافة الحمزة وجعفر، لأن المطلوب هو بيان أنه لم يكن في الشورى غير علي (عليه السلام)، وليس المطلوب حصر نزول الآية به نفي نزولها في حمزة وجعفر.

وثمة مفارقة أخرى بين الروايات، وهي: أن بعضها ذكر أن المفاخرة كانت بين بني شيبه، وبين بني العباس^(٣). الآية.. والإمامة:

وفيما يرتبط بالإمامة نلاحظ:

أولاً: أن علياً (عليه السلام) قد فضل نفسه على العباس (عليه السلام)، وطلحة بن شيبه (أو على شيبه) بما يقتضي أفضليته (عليه السلام) على الأمة بأسرها، حيث قال لهما: أنا أول الناس إيماناً، وأكثرهم جهاداً.

١ - الكافي ج ٨ ص ٢٠٤ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٥ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٩٣ وغاية المرام ج ٤ ص ٧٤.

٢ - الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ٢٠٢ وبحار الأنوار ج ٣١ ص ٣٣٦ وتفسير البرهان ج ٣ ص ٣٨٣ ونور الثقلين ج ٢ ص ١٩٤ ومصباح البلاغة للميرجهاني ج ٣ ص ٢٢١ والمسترشد للطبري ص ٣٥٢ وغاية المرام ج ٢ ص ١٣٢.

٣ - تفسير فرات ص ١٦٨ والدر المنثور ج ٣ ص ٢١٨.

ثم جاءت الآية لتؤكد صحة هذا التفضيل، وتلوم وتقرع من ينكره، فإذا كان (عائشاً) هو أفضل الأمة، فيكون هو الأحق بالإمامة.

ثانياً: إن الآية التي بعدها، والتي جاءت للتأكيد على مضمونها تضمنت البشارة الإلهية لهذا المؤمن المجاهد برحمة من الله، وبرضوان، وبجنت لهم فيها نعيم مقيم..

ولا يكون هذا إلا لأعظم الناس عناء وفضلاً، والتزاماً بالطاعات، وعصمة لنفسه من المعاصي والمحرمات، إذ لا يمكن أن يعطى ذلك لمن لا يؤمن أن يعصي الله، لأن إعطاءه الأمان يتضمن تشجيعاً له على الحرام، ولا يبقى شيئاً يحجزه عن المعصية.

فالبشارة بالجنة لا تعطى إلا لمن يعلم أن لديه ملكة تحجزه عن المعاصي حتى الصغائر، فكيف إذا كانت المعاصي من الكبائر، وقد تصل إلى حد غضب الخلافة، وشن الحروب على الإمام الحق كما جرى في حربي الجمل وصفين؟!!

وهذا يدل على عدم صحة بشارة طلحة والزبير بالجنة، وكذلك الحال بالنسبة لمن قعد عن دفع البغاة على إمام زمانهم.

بين السقاية والعمارة، وبين الإيمان:

إن الآية قابلت بين السقاية والعمارة، وبين الشخص الذي آمن.. ولكن البعض حاول تفسير الآية، فقال: لا معنى لهذه المقابلة إذا أبقى المعنى على ظاهره، لأن الإنسان لا يقابل بعمل من الأعمال كالسقاية، بل يقابل العمل بالعمل، أو الإنسان ذي العمل بإنسان آخر ذي عمل.

وذلك يدل: على أنه لا بد من تقدير الكلام بحيث يكون على هذا النحو: أ جعلتم أهل سقاية الحاج، وأهل عمارة المسجد، كمن آمن؟! فصارت المقابلة بين إنسانين، فاستقام بذلك السياق.
ونقول:

أولاً: لا حاجة إلى هذا التقدير، فإن التعبير القرآني لم يجعل العمارة والسقاية مقابل المؤمن بالله، ليرد ما أوردوه، بل جعل هذين الفعلين الإختياريين مقابل شخص صدر منه هذا الفعل الإختياري أيضاً..
وإذا كان الفعلان الإختياريان، وهما: السقاية والعمارة، يراد توصيف الشخص بهما، لإثبات فضيلة وشرف له. فتكون المقابلة الحقيقية بين شخص له عمل السقاية أو العمارة الإختياريين، وبين شخص آخر له عمل إختياري آخر، هو الإيمان والجهاد..

أو يقابل بين عمليين: أحدهما: السقاية والعمارة. والآخر: الإيمان والجهاد..
ولعل هذا هو الأولى والأقرب، إن لم نقل: إنه هو الأصوب.

ثانياً: يلاحظ: أنه تعالى قد قابل بين أمرين حازهما علي (عليه السلام)، وهما: الإيمان والجهاد، وأمرين آخرين لم يجمعهما شخص واحد، وهما: السقاية للعباس، والعمارة لشيبة.. وبذلك يكون (عليه السلام) قد امتاز على كل واحد منهما: من حيث الشكل، فجمع خصوصيتين مقابل خصوصية واحدة لهذا، وأخرى لذاك.
ومن حيث المضمون، لدلالة الآية على أن عملهما لم يكن فيه شيء لله،

بل هو عمل ذنبوي جاهلي محض، خال من أية نفحة إلهية، أو أي نظرة إلى اليوم الآخر..
ثالثاً: يلاحظ أيضاً: أن مستوى التضحية في السقاية والعمارة لا يصل إلى مستوى البذل في الجهاد، الذي تبذل فيه الأرواح، ويقصد به الله واليوم الآخر، ويكون منطلقاً من هذا الإيمان، ولا يراد به الدنيا.
رابعاً: يلاحظ: أن الآية ذكرت السقاية والعمارة من دون إشارة للساقي والعامر، لأن المطلوب بيان: أن هذه السقاية خاوية من المعنى الروحي، فهي على حد أفعال أهل الجاهلية.. فلا داعي لفضح الناس بأن ينسب لهم هذا الأمر الذي يعد منقصة، لأنهم صاروا في جملة المسلمين، الذين يريد تعالى حفظ ماء وجههم، وتهيئة الأجواء لهم، لتصفية نفوسهم، وتركيتها وإصلاحها..
ولكنه تعالى حين ذكر الطرف الآخر، وهو المجاهد الباذل لنفسه في الله، أشار إلى شخصه، وجعله هو طرف الموازنة، والمقارنة، ليدل على ميزته وفضله، وعظيم منزلته، وسامق مقامه.
حديث النعمان بن بشير:
عن النعمان بن بشير الأنصاري، قال: كنت عند منبر رسول الله (ﷺ) في نفر من أصحابه، فقال رجل منهم: ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام، إلا أن أسقي الحاج.
وقال آخر: بل عمارة المسجد الحرام.

وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قُلتم.

فزجرهم عمر بن الخطاب، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله (ﷺ) - وذلك يوم الجمعة - ولكن إذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله (ﷺ)، فاستفتيته فيما اختلفتم فيه.

قال: (فدخل بعد الصلاة، فاستفتاه)، فأُنزل الله تبارك وتعالى: **(أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ..) إلى قوله: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (١) (٢).**

قال السيد رشيد رضا بعد ذكره للروايات المختلفة: (والمعتمد من هذه الروايات حديث النعمان لصحة سنده، وموافقة متنه لما دلت عليه الآيات، من كون موضوعها في المفاضلة أو المساواة بين خدمة البيت وحججه من

١ - الآية ١٩ من سورة التوبة.

٢ - الفصول المئة ج ٢ ص ١٨٩ و ١٩٠ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج ٦ ص ٣٦ والمعجم الأوسط ج ١ ص ١٣٤ ومسند الشاميين ج ٤ ص ١٠٨ وتفسير القرآن للصنعاني ج ٢ ص ٢٦٨ وجامع البيان ج ١٠ ص ١٢٢ وتفسير ابن أبي حاتم ج ٦ ص ١٧٦٧ والجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٩٢ ومسند أحمد ج ٤ ص ٢٦٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٥٨ وراجع: تفسير المنار ج ١٠ ص ٢١٥ وجامع البيان ج ١٠ ص ١٢٢ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٥٥ والدر المنثور ج ٣ ص ٢١٨ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص ١١٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص ١٠٢ وفتح القدير ج ٢ ص ٣٤٥ وتفسير الألوسي ج ١٠ ص ٦٧.

أعمال البر البدنية الهينة المستلذَّة، وبين الإيمان، والجهاد بالمال، والنفس والهجرة. وهي أشق العبادات النفسية، البدنية، المالية. والآيات تتضمن الرد عليها كلها الخ. (١).
ونقول:

ذكر بعض العلماء الأمور التالية:

أولاً: إن الآيات لم تقارن بين ثلاثة أطراف هي: الجهاد، وسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، وإنما فاضلت بين طرفين هما: سقاية الحاج، وعمارة المسجد من جهة.. وبين الإيمان بالله، واليوم الآخر والجهاد من جهة أخرى.. أي أن القرآن يريد أن يبطل المقارنة بين هذين الأمرين.

فرواية النعمان بن بشير لا تنسجم مع مضمون الآية.

ثانياً: إن الآية تعتبر أن من يقوم بهذه المفاضلة ظالم معتدٍ، محروم من هداية الله سبحانه.. الأمر الذي يشير إلى أن الإفთخار إنما هو بما كان يحصل في الجاهلية، وهو السقاية والعمارة التي لا يقصد بها الله تعالى..

ورواية النعمان تتحدث عن المفاضلة بين السقاية، التي يقصد بها الله تعالى، والحجاجة التي يقصد بها الله تعالى أيضاً، وكذلك الحال بالنسبة للجهاد في سبيل الله تعالى..

فلا يوجد ظلم في سقاية وحجاجة كهذه، لكي يصح قوله تعالى: (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ).

١ - تفسير المنار ج ١٠ ص ٢١٦.

وهذا دليل قاطع على أن حديث النعمان . إن صح . فلا ربط له بالآية .
ثالثاً: إن النعمان بن بشير لا يؤتمن على كل ما له مساس بعلي (عليه السلام)، فهو حامل قميص عثمان إلى معاوية^(١) . وهو عامل يزيد بن معاوية على الكوفة^(٢) . وقد سماه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غدر، لأنه أعطاه عنقوداً ليوصله إلى أمه، فأكله، ولم يوصله إليها^(٣) .
ولعلك تقول: إن قوله تعالى بعد هذه الآية يدل على أن الكلام عن

-
- ١ - مروج الذهب، والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٧ ص ٢٥٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ١ ص ٣٥٣ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ١٩٢ .
 - ٢ - راجع: أنساب الأشراف ص ٧٧ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٤١ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٣٦ وروضة الواعظين ص ١٧٣ والعوالم، الإمام الحسين (عليه السلام) ص ١٨٥ وعمدة القاري ج ٦ ص ١٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج ٦٢ ص ١٢٢ وراجع: ينابيع المودة ج ٣ ص ٥٦ والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج ٢ ص ٤ والامامة والسياسة (تحقيق الشيرازي) ج ٢ ص ٨ وإعلام الوري ج ١ ص ٤٣٧ ومطالب السؤل ص ٣٩٥ وكشف الغمة ج ٢ ص ٢٥٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج ٢ ص ٧٨٩ .
 - ٣ - سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١١١٧ والمعجم الأوسط ج ٢ ص ٢٥٣ وتهذيب الكمال ج ١٧ ص ٢٨١ والوفاي بالوفيات ج ٢٧ ص ٨٦ وسبل الهدى والرشاد ج ٧ ص ٢٠٥ والإستيعاب (ط دار الجليل) ج ٤ ص ١٤٩٧ وقاموس الرجال للتستري ج ١٠ ص ٣٧٥ .

السقاية والحجابه عمل جيد وحسن أيضاً، لكن الجهاد أفضل وأحسن، فلاحظ عبارة: (أعظم درجة) في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) ^(١).

ونجيب:

إن هذا التعبير بكلمة (أعظم) لا يدل على وجود حسن في المفضل عليه أصلاً، فإن المقارنة والمفاضلة تصح بين عملين أحدهما في غاية الحسن، والآخر خال من ذلك بصورة نهائية، وشاهدنا على ذلك قوله تعالى: (وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ) ^(٢)، وقوله تعالى: (لَمَسْجِدٍ أُسَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) ^(٣) مع أن مسجد الضرار لا يصح القيام فيه، وقال: (وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ^(٤)..

والآيات التي تعتبر بعض الأعمال خيراً من بعضها الآخر كثيرة جداً، فراجع المعجم المفهرس كلمة (خير)، لتجد أنها تستعمل في الآيات الشريفة للتفضيل حتى في مقابل خير موهوم في الطرف الآخر، أو في مقابل نفع دنيوي زائل.

١ - الآية ٢٠ من سورة التوبة.

٢ - الآية ٢٢١ من سورة البقرة.

٣ - الآية ١٠٨ من سورة التوبة.

٤ - الآية ٧٣ من سورة طه.

متى نزلت الآية؟!:

وقد أظهرت الروايات: أن حديث المفاخرة هذا قد كان بعد فتح مكة، وبعد أن جعل النبي (ﷺ) السقاية للعباس (رضي الله عنهم)، والحجابه لبني شيبه..

وإنما أسلم شيبه الذي كان يتولى عمارة المسجد بعد الفتح. فكيف تكون طرفاً في المفاخرة المذكورة. فراجع. حمزة وعمارة المسجد:

١ . ذكرت رواية صحيحة السند، رواها علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: (نزلت في علي والعباس وشيبه، قال العباس: أنا أفضل لأن سقاية الحاج بيدي).

وقال شيبه: أنا أفضل، لأن حجابة البيت بيدي.

وقال حمزة: أنا أفضل، لأن عمارة البيت بيدي.

وقال علي: أنا أفضل؛ فإني آمنت قبلكما، ثم هاجرت وجاهدت، فرضوا برسول الله (ﷺ).

فأنزل الله: (أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ..) إلى قوله: (إِنَّ اللَّهَ

عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ^{(١)(٢)}.

٢ - رواية أخرى صحيحة السند رواها الكليني، عن أبي علي الأشعري، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما (عليه السلام) في قول الله عز وجل: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)^(٣) نزلت في حمزة وعلي وجعفر والعباس وشيبة، إنهم فخرُوا بالسقاية والحجابة، فأنزل الله عز وجل: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ). وكان علي وحمزة وجعفر (صلوات الله عليهم) الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وجاهدوا في سبيل الله لا يستوون عند الله^(٤).

١ - الآيات ١٩ - ٢٢ من سورة التوبة.

٢ - تفسير القمي ج ١ ص ٢٨٣ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣٨٢ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٩٣ وبحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٨٩ وج ٣٦ ص ٣٤ والتفسير الأصفى ج ١ ص ٤٥٧ والتفسير الصافي ج ٢ ص ٣٢٨ وتأويل الآيات ج ١ ص ٢٠١ ومجمع البحرين ج ٢ ص ٣٨٨ وغاية المرام ج ٤ ص ٧٤.

٣ - الآية ١٩ من سورة التوبة.

٤ - الكافي ج ٨ ص ٢٠٤ وبحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٦ وتفسير نور الثقلين ج ٢ ص ١٩٣ وتفسير الميزان ج ٩ ص ٢١٥ وغاية المرام ج ٤ ص ٧٤ والبرهان (تفسير) ج ٣ ص ٣٨٢ وقريب منه في تفسير العياشي ج ٢ ص ٨٩.

ونقول:

لا يمكن قبول هذه الرواية بالرغم من صحة سندها.

أولاً: لأن الآية تتحدث عن المؤمن المهاجر المجاهد في سبيل الله تعالى. كما أن الرواية ذكرت: أن علياً (عليه السلام) آمن قبلهم، ثم هاجر وجاهد.. فتكون الآية - بناء على هذا - قد نزلت بعد الهجرة. فإذا كان شيبه قد أسلم قبل الفتح، أي في السنة الثامنة للهجرة^(١)، بل هو قد أراد أن يغتال النبي (ﷺ) يوم حنين، فقذف الله الرعب في قلبه^(٢)، فإن الإشكال في الرواية يصبح واضحاً، لأن حمزة قد استشهد في واقعة أحد في سنة ثلاث بعد الهجرة.. ولم يجتمع هؤلاء الأربعة

١ - الإصابة ج ٢ ص ١٦١ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٣ ص ٢٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٥١ وراجع: المعجم الكبير ج ٧ ص ٢٩٧ وخلاصة تذهيب تذهيب الكمال ص ١٦٨ والأعلام للزركلي ج ٣ ص ١٨١ والأنساب للسمعاني ج ٣ ص ٤٨٧ .
٢ - الإصابة ج ٢ ص ١٦١ و (ط دار الكتب العلمية) ج ٣ ص ٢٩٩ عن ابن أبي خيثمة، عن مصعب النميري، وذكره ابن إسحاق في المغازي، وأخرجه ابن سعد عن الواقدي، وذكره البغوي. وراجع: بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٦٦ وتفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٣٥٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٥٨٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٤ ص ٣٨١ وإمتاع الأسماع ج ١٤ ص ١٦ وإعلام الوري ج ١ ص ٢٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٦٣٢ .

علي (عليه السلام) وحمزة، والعباس، وشيبة.

ولو كان شيبه مشركاً آنئذٍ، فلا معنى لأن يرضى بتحكيم رسول الله في هذه القضية.
ثانياً: لو كان الأمر كذلك، لكان حمزة (رضوان الله تعالى عليه) في جملة الظالمين، الذين يهديهم الله تعالى حسب نص الآية.. مع أن سيد الشهداء في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفضائله، وكلمات الرسول في حقه لا يجهلها أهل المعرفة والتتبع.

ثالثاً: إن رواية القمي جعلت حمزة في الفريق المناوئ لعلي (عليه السلام)!! ورواية الكليني جعلته مع علي (عليه السلام)!!
رابعاً: إن جعفر لم يجتمع بحمزة بعد الهجرة، بل استشهد حمزة في واقعة أحد، وإنما قدم جعفر إلى المدينة من الحبشة في عام خير سنة ست..

خامساً: صرحت بعض الروايات: أن المفاخرة بين عباس وشيبة وعلي (عليه السلام) قد حصلت في مكة في المسجد الحرام، بعد أن أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله) مفاتيح الكعبة لشيبه، والسقاية لعباس (عليه السلام).

الفصل الرابع:
تنفيذ أحكام وتولية حكام..

علي (عليه السلام) يلاحق الحويرث:

قالوا: كان الحويرث بن نقيدر يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد نحس بزینب بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما هاجرت إلى المدينة، فأهدر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دمه.

فبينما هو في منزله قد أغلق عليه بابه، سأل عنه علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فقبل: هو بالبادية.

فأخبر الحويرث أنه يُطلب، فتنحى علي (عليه السلام) عن بابه، فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى آخر،

فتلقاه علي (عليه السلام)، فضرب عنقه^(١).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢٤ وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨١ و ٩١ و (ط دار المعرفة) ص ٣٨ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٥٧ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٢ وشرح نصح البلاغة للمعتزلي ج ١٨ ص ١٣ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٩٩ والإرشاد ج ١ ص ١٣٦ والمستجد من كتاب الإرشاد ص ٧٨ وفتوح البلدان ج ١ ص ٤٦ وسنن الدارقطني ج ٢ ص ٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق = ج ٢ ص ٣٢ وتمدب الكمال ج ١١ ص ١١٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٣٦ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٥٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٩٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٦٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٤٤ وكشف الغمة ج ١ ص ٢١٨ ونصح الحق وكشف الصدق ص ٢٥٠.

وقالوا أيضاً: كان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة، وأم كلثوم بنتي رسول الله (ﷺ) من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث، فرمى بهما الأرض^(١).
وكان (يؤذي) يعظم القول في رسول الله (ﷺ)، وينشد الهجاء فيه، ويكثر أذاه وهو بمكة^(٢).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢٥ عن ابن هشام، وراجع: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩١ و (ط دار المعرفة) ص ٣٨ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٢ عن الإكتفاء، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٨٦٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٦٤ وتخریج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٥١.

٢ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢٥ عن البلاذري، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٩١ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٥٠ وتاريخ الإسلام ج ٤ ص ١٨٤ والإرشاد ج ١ ص ١٣٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ١٩٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص ٢٠٦ وشرح إحقاق الحق ج ٣٢ ص ٣٠٦ وتخریج الأحاديث والآثار ج ٣ ص ٤٥٢ والدرر لابن عبد البر ص ٢٢٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٨ ص ١٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٤٤ وأعيان الشيعة ج ١ ص ٤٠٩ وكشف = الغمة ج ١ ص ٢١٨ ونهج الحق وكشف الصدق ص ٢٥٠.

ونقول:

أخطاء تحتاج إلى تصحيح:

تضمنت النصوص المتقدمة أخطاءً تحتاج إلى تصحيح، وهي التالية:

الأول: إن الذي حمل فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)، وسائر الفواطم، وبعض ضعفاء المؤمنين حين الهجرة من مكة إلى المدينة هو علي (عليه السلام)، وليس العباس بن عبد المطلب.

الثاني: إن التي تعرضت للأذى، ونخس بها البعير، وروعت، وجرى عليها ما جرى هي زينب، وليست فاطمة الزهراء، ولا أم كلثوم..

فما معنى قولهم: إن العباس حمل فاطمة، وأم كلثوم من مكة يريد بهما المدينة، فنخس بهما الحويرث؟!!

الثالث: إن أم كلثوم ورقية لم يحملهما العباس ولا علي (عليه السلام) إلى المدينة.

الرابع: إن هبار بن الأسود هو الذي نخس بزینب، وأضاف بعض الروايات إليه الحويرث بن نقيدر.. فلعل هذه الرواية هي الصحيحة.

الخامس: ذكرنا: أن الأدلة تسوقنا إلى التأكيد على أن البنت الوحيدة لرسول الله (ﷺ) هي فاطمة الزهراء

(عليها السلام)، أما أم كلثوم، ورقية، وزينب فقد تربين في بيت النبي، فصح إطلاق عنوان (بنات

النبي) عليهن لأجل ذلك^(١) ..

إستدراج الحويرث:

يلاحظ: أن أمير المؤمنين (عليه السلام) تحاشى مهاجمة الحويرث في بيته، واستدرجه ليخرج منه، والسبب في ذلك: أولاً: قد يُحْيَل إلى بعض قاصري النظر أن قتل الحويرث في بيته نقض للأمان الذي أعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) للناس حيث تضمن: أن من أغلق بابه فهو آمن.. ويتحرك المغرضون للتشنيع على الإسلام وأهله، واتهام علي (عليه السلام) بنقض الأمان، واتهام النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه تغاضى عن هذا النقض، ومالاً عليه، إن لم يتخذ إجراء ضده (عليه السلام).

مع أن حقيقة الأمر هي:

أن النداء بأن من أغلق بابه فهو آمن لا يشمل الذين أهدر النبي (صلى الله عليه وآله) دمهم. والحويرث هذا منهم.

١ - تاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢٤ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٨١ و ٩١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٨٥٧ وبحار الأنوار ج ٢١ ص ١٣١ ونيل الأوطار ج ٨ ص ٧٥ وفتح الباري ج ٦ ص ١٠٤ ونصب الراية ج ٤ ص ٢٦٣ والدرية في تخريج أحاديث الهداية ج ٢ ص ١٢٠ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٢٤٧ ومقدمة فتح الباري ص ٢٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج ٤٠ ص ٥٢٦ والإصابة ج ٥ ص ٥١ والأنساب ج ٤ ص ٥٧٣ وإمتاع الأسماع ج ٥ ص ٣٤٧ و ٣٤٨.

ثانياً: إنه (عليه السلام) أراد أن يتجنب لحوق أي أذى بغير المجرم، ممن قد يكون حاضراً في ذلك البيت، ولو بمقدار جو الرهبة والخوف الذي يفرض نفسه في مثل هذا الحال.

فعمل (عليه السلام) على استدراج المجرم إلى الخروج من البيت، وأجرى فيه حكم الله، وأمر رسوله (صلى الله عليه وآله).

والأسلوب الذي اتبعه (عليه السلام) لذلك هو أنه سأل عنه بنحو أوصل إليه الخبر بأن ثمة من يبحث عنه، ومن الطبيعي أن يكون بيت الرجل هو الهدف الأول للبحث عنه، فيفتش البيت أولاً، ثم يسأل عنه الجار القريب، والصديق، والقريب، ثم يتوسع في البحث، وفق ما يتوفر من معطيات.

فلما سأل (عليه السلام) عن الحويرث بادر الحويرث إلى الإبتعاد عن هذه النقطة الحساسة، والمقصودة والمرصودة، إلى مكان يكون أكثر أمناً ليتدبر أمره، وفق ما يستجد من معطيات.. فلما خرج من موقعه تلقاه علي (عليه السلام)، فأنزل به العقوبة التي أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بإنزالها به..

قتل علي (عليه السلام) ابن الطلائع الخزاعي:

وكان الحويرث بن الطلائع (الحرث بن طلائع) الخزاعي يؤذي النبي (صلى الله عليه وآله) وقد أهدر النبي (صلى الله عليه وآله) دمه، فقتله علي (عليه السلام).. ذكره أبو معشر^(١).

١ - سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٢٢٥ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٤ ونيل الأوطار ج ٨ ص ١٧٢ وج ١٢ ص ٧٠ وفتح الباري ج ٨ ص ١٠ وشرح الأخبار ج ١ ص ٣٠٧.

قرية مولاة ابن خطل:

وهناك قينة لابن خطل كانت تغني بهجاء رسول الله (ﷺ) .. وقد قتلها علي (عليه السلام) أيضاً، لأن رسول الله (ﷺ) أهدر دمها^(١).

علي (عليه السلام) في رسالة النبي (ﷺ) للمكيين:

قالوا: لما فتح الله مكة أمر عتاب بن أسيد عليها، وكتب له عهداً، وهو التالي:

(من محمد رسول الله (ﷺ) إلى جيران بيت الله الحرام، وسكان حرم الله.

أما بعد.. فمن كان منكم بالله مؤمناً، وبمحمد رسوله في أقواله مصدقاً، وفي أفعاله مصوباً، ولعلي أخي محمد رسول الله، ونبيه، وصفيه، ووصيه، وخير خلق الله بعده موالياً، فهو منا وإلينا. ومن كان لذلك أو لشيء منه مخالفاً، فسحقاً وبعداً لأصحاب السعير، لا يقبل الله شيئاً من أعماله، وإن عظم وكبر، يصلية نار جهنم خالداً مخلداً أبداً.

وقد قلد محمد رسول الله عتاب بن أسيد أحكامكم ومصالحكم، وقد

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٣١ والإرشاد ج ١ ص ١٣٦ والمستجد من كتاب الإرشاد (المجموعة) ص ٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢٩ ص ٣٢ وتاريخ الخميس ج ٢ ص ٩٤: أما قرية فقتلت مصلوبة.

فوض إليه تنبيه غافلکم، وتعليم جاهلکم، وتقويم أودّ مضطربکم، وتأديب من زال عن أدب الله منکم، لما علم من فضله علیکم، من موالاة مُحَمَّد رسول الله (ﷺ)، ومن رجحانه في التعصب لعلی ولي الله، فهو لنا خادم، وفي الله أخ، ولأوليائنا موال، ولأعدائنا معاد، وهو لكم سماء ظليلة، وأرض زكية، وشمس مضيئة، قد فضله الله على كافتکم، بفضل موالاته ومحبتة لمحمد وعلی، والطيبين من آلهما، وحكمه علیکم، يعمل بما يريد الله، فلن يخليه من توفيقه.

كما أكمل من موالاة مُحَمَّد وعلی (عليهما السلام) شرفه وحظه، لا يؤامر رسول الله ولا يطالعه، بل هو السديد الأمين. فليطمع المطيع منکم بحسن معاملته شريف الجزاء، وعظيم الجباء. وليتوق المخالف له شديد العذاب، وغضب الملك العزيز الغلاب. ولا يحتج محتج منکم في مخالفته بصغر سنه، فليس الأكبر هو الأفضل، بل الأفضل هو الأكبر. وهو الأكبر في موالاتنا، وموالاة أوليائنا، ومعاداة أعدائنا، فلذلك جعلناه الأمير علیکم، والرئيس علیکم، فمن أطاعه فمرحباً به. ومن خالفه فلا يبعد الله غيره). قال: فلما وصل إليهم عتاب وقرأ عهده، ووقف فيهم موقفاً ظاهراً، ونادى في جماعتهم حتى حضروه، وقال لهم:

معاشر أهل مكة، إن رسول الله (ﷺ) رمانی بکم^(١) شهاباً

١ - لعل الصحيح: رماكم بي.

محرقاً لمنافقكم، ورحمة وبركة على مؤمنكم، وإني أعلم الناس بكم وبمنافقكم، وسوف آمركم بالصلاة فيقام بها، ثم أتخلف أراعي الناس، فمن وجدته قد لزم الجماعة التزمت له حق المؤمن على المؤمن، ومن وجدته قد بعد عنها فتشنته، فإن وجدت له عذراً عذرتة، وإن لم أجد له عذراً ضربت عنقه، حكماً من الله مقضياً على كافتكم، لأظهر حرم الله من المنافقين.

أما بعد.. فإن الصدق أمانة، والفجور خيانة، ولن تشيع الفاحشة في قوم إلا ضربهم الله بالذل، قويكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه، وضعيفكم عندي قوي حتى آخذ الحق له.

اتقوا الله، وشرفوا بطاعة الله أنفسكم، ولا تذلوها بمخالفة ربكم.

ففعّل والله كما قال، وعدل، وأنصف، وأنفذ الأحكام، مهتدياً بهدى الله، غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة^(١).

ونقول:

إننا نشك في صحة هذا الكتاب لأسباب كثيرة، نذكر منها ما يلي:

آثار الكلفة والصنعة:

قال العلامة الأحمدي (رحمته الله): (لا يخفى ما في هذا الكتاب من آثار الكلفة والصنعة، مع ضعف هذا

التفسير في الإنتساب إليه (صلوات الله

١ - بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٢٢ - ١٢٤ والتفسير المنسوب للإمام العسكري (عليه السلام) ص ٥٥٥ و ٥٥٧ وراجع: الإقبال ص ٣١٨ ومدينة

البلاغة ج ٢ ص ٢٩٢ .

عليه)، هذا مضافاً إلى أنه يخالف أسلوب كتبه (ﷺ) (١).

عتاب لم يكن أفضل المكيين:

لقد أسلم عتاب يوم الفتح.. وكان في المهاجرين المكيين من هو أفضل وأكثر تجربة من عتاب، بل كان في مكة عدد من المسلمين مضت لهم سنوات فيها، وهم على الإسلام، فهل أصبح هذا الشاب حديث الإسلام أفضل من هؤلاء أيضاً وهم قد مضى لهم سنوات طويلة وظهرت صحة إيمانهم وصرهم على الأذى؟! إن الحقيقة هي: أن النبي (ﷺ) كان يريد والياً من سكان مكة بالذات، ومن مسلمة الفتح أيضاً، ليتمكن من التعامل مع أهل مكة، ولا يكون متهماً عندهم.

ثم أراد بهذا السن أميراً على الكبير والصغير في مكة، وأراد أيضاً أن تستمر ولايته إلى حين وفاته (ﷺ).. لأن المكيين هم الذين سوف يطعنون في خلافة علي (عليه السلام) استناداً إلى مقدار عمره الشريف.. الذي كان يزيد على عمر عتاب أمير عاصمة الإسلام والإيمان وبلد قريش، ويزيد أيضاً على عمر أسامة بن زيد الأمير على كبار المهاجرين والأنصار - بعشر سنوات تقريباً.

١ - مكاتيب الرسول ج ٢ ص ٦٦٢.

ولاء عتاب لعلي (عليه السلام):

وإذا كان عتاب حديث الإسلام، أو فقل: قد أسلم للتو، فلم يتحقق بعد الإتيان الذي سينتجه إليه ولاؤه، هل هو لعلي أو لغيره، فضلاً عن أن يكون قد أصبح متعصباً لعلي بصفته وِليَّ الله، ولآل علي الطيبين الأطهار.. فقه عتاب وفضله:

وإذا كان عتاب قد أسلم للتو، فمتى تفقه في الدين، وعرف الأحكام، ليتمكن تفويضه تعليمهم؟! إنه - لا شك - يحتاج هو الآخر إلى من يفقهه في الدين، ويزيل جهله.. كما هم يحتاجون إلى ذلك.. فلا بد أن يجلس معهم بين يدي معاذ أو غيره، ليعلمه ويعلمهم أبسط الأحكام، وأوليات القواعد.. كما أنه لم يمض وقت يمكن أن يظهر فيه فضل عتاب على غيره، ويتميز به على أهل مكة. وكيف يمكن أن يتقبلوا هذا الأمر في شاب أسلم للتو، فلا مبرر - بنظرهم - لإعطائه هذه الأوسمة، ولا يرون لها مبرراً على أرض الواقع، بل هم لا ينظرون إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسه بعين التقديس، ولا يتقبلون نبوته إلا رغماً عنهم فهل يتقبلون مثل هذا الأمر في عتاب؟!!

عتاب يتحدث عن المنافقين:

أما حديث عتاب عن معرفته بالمنافقين من أهل مكة.. فهو أيضاً من موجبات الريب، لأن أهل مكة كانوا في أول أيام قبولهم بهذا الدين، ولم

يتميز بعد المنافق عن صحيح الإيمان .. ولم يكن لأحد إلا الله تعالى أن يطلع على قلوبهم، ويعرف ويميز المؤمن من المنافق في هذا البلد الكبير ..

وسيتلقون ذلك منه على أنه كلام طائش، وغير ذي قيمة من شاب في مقتل العمر مثله .
عتاب سماء ظليلة:

لا معنى لوصف عتاب الذي أسلم للتو بأنه سماء ظليلة، وأرض زكية، وشمس مضيئة، والحال أنه كان لا يزال معانداً إلى ما قبل يوم أو أيام، ولم يتفقه بعد في الدين، ولا أدب نفسه بأداب الإسلام، ولا تخلق بأخلاق أهل الإيمان ..

إجراء مضحك:

ومن المضحك المبكي أن يكون أول إجراء يتخذه هذا الوالي الجديد، . الذي تدعي الرسالة المنسوبة للنبي (ﷺ) له الفضل والأمانة والسداد، وغير ذلك، . هو أنه سوف يأمرهم بالصلاة، ويطبق لهم إماماً، ثم يتخلف هو ليراقب من يحضر ومن لا يحضر، ثم يثيب ويعاقب .

فإن هذا لا يعدو كونه إجراءً صبيانياً مضحكاً .

أولاً: لأنه كان يمكنه أن يوظف من يراقبهم، ويخبره بما يرى، ليتخذ الإجراء المناسب ..

ثانياً: إن عدم حضورهم الصلاة حتى لو كان بلا عذر لا يوجب ضرب عنق من لم يحضر ..

ثالثاً: كيف صار ضرب عنق من لم يحضر الصلاة حكماً مقضياً من الله على كافة أهل مكة؟! ومن الذي أخبره بهذا الحكم؟! ولماذا اختص هذا الحكم بأهل مكة دون سائر الناس؟!.. ولم نسمع ان الله قد أوجب الصلاة جماعة عليهم دون سائر الناس..

رابعاً: إن عدم حضور الصلاة ليس دليلاً على النفاق..

سرقة كلمات علي (عليه السلام):

وقد لاحظنا: أن بعض الفقرات التي نسبت لعتاب قد استعيرت له من كلام علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقوله مثلاً: قويكم عندي ضعيف حتى أخذ منه الحق، وضعيفكم عندي قوي حتى أخذ الحق له، مأخوذ من كلام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، ففي الخطبة رقم ٣٧ قال (عليه السلام): الدليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه.

ففعل - والله - كما قال:

وأكثر ما لفت نظرنا في النص المتقدم قوله: (ففعل - والله - كما قال، وعد وأنصف، وأنفذ الأحكام، مهتدياً بهدي الله، غير محتاج إلى مؤامرة ولا مراجعة).

فقد تضمنت هذه الفقرة أموراً لا واقع لها فلاحظ:

ألف: قول الرواية: إنه فعل كما قال، ولو فعل ذلك وقتل أحداً ممن لم يحضر الصلاة لضج التاريخ بالحديث عن ذلك..

ب: إن هذا النص يصور عتاب بن أسيد الأموي، وكأنه رجل يوحى إليه.. حيث إنه يقول: إنه كان مهتدياً بهدي الله، فإذا ضممننا ذلك إلى حقيقة: أنه لم يدخل في الإسلام إلا قبل ذلك بساعات أو بيوم، أو بأيام. فلا بد أن نفهم أنه يقصد بالهدي الإلهي ما يجعله مستغنياً عن تعليم أحد..

ج: قوله: من غير حاجة إلى مؤامرة ولا مراجعة، قد جاء ليؤكد ما يسعون إليه من الإيحاء بأنه كان يتمتع بالإكتفاء الذاتي حتى بالنسبة لرسول الله (ﷺ)..

ولذلك لم يحتج إلى أن يؤامره في شيء، ولا أن يراجعه بشيء، ولا يمكن تفسير ذلك إلا على أساس نزول الوحي على عتاب..

كما أن ذلك يطرح الإشكال في أن يكون قد احتاج إلى الإعتراف بنبوة النبي (ﷺ)، طيلة حياة النبي (ﷺ)، أو أنه كان في غنى عن ذلك أيضاً!..

كلمتنا الأخيرة عن عتاب:

ونحن أمام هذه المبالغات لا نريد أن نستبعد مقولة أن يكون المقصود إعطاء الأوسمة لعتاب، لأنه كان أموياً من حيث النسب^(١)، وقد توفي يوم

١ - الإستيعاب ج ٣ ص ١٠٢٣ وطبقات خليفة بن خياط ص ٤٨٥ و ٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج ٢١ ص ١٨١ وج ٣٧ ص ١١ والوفاي بالوفيات ج ١٩ ص ٢٨٩ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٤١ وأسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٨ والكاشف في معرفة من له رواية = في كتب الستة للذهبي ج ١ ص ٦٩٥ والإصابة ج ٥ ص ٣٥ والأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٩٩ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٨٣ واللباب في تهذيب الأنساب ج ٢ ص ٣١٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦١٢ وج ٣ ص ٩٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١١ ص ١٢٣ وج ١٥ ص ٢٦٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٤٤٦ والآحاد والمثاني ج ١ ص ٤٠٣ والمعجم الكبير للطبراني ج ١٧ ص ١٦١ والمستدرک للحاكم ج ٣ ص ٥٩٥ وعمدة القاري ج ١٧ ص ١٥٨ وتفسير مقاتل بن سليمان ج ١ ص ١٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣٤٧ وتفسير الثعلبي ج ٢ ص ٢٨٥ وج ٦ ص ١٢٨ والأحكام لابن حزم ج ٧ ص ٩٨٣ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٦٧ وج ٣ ص ٣٠٤ والدرر لابن عبد البر ص ٢٢٥ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ١٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٦١٥.

موت أبي بكر، وقيل غير ذلك^(١).

١ - أسد الغابة ج ٣ ص ٣٥٨ وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٨٢ و ١٩١ والإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٥٣٩١/٤٥١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٤٤٦ وشرح مسند أبي حنيفة ص ٥٤٦ وتهذيب الكمال ج ١٩ ص ٢٨٢ و ٢٨٣ والأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٩٩ و ٢٠٠ والإصابة ج ٤ ص ٣٥٦ وراجع: مكاتيب الرسول ج ١ ص ٣٠ وتحفة الأحوذى ج ٣ ص ٢٤٤ وعون المعبود ج ٤ ص ٣٤٥ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٤١ والوافي بالوفيات ج ١٩ ص ٢٨٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٣ ص ٩٨ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٨٣ والكاشف في = معرفة من له رواية في كتب السنة للذهبي ج ١ ص ٦٩٥ والثقات لابن حبان ج ٣ ص ٣٠٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١١ ص ١٢٣.

وقد أبقاه أبو بكر على مكة إلى أن مات^(١) مما يشير إلى مدى التوافق والإنسجام بين عتاب وبين السلطة القائمة آنئذ..

١ - الأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٠٠ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٨٣ والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة للذهبي ج ١ ص ٦٩٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج ٢ ص ٦١٢ وج ٣ ص ٩٨ والوفائي بالوفيات ج ١٩ ص ٢٨٩ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٤١ وإمتاع الأسماع ج ٢ ص ١٠.

١	الصحيح من سيرة الإمام علي (عليه السلام)
٥	الفصل الرابع
٤١	الفصل الخامس:
٧٧	الفصل السادس:
١٠٩	الباب السابع:
١١١	الفصل الأول:
١٤٣	الفصل الثاني:
١٦٧	الفصل الثالث:
١٨٧	الفصل الرابع:
٢١٥	الباب الثامن:
٢١٧	الفصل الأول:
٢٥٣	الفصل الثاني:
٢٨١	الفصل الثالث:
٣١٣	الفصل الرابع:
٣٣٠	الفهرس